عبد المنعم محمد حسين حسانين

حماية البيئة فى الإسلام : الفريضة الغائبة

NOOR PUBLISHING

الإسلام والبيئة

حسين حسانين

NOOR PUBLISHING

حماية البيئة فى الإسلام : الفريضة الغائبة

انطلاقا من إحساس الباحث بالأزمة البيئية التى تعيشها كثير من المجتمعات ليست المجتمعات النامية فقط بل وكافة المجتمعات المتقدمة ايضا - قام الباحث بتلك الدراسة التى تستهدف التعرف على المعالجة الإسلامية لأزمة البيئة فى الماضى وفى الوقت الحاضر .ومن خلال تلك الدراسة التحليلية للنظم البيئية وما اعتراها من خلل بيئى بيد الإنسان بما أنتجه من منتجات تكنولوجية ومعدات كانت - إلى حد كبير - سببا فى تلويث البيئة بكل أنواع التلوث للحد الذى أصبح التصدى لمواجهة مشكلات التلوث البيئى أمرا صعبا وشائكا وأضحت المشكلة البيئية ليست مشكلة محلية فقط بل أضحت مشكلة عالمية تتطلب تضافر كل المجهودات التى تبذل من كافة دول العالم للحد من التلوث البيئى وما قد يسببه ذلك التلوث من أمراض منتشرة فى كافة أنحاء العالم . ولقد عقدت الكثير من المؤتمرات والندوات الدولية بغرض دراسة إمكانية الحد من التلوث البيئى ولكن لم تسفر نتائج تلك المؤتمرات عن إجراءات تنفيذية للحد من التلوث البيئى تتفق عليها دول العالم خاصة الصناعية منها والتى إليها يعزى التلوث البيئى التى يعانى منه كافة مجتمعات العالم أجمع . وأوضحت الدراسة الحالية إن الحاجة ضرورية لفقه جديد يمكن ان نطلق عليه اسم "فقه البيئة " يستند على الفكر الإسلامى لمواجهة الأزمة البيئية لكى يسترد الإنسان دوره فى عمارة الأرض وحماية البيئة كفريضة دينية تكاد تكون غائبة عنه فى عالمنا المعاصر

الأستاذ الدكتور/عبد المنعم محمد حسين حسانين أستاذ متفرغ بقسم المناهج وطرق تدريس العلوم بكلية التربية بالوادي الجديد وعضو اللجنة العلمية لترقية الأساتذة تخصص مناهج وطرق التدريس بمصر لسيادته عدد (53) بحثا علميا و (11) كتب علمية .و (19) مقال علمي قام بالإشراف والمناقشة والتحكيم على العديد من رسائل الماجستير والدكتوراة والأبحاث

978-3-330-84654-8

عبد المنعم محمد حسين حسانين

حماية البيئة فى الإسلام : الفريضة الغائبة

عبد المنعم محمد حسين حسانين

حماية البيئة فى الإسلام : الفريضة الغائبة

Noor Publishing

Impressum
Bibliografische Information der Deutschen Nationalbibliothek: Die Deutsche Nationalbibliothek verzeichnet diese Publikation in der Deutschen Nationalbibliografie; detaillierte bibliografische Daten sind im Internet über http://dnb.d-nb.de abrufbar.
Alle in diesem Buch genannten Marken und Produktnamen unterliegen warenzeichen-, marken- oder patentrechtlichem Schutz bzw. sind Warenzeichen oder eingetragene Warenzeichen der jeweiligen Inhaber. Die Wiedergabe von Marken, Produktnamen, Gebrauchsnamen, Handelsnamen, Warenbezeichnungen u.s.w. in diesem Werk berechtigt auch ohne besondere Kennzeichnung nicht zu der Annahme, dass solche Namen im Sinne der Warenzeichen- und Markenschutzgesetzgebung als frei zu betrachten wären und daher von jedermann benutzt werden dürften.

البيانات القانونية
معلومات ببليوجرافية للمكتبة الوطنية الألمانية : المكتبة الوطنية الألمانية تسجل هذا المنشور في الببليوجرافيا الوطنية الألمانية. تفاصيل البيانات: http://dnb.d-nb.de
البيليوغرافية موجودة على شبكة الإنترنت تحث الموقع التالي
جميع العلامات التجارية والمنتجات المستخدمة في هذا الكتاب تخضع لقانون براءة اختراع ،وهي علامات تجارية مسجلة لأصحابها. استنساخ الأسماء التجارية، أسماء المنتجات ،أسماء مشتركة في هذا المنشور ،حتى من دون وضع العلامات الخاصة لا يعني أن هذه الأسماء هي معفاة من التشريعات التجارية لحماية العلامة ،وبالتالي يمكن استخدامها من طرف أي شخص.

Coverbild / صورة الغلاف
www.ingimage.com

Verlag / دار النشر
Noor Publishing
ist ein Imprint der / is a trademark of
OmniScriptum GmbH & Co. KG
Bahnhofstraße 28, 66111 Saarbrücken, Deutschland / Germany
Email / البريد الإلكتروني
info@omniscriptum.com

Herstellung: siehe letzte Seite /
طبع :انظر أخر صفحة
ISBN / رقم دولي معياري للكتاب:
978-3-330-84654-8

Zugl. / Approved by: 2012 ، القاهرة، دراسة بحثية شخصية

Copyright © عبد المنعم محمد حسين حسانين
Copyright / t © حقوق التآليف و النش
2017 OmniScriptum GmbH & Co. KG

Alle Rechte vorbehalten. /جميع الحقوق محفوظة .
Saarbrücken 2017

بسم الله الرحمن الرحيم

حماية البيئة في الإسلام
الفريضة الغائبة

إعداد

أستاذ المناهج والتربية العلمية المتفرغ بجامعة أسيوط ا.د.عبد المنعم محمد حسين حسانين*

كلية التربية بالوادى الجديد

وعميد كلية التربية بأسوان سابقا

وعضو اللجنة العلمية لترقية الأساتذة بمصرحاليا

بسـم الله الرحمـن الرحيـم

{ رب اشرح لي صدري ۞ ويسر لي أمري ۞ واحلل عقدة من لساني ۞ يفقهوا قولي }

صدق الله العظيم

سورة طه (٢٥-٢٨)

فهرس المحتويات

المحتويات	الصفحات	
	من	إلى
فهرس المحتويات	٣	
مقدمة تمهيدية	٤	
الباب الأول : الأهداف والمفاهيم	٥	٣٣
الفصل الأول : موضوع الدراسة	٦	١٣
الفصل الثاني : تحديد المفاهيم البيئية	١٤	٣٣
الباب الثاني :النظام البيئي في عالمنا المعاصر	٣٤	٧٢
الفصل الثالث :تدهور النظام البيئي في عالمنا العربي المعاصر	٣٥	٥٨
الفصل الرابع :التحديات البيئية على المستوى العالمي	٥٩	٧٢
الباب الثالث : البيئة من منظور إسلامي	٧٣	١١٩
الفصل الخامس:(البيئة في القرآن الكريم والسنة النبوية	٧٤	١٠٨
الفصل السادس : أزمة البيئة المعاصرة : أزمة روحانية وأخلاقية	١٠٩	١١٩
الباب الرابع :الإسلام المشروع الحضاري البديل لمواجهة أزمة البيئة المعاصرة	١٢٠	١٦٨
الفصل السابع : حماية البيئة في الإسلام : فريضة شرعية	١٢١	١٣٢
الفصل الثامن : تجديد الفقه الديني : ضرورة دينية وعصرية	١٣٣	١٦٨
الباب الخامس :الحاجة إلى تطوير برامج التربية البيئية الحالية	١٦٩	١٩٦
الفصل التاسع:التربية البيئة من منظور إسلامي.	١٧٠	١٨٦
الفصل العاشر :اقتراحات وتطبيقات محلية وعالمية لتنمية التنور البيئي من منظور ديني	١٨٧	١٩٦
مراجع الدراسة	١٩٧	٢٠٨
ملخص موجز للدراسة	٢٠٩	٢١٣

مقدمة تمهيدية :

الحمد لله الذي أظهر الحق وأوضح السبيل ؛ وهدانا إلى تدبُّر دلالات سور وآيات محكم التنزيل ؛ القرآن الكريم الذي يهدى للحق بكل دليل ؛ والصلاة والسلام على سيدنا محمد الناطق بأسماء مولاه كما جاء بها التنزيل ؛ وعلى آله وصحبه الذين تركوا زخرف البدعة وعوَّلوا على سنَّته غاية التعويل . ثم أما بعد فإن الدراسة الحالية تستهدف استجلاء مفهوم حماية البيئة كفريضة شرعية من منظور التوجيهات القرآنية والسنة النبوية الشريفة ولعل الغرض الغائي من ذلك بيان إن النظرة للبيئة من منظور إسلامي هي المحرج المناسب للخروج من الأزمة البيئية الراهنة التي تعصف بكل مقدرات التنمية في العالم المعاصر عامة والعالم الإسلامي خاصة إن حماية البيئة، واجب كل إنسان، لأن المجتمع الراقي هو الذي يحافظ علي بيئته، ويحميها من أي تلوث أو أذي، لأنه جزء منها، ولأنها مقر سكناه وفيها مأواه، ولأنها عنوان هويته، ودليل سلوكه وحضارته، وكما يتأثر الإنسان ببيئته فإن البيئة تتأثر أيضا بالإنسان.([1])

وجاءت التوجيهات الدينية حاملة بين طياتها الدعوة المؤكدة للحفاظ علي البيئة، برًّا وبحرا وجوًّا،.وإن الإسلام هو دين النظافة.. حثَّ عليها، ودعا إليها، وجعلها شرطا لصحة الصلاة التي هي عماد الدين، من أقامها فقد أقام الدين ومن هدمها فقد هدم الدين.فمن شروط صحة الصلاة: طهارة الثوب والبدن والمكان (البيئة) .ومن منطلق إن حماية البيئة واجب من الواجبات الضرورية لكل فرد كفرض عين فإنها بذلك فريضة شرعية على كل مسلم ومسلمه ولكن في ضوء ما نعانيه اليوم من مشكلات بيئية متنوعة ومتعددة خاصة في العالم الإسلامي يوضِّح إن تلك الفريضة تكاد تكون فريضة غائبة وينبغي إحيائها بإحياء التشريعات الدينية التي تسهم في حماية البيئة والحفاظ عليها وذلك يعنى بجلاء الرجوع إلى منهج الله الذي ارتضاه الله لعباده والذي إذا ما ابتعدنا عنه ضللنا الطريق كما أخبرنا بذلك المعصوم سيدنا محمد في حديثه الشريف : «إِنِّي قَدْ خَلَّفْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُمَا مَا أَخَذْتُمْ بِهِمَا، أَوْ عَمِلْتُمْ بِهِمَا، كِتَابَ اللهِ، وَسُنَّتِي، وَلَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ»([2])

[1]) أحمد عمر هاشم ، (٢٠٠٩م) الإسلام وحماية البيئة ، منشور في الموقع الإلكتروني :**http://muntada.islamtoday.net/t21807.html**

[2]) أخرجه الحاكم في «المستدرك»: (٣١٩)، والبيهقي في «السنن الكبرى»: (٢٠٩١٨)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع»: (٢٩٣٧)

الباب الأول

الأهداف والمفاهيم

- الفصل الأول : موضوع الدراسة

(أهميتها وأهدافها وخطة دراستها)

- الفصل الثانى : تحديد المفاهيم البيئية

والبحث الدلالي في الدلالات الحسية والمعنوية الدالة عليها

الباب الأول : الأهداف والمفاهيم

الفصل الأول : موضوع الدراسة

(أهميتها و أهدافها وخطة دراستها)

تمهيد :

ذلك الفصل بمثابة نشاط استهلالي للدراسة الحالية التي تستهدف دراسة الواقع الراهن للنظام البيئي من منظورين هما : النظرية العامة للنظم باعتبار البيئة نظام يتكون من نظم فرعية متفاعلة ومتكاملة معا ؛ أما المنظور الآخر والأهم هو المنظور الإسلامي باعتبار حماية البيئة والحفاظ عليها فريضة شرعية دينية ينبغي إحيائها .ومن ذلك تتضح أهمية الدراسة الحالية وضرورة إجراء مزيد من الدراسات حولها خاصة وإن العالم الإسلامي خاصة والعالم المعاصر عامة يعيش – في الوقت الحاضر – أزمة بيئية طاحنة تتعدد مظاهرها وتتنوع أسبابها من مجتمع لآخر .

الإحساس بأهمية الدراسة وأهدافها

إن الشعور بتفاقم الأزمة الراهنة للنظام البيئي لا يخفى على أي فرد يعيش العصر الحاضر وليس ذلك الشعور فرديا بل هو شعور جماعي وليس على مستوى الأفراد والجماعات فقط بل أضحى ذلك الشعور بالفشل البيئي شعورا على المستوى الشعبي والحكومي لكل المجتمعات في العالم أجمع ولعل ما يؤكد ذلك المعنى اهتمام كافة حكومات العالم بعقد مؤتمر عام بشأن التربية البيئية في تبليسى بالإتحاد السوفيتي (وقتئذ) في الفترة من ١٤-٢٦ أكتوبر عام ١٩٧٢م ولقد أصدر ذلك المؤتمر إعلان سمي " إعلان تبليسى " ولقد وردت في صدر ذلك الإعلان الكلمات المعبِّرة التالية :

" لقد أحدث الإنسان في العقود القليلة الماضية تغيرات ملحوظة في ميزان الطبيعة ، وذلك بفضل قدرته على تغيير بيئته ، وكانت النتيجة هي تعريض مختلف الكائنات الحية وفى مقدمتها الإنسان نفسه للخطر الذي ثبت أنه لا يمكن درؤه "([1])

وتوالت المؤتمرات والندوات التي ما زالت تعقد حتى يومنا هذا بهدف التوصل لمخرج من الأزمة البيئية الراهنة وكثير منها عقد تحت مظلة الأمم المتحدة ومنها على سبيل المثال لا الحصر مؤتمر استكهولم المعنى بالبيئة البشرية في ١٦ يونيو عام ١٩٧٢م والذي أصدر إعلان سمي " إعلان

١) ليوبولد تشيابو ،(١٩٧٨م) . التربية البيئية في العالم الثالث ، مجلة مستقبل التربية ، ع (٤) ، ص ، ٢٨.

استكهولم والذي أعتمده فيما بعد مؤتمر ر يودى جانيرو المنعقد عام ١٩٩٢م وأكد ذلك المؤتمر انه يسعى في اتخاذ إعلان استكهولم ركيزة لمواصلة البناء ولقد ورد – أيضا- في صدر إعلان ر يودى جانيرو كلمات تتشابه _إلى حد كبير – مع تلك الكلمات التي وردت في صدر إعلان تبليسى عام ١٩٧٢م حيث ورد في الفصل الأول من تقرير مؤتمر ر يودى جانيرو في الديباجة تلك الكلمات :

" تقف الإنسانية عند لحظة حاسمة من تاريخها ، فنحن نواجه باستمرار أوجه التفاوت بين الأمم وبين ظهرانيها أيضا ، فضلا عن تفاقم الفقر والجوع والاعتلال والأمية واستمرار تدهور النظم الإيكولوجية التي تعوّل عليها من أجل رفاهيتها ، ومع ذلك فإن دمج شواغل البيئة والتنمية وإبلاء المزيد من الاهتمام لها من شأنه أن يُفضى إلى تلبية الحاجات الإنسانية وتحسين الظروف المعيشية للجميع والتوصل إلى نظم إيكولوجية سليمة الحماية والإدارة وإلى مستقبل أكثر أمنا وأشد رخاء ، ولا تستطيع دولة وحدها أن تحقق هذا ولكننا نستطيع أن نحققه معا في إطار مشاركة عالمية في سبيل التنمية المستدامة "([1])

وتوالت المؤتمرات والندوات وحلقات النقاش حول البيئة في العالم الإسلامي خاصة وفى العالم أجمع ولعل منها ما يلي ([2])

. الملتقى الإفريقي حول الطاقة الشمسية (باماكو، مارس ١٩٩٨)

. المؤتمر العربي الدولي السادس حول الطاقة الشمسية (سلطنة عُمان، أبريل ١٩٩٨)

. الاجتماع ألتشاوري على هامش الملتقى الدولي حول الغابات (جنيف، غشت ١٩٩٨)

. مؤتمر الطاقة ٩٨ (مملكة البحرين، نوفمبر ١٩٩٨)

. الاجتماع شبه الإقليمي حول المعايير الجيولوجية لحماية البيئة (باماكو، ديسمبر ١٩٩٨)

---

[1])الفقرة (١-١) من الفصل (١) – الديباجة والمنشورة في تقرير الأمم المتحدة المعنى بالبيئة والتنمية بر يودى جانيرو عام ١٩٩٢م ، ص ، ١٣.(وثيقة أولية حصل عليها الباحث في صورتها الأولية من مقر الأمم المتحدة إثناء زيارته لأمريكا عام ١٩٩٢م) .

[2]) تقرير عن جهود الإيسيسكو في مجال التربية البيئية والصحية والسكانية ، منشور فى الانترنت بـــــــــــــــالموقع الإلكترونـــــــــــــــي :

http://www.isesco.org.ma/arabe/publications/Tanmoust/P3.php

. المنتدى العالمي الأول للبيئة من منظور إسلامي (جدة، أكتوبر ٢٠٠٠)

. الملتقى الدولي حول محاربة التصحر (تشاد، أكتوبر / نوفمبر ٢٠٠٠)

. مؤتمر الخبراء الحكوميين حول التنمية المستدامة (تونس، مارس ٢٠٠٠)

. المؤتمر الدولي حول المحيط البيئي ٢٠٠٠ (عُمان، مارس ٢٠٠٠)

. المؤتمر الدولي الأول حول الطاقة وتحلية المياه (طرابلس، يونيو ٢٠٠٠)

ـ الاجتماع ألتنسيقي بين برنامج الأمم المتحدة للبيئة ومصلحة الأرصاد وحماية البيئة في المملكة العربية السعودية (الرباط، ٢٠٠٠)

. المؤتمر الدولي العالمي الرابع حول العلوم والتنمية والبيئة (القاهرة، مارس ٢٠٠١)

. ملتقى الأعمال لتطوير الطاقات المتجددة في منطقة البحر الأبيض المتوسط (مراكش، مايو ٢٠٠١)

. الملتقى الدولي حول المدينة في مواجهة تحديات الطاقة والبيئة (لبنان، شتنبر ٢٠٠١)

. اجتماع وزراء البيئة في الدول العربية (القاهرة، أكتوبر ٢٠٠١)

ـ دورة إقليمية حول الطاقة المتجددة في خدمة التنمية في العالم القروي (كوت دي فوار، نوفمبر ٢٠٠١)

. الاجتماع التحضيري الأول لوزراء البيئة في العالم الإسلامي (الرباط، يناير ٢٠٠٢)

. الاجتماع شبه الإقليمي حول المعايير الجيولوجية لحماية البيئة (باماكو، مارس ٢٠٠٢)

. الاجتماع التحضيري لمؤتمر القمة حول التنمية المستدامة (اندونيسيا مايو/يونيو ٢٠٠٢)

٢. اجتماعات الخبراء والدورات التدريبية وورش العمل :

. اجتماع خبراء حول البيئة البحرية والتنوع ألأحيائي (طرابلس، يونيو ١٩٩٨)

. دورة وطنية حول استخدام الطاقات المتجددة (طهران، أكتوبر ١٩٩٨)

. ورشة إقليمية حول المحافظة على المياه الجوفية (بوركينافاسو، أكتوبر ١٩٩٨)

. اجتماع خبراء حول التنوع ألأحيائي (تونس، نوفمبر ١٩٩٨)

. مسابقة لرسوم الأطفال في مجال المحافظة على البيئة (مقر الإيسيسكو ١٩٩٨)

. دورة إقليمية حول حماية البيئة والمحافظة على الموارد الطبيعية (تونس، أكتوبر ٢٠٠٠)

. دور إقليمية حول تدبير الموارد المائية (القاهرة، نوفمبر ٢٠٠٠)

. حلقة دراسية حول البيئة والصحة من وجهة نظر إسلامية (سورية، يوليو ٢٠٠١)

. حلقة دراسية حول الثقافة البيئية والصحية من منظور إسلامي للدول الناطقة بالفرنسية (كوت دي فوار، مايو ٢٠٠٢)

هذا علاوة على العديد من المؤتمرات وحلقات النقاش والندوات التي عقدت مجليا في كثير من أقطار العالم الإسلامي وغير الإسلامي ومن ذلك يمكن استنتاج ما يلي :

١) إن البيئة – اليوم – في خطر بفعل الإنسان الذي تسبب في إحداث خلل في النظام البيئي نتج عنه ما يسمى " بالفشل البيئي " الذي أدى إلى تعرض كافة الكائنات الحية وفى مقدمتها الإنسان للخطر.

٢) الارتباط الوثيق بين البيئة والتنمية وإن التنمية المستدامة لا يمكن تحقيقها إلا في نظام بيئي صحي ونقى وليس في بيئة معرضة للخطر .

٣) إن الهدف الغائي لكافة المجتمعات في العالم أجمع هو التوصل إلى نظم إيكولوجية سليمة الحماية والإدارة وذلك بغرض تحسين مستوى المعيشة للجميع أملا في مستقبل أفضل للعالم كله أكثر أمنا وأشد رخاءاَ .

٤) إن تحقيق الهدف الغائي والمتمثِّل في التوصل إلى بيئة نظيفة لا يمكن لدولة وحدها أن تحققه لعوامل دولية وإقليمية وعالمية عديدة ، ويتطلب تحقيق ذلك الهدف مشاركة عالمية بين كافة دول العالم في سبيل التوصل إلى بيئة صحية ونظيفة تسهم في تحقيق التنمية المستدامة .

١. إن كثرة ما عقد من مؤتمرات وندوات وحلقات نقاش بغرض الخروج من الأزمة البيئية ورغم ما يتم وضعه من خطط واقتراحات وتطبيقات في كثير من دول العالم لمواجهة المشكلات البيئية إلا أن ما زال العالم أجمع يعانى من حدة تلك المشكلات البيئية الأمر الذي يدعو لمزيد من الدراسة

والبحث ، كما قد يعكس ذلك الوضع إفلاس التشريعات البيئية الوضعية في مواجهة تلك المشكلات البيئية التي تزداد حدة وضراوة .

تحديد موضوع الدراسة وأهدافها :

في ضوء ما سبق يتضح الحاجة لمزيد من الدراسات حول " حماية البيئة " والتي تزداد تدهورا خاصة في عصرنا الحاضر ويتضح الحاجة إلى البحث عن بديل مناسب لحماية البيئة بعد إفلاس العلم المعاصر بإمكاناته الهائلة في حماية البيئة والحفاظ عليها ؛ لذلك فإن الحاجة ضرورية وماسة لدراسات شاملة حول البيئة من منظور الإسلام باعتباره الدين الشامل والمنهج الرباني الذي ارتضاه الله لعباده وهو جل شأنه أعلم بمن خلق .

لذلك تم تحديد موضوع الدراسة الحالية في السؤال الرئيسي التالي :

ما موقف الإسلام من قضية " حماية البيئة " وإلى أي مدى تحقق الرؤية الإسلامية لمفهوم حماية البيئة معايير الجودة والكفاءة البيئية التي عجز العلم المعاصر في تحقيقها ؟

ولكى يتوصل – الباحث – لإجابة مقنعة عن ذلك السؤال الرئيسى حدد عدد من الأسئلة تمثل الإجابة عنها إجابة شاملة عن ذلك السؤال الرئيسى وهى :

١) ما الدلالات العلمية والإسلامية للمفاهيم البيئية المرتبطة بالبيئة ؟
٢) ما الواقع الراهن للنظام البيئى فى ضوء علاقته بالنظم الأخرى المؤثرة عليه ؟
٣) ما المظاهر الدالة على تدهور النظام البيئى فى عصرنا والداله على إفلاس العلم المعاصر فى مواجهتها ؟
٤) ما هى الرؤية الإسلامية الشاملة للحفاظ على البيئة وجمايتها .
٥) هل التشريعات الدينية الإسلامية كفيلة لحماية البيئة بمقارنتها بالتشريعات الوضعية ؟
٦) إلى أى مدى يمكن إعتبار الإسلام المشروع الحضارى البديل لحماية البيئة للعالم أجمع ؟
٧) ما حاجة العالم الإسلامى خاصة والعالم أجمع إلى فقه بيئى يسهم فى حماية البيئة ؟
٨) ما اهم المتطلبات والاعتبارات الواجب مراعاتها لتطبيق التشريعات البيئية التى تتفق ومنهج الله فى العالم الإسلامى والعالم أجمع ومن خلال برامج للتربية البيئية من منظور إسلامى ؟

منهج البحث وأهدافه :

لغرض الإجابة عن تساؤلات الدراسة – السابق تحديدها – يتبع الباحث مناهج بحثية متعددة منها :

١) منهج البحث الدلالى : للتعرف على الدلالات العلمية والإسلامية للمفاهيم المرتبطة بالبيئة .

٢) منهج البحث التحليلى : لتحليل الواقع الراهن لتدهور البيئة والنظام البيئى فى ضوء علاقته بالنظم المؤثرة عليه .

٣) منهج التحليل البعدى Meta analysis لبيان إفلاس العلم المعاصر فى إيجاد حل شامل وناجع لما نعانيه اليوم من مشكلات بيئية .

خطوات إجراء الدراسه

وفى ضوء ذلك حدد – الباحث – خطوات إجراء دراسته الحالية فيما يلى :

أولا :تحديد موضوع الدراسة ومفاهيمها : دراسة للبحث في الدلالات الحسية والمعنوية التي يمكن أن تدل عليها المفاهيم البيئة خاصة تلك المفاهيم البيئة التي تم استحداثها .

ثانيا : دراسة نظرية : حول النظام البيئي والنظم المؤثرة عليه في عالمنا المعاصر ؛ والمظاهر الدالة على تدهور النظام البيئي حتى أضحى الإنسان المعاصر يعانى من أزمة بيئية طاحنة تتمثل في معاناته من مشكلات بيئية عديدة .

ثالثا : دراسة تحليلية للبيئة من منظور إسلامي مع دراسة نقدية للتشريعات البيئية الوضعية والدينية وبيان مدى قصور التشريعات الوضعية في حماية البيئة بمقارنتها بالتشريعات الدينية .

رابعا : دراسة تحليلية حول الإسلام كمشروع حضاري بديل لحماية البيئة للعالم أجمع وأهمية استحداث فقه بيئي وتقديري يتفق مع تعاليم الإسلام ومبادئه لحماية البيئة وأهمية توفير مقومات تطبيق تلك الأحكام الفقهية الدينية لحماية البيئة ليس في العالم الإسلامي فحسب بل وفى العالم أجمع باعتبار الإسلام المشروع الحضاري البديل لحماية البيئة في العالم .وأهمية أن تكون التربية البيئية من منظور إسلامي لإعداد الأفراد إعداد مناسبا لدورهم فى حماية البيئة .

وبذلك أشتمل تقرير تلك الدراسة على أبواب هي :

الباب الأول : التعريف بأهداف ومفاهيم الدراسة

الباب الثاني :النظام البيئي في عالمنا المعاصر في ضوء علاقته بالنظم المؤثرة عليه

الباب الثالث : البيئة من منظور إسلامي و التشريعات البيئية (الوضعية والإسلامية)

الباب الرابع : الإسلام المشروع الحضاري البديل للعالم المعاصر لحماية البيئة .

الباب الخامس : التربية البيئية من منظور إسلامي ضرورة عصرية لحماية البيئة

أهداف وأهمية الدراسة

في ضوء ما سبق يمكن تحديد أهمية الدراسة في ضوء ما تستهدف تحقيقه من أهداف لعل من أهمها ما يلي :

١) تحديد المقصود بمفهوم البيئة وبيان شمولية مفهوم البيئة في الإسلام بمقارنته بالمفاهيم المعاصرة للبيئة ؛ مع بيان أخطار الاعتماد على تلك المفاهيم المعاصرة للبيئة في ازدياد أخطار التدهور البيئي في عالمنا المعاصر .

٢) دراسة علاقة مفهوم البيئة بمفاهيم مرتبطة به وبيان علاقتها بمفهوم البيئة من منظور إسلامي . مع بيان الدلالات الدالة على استحداث تلك المفاهيم فى عصرنا الحاضر.

٣) دراسة علاقة النظام البيئى فى عالمنا المعاصر والتعرف على بعض أسباب تدهوره فى ضوء علاقته بالنظم الأخرى الخارجية المؤثرة عليه .

٤) دراسة لبعض مظاهر الأزمة البيئة فى عالمنا المعاصر وأسبابها المعاصرة وعلاقتها بالرؤية الإسلامية للمشكلة البيئية .

٥) دراسة تحليلية بعدية لنتائج بعض الدراسات والبحوث المعاصرة فى مجال حماية البيئة والأسباب التى تجعل من نتائجها نتائج غير قابلة للتطبيق وغير فاعلة فى تحقيق هدف حماية البيئة خاصة مع غياب الرؤية الإسلامية لمفهوم حماية البيئة فى عالمنا المعاصر .

٦) دراسة تحليلية لبعض التشريعات الوضعية لحماية البيئة وبيان مدى قصورها فى حماية البيئة بمقارنتها بالتشريعات الدينية البيئية .

٧) بيان أهم أسباب عدم تطبيق التشريعات الدينية البيئية فى عصرنا الحاضر خاصة فى تزايد الهجمة الشرسه على الإسلام والمسلمين فى داخل وخارج العالم الإسلامى .

٨) دراسة وافية للإسلام كمشروع خضارى بديل لحماية البيئة ومستلزمات تجديد الفقه الإسلامى لصياغة فقه بيئى يستند على فقه الواقع وفقه الأولويات وفقه الحياة والفقه التقديرى ويستند على أصول إسلامية صحيحة وتتفق مع أصول الإسلام وثوابته .

٩) التوصل إلى أمثلة لبعض التشريعات الفقهيه البيئية التى يمكن من خلال تطبيقها حماية البيئة ليس فى عالمنا الإسلامى فحسب بل وفى العالم أجمع .

١٠) تصور مقترح لبرنامج للتربية البيئة من منظور إسلامى يسهم فى تربية الفرد تربية سوية تسهم فى خلق كوادر بشرية قادرة على إدارة البيئة وجماينها وصيانتها وتطويرها .

الفصل الثاني

تحديد المفاهيم البيئية والبحث الدلالي في الدلالات الحسية والمعنوية الدالة عليها

تمهيد :

يستهدف ذلك الفصل عرض لبعض التعريفات الخاصة بمفهوم البيئة (اللغوية والقاموسية والإصطلاحية) ومقارنتها بمفهوم البيئة فى الإسلام وبيان مدى قصورها فى فهم البيئة وحمايتها بمقارنتها بمفهوم البيئة فى الإسلام . كما يستعرض الفصل بعض المفاهيم التى تم استحداثها والمرتبطة بمفهوم البيئة ودلالتها فى فهم البيئة وحمايتها وبيان مدى قصورها فى ضوء توضيح الرؤية الإسلامية لتلك المفاهيم . ولذلك فإن ذلك الفصل هو دراسة فى المفاهيم وبيان الخلط بينها وقصورها ونظرتها الإحادية للبيئة بما يستدل منه أن الآزمة البيئية تبدأ من عدم فهم مفهوم البيئة الفهم الصحيح مما يؤدى إلى ازدياد التدهور فى النظام البيئى إن لم نتفق على المفهوم الصحيح للبيئة كما أقره الإسلام باعتباره نظاما ربانيا ومنهجا غير موضوع من البشر لحماية الانسان والبيئة معا .

البحث الدلالي عند المعاصرين والعرب :

يرى علماء الدلالة المحدثون إن اللغوي الفرنسي ميشال بريال (M.Breal) يعتبر مؤسس علم الدلالة المتعارف عليه اليوم ، وهو الذي وجه الاهتمام لدراسة المعاني بذاتها ، وقد اقترنت أهمية ريال هذه بمحاولة الناقدين اللغويين الإنكليزيين : أوجدن (C.K.OGden) وريتشاردز (I.A.Richards) الذين حوّلا مسار الدلالة بكتابهما المشترك : معنى المعنى (meaning of The meaning) الصادر عام ١٩٢٣.([1])وذلك بتساؤلهما الحثيث عن ماهية المعنى من حيث هو عمل متزاوج من اتحاد وجهي الدلالة : أي الدال والمدلول ، فوجّها العناية بالعلاقة التي تربط مكونات الدلالة التي يجب أن تبدأ من الفكرة أو المحتوى الفعلي الذي تستدعيه الكلمة والذي يومي إلى الشيء.([2]) فالدلالة لدى هؤلاء مجتمعين . كما يبدو . عبارة عن اتحاد شامل بإطار متكامل بين الدال والمدلول غير قابل للتجزئة والفصل .

[1]) طبع هذا الكتاب طبعة منقحة في لندن ، ١٩٥٦ م

[2]) موريس أبو ناصر ، مدخل إلى علم الدلالة الألسني ، الفكر العربي المعاصر ، آذار ، ١٩٨٢؛ منشور في :كمال محمد بشر ، دراسات في علم اللغة : ١٥٩/٢ .

وفي ضوء هذا الفهم الأولي للدلالة أخذت البحوث تشق طريقها إلى استكنا ه مفهوم الدلالة ومصطلحها لدى المحدثين من العرب والأوروبيين حين لمسوا أن التعميم الفضفاض غير كافٍ لإعطاء صيغة علمية أو فنية متميزة تنهض بالاصطلاح مستوياً على قدميه . ومن هنا حاولوا جعل الدال والمدلول قسيمين أساسيين لمفهوم الدلالة .

برى الدكتور بسام بركة ، في تقسيمه وتعقيبه – على ما سبق – حين يقول : « أما الدال فهو الصورة الصوتية التي تنطبع مباشرة في ذهن السامع ، وهو بعبارة أخرى : الإدراك النفسي للكلمة الصوتية ، وأما المدلول فهو الفكرة التي تقترن بالدال » ([1])

يقول بعض الدارسين العرب : « لا تقتصر دلالة الكلمة على مدلولها فقط ، وإنما تحتوي على كل المعاني التي قد نتخذها ضمن السياق اللغوي . وذلك لأن الكلمات ، في الواقع ، لا تتضمن دلالة مطلقة بل تتحقق دلالتها في السياق الذي ترد فيه ، وترتبط دلالة الجملة بدلالة مفرداتها » .([2])

وذلك المعنى يؤكد إن للألفاظ ظاهرتين متلازمتين هما :

الظاهرة الأولى : ظاهرة حسية ، باعتبار الألفاظ أصواتا تنطلق بها الأوتار الصوتية من داخل الجهاز الصوتي . ابتداءً من أقصى الحلق وانتهاءً بانطباق الشفتين لتتصل بالأسماع ، وتصل إلى الآذان. الظاهرة الثانية (الظاهرة المعنوية)الدالة على انطباق المعنى على مسمياتها.

وتأسيساً على هذه الرؤية يتحقق لنا لمس إطارين حيّين للألفاظ بعامة : ـــ إطار خارجي ، يتمثل بالصوت اللساني لكل لفظ ، (وهو الظاهرة الحسية) وإطار داخلي يحمل لنا الصورة الذهنية لذلك الصوت .(وهو الظاهرة المعنوية)والإطار الداخلي ، ، يمثل المضمون . ويراد بالشكل هنا . كما هو مفهوم من السياق . مادة اللفظ الصوتية أو الوترية ، وبالمضمون دلالة اللفظ الانطباقية أو المعنوية .ولتنظير هذا الفهم نرى أن دلالة أي لفظ من الألفاظ على معناه المحدد له ، ترتبط فيما يوحيه هذا اللفظ في الأذهان من انصراف وتبادر إلى مشخصاته الخارجية إن كان عيناً ، أو ما يرمز إليه في التصور الذهني إن كان معنىً ، بحيث يكسبه هذا وذاك دلالته عند التطبيق الخارجي الذي لا يلتبس بمفهوم آخر في الإدراك حتى يعود رمزاً له ، أو علاقة تشير إليه ، أو إيهام

[1]) بسام بركة ، اللغة والفكر بين علم النفس وعلم اللسانية (بحث) . ظ : المصادر .

[2]) إبراهيم أنيس . دلالة الألفاظ : ٤٢ وما بعدها

لتوافر القرينة الدالة على ذلك .ومن ذلك يمكن فهم دلالات معنى المفاهيم والألفاظ في ضوء ذلك المعنى في نوعين من الدلالات هي : الدلالات الحسية والدلالات المعنوية . وفيما نرى فلعل استيفن أولمان أستاذ علم اللغة بجامعة ليدز بإنكلترا قد صاغ دلالة الألفاظ بإطار موجز واضح كما يلى :

اللفظ عنده : الصيغة الخارجية للشكل ، والمدلول : الفكرة التي يستدعيها اللفظ ([1]). وقد أوجد بهذا مقارنة سليمة بين المصطلحين ، فلاحظ أن بينهما علاقة متبادلة ، فليس اللفظ وحده هو الذي يستدعي المدلول ، بل إن المدلول أيضاً قد يستدعي اللفظ ، وهذه العلاقة المزدوجة هي القوة التي تربط الدال بالمدلول ، أي الصيغة الخارجية للكلمة بالمحتوى الداخلي لها . وقد أيد هذا المذهب اللغوي الفرنسي (أندريه مارتينيه) فذهب أن اللفظ لا يمكن له أن يمثل الوحدة العضوية الصغرى في الكلام ، لأن اللغة الإنسانية تقوم بإزاء تلفظ مزدوج مركب من اللفظ المكّون من مجموعات صوتية ومن المدلول في إعطاء المعنى ، فاللفظ دال ، ومعنى ذلك اللفظ مدلول([2]).

على أن المحدثين من الأوروبيين يختلفون في أولوية الدلالة بين اللفظ والمعنى و ينقسمون إلى مدرستين نقديتين « المدرسة التحليلية » التي ترى أن المعنى يمكن تحليله إلى عناصره ووحداته الأساسية و « المدرسة العملية » التي ترى أن الكلمة ترمز إلى فكرة أو إشارة وأخيراً إلى مجمل المعنى العام في الجملة أو التعبير . وتدرس هذه المدرسة الكلمات ذاتها مرتبطة بحدثها وعلاقاتها العلمية مع غيرها دونما اهتمام مباشر بالمعنى قبل الكلمة([3]) وهذه النظرة يعبِّر عنها عناد غزوان بقوله : « واختلاف المدرستين يعود إلى مدى اهتمامهما بالقارىء ، السامع قبل المتكلم ، أو بالمتكلم قبل السامع ، فعلاقة اللغة بالفكر ليست من القضايا البسيطة لتداخلهما من جهة ، لأنهما روح الحضارة الإنسانية من جهة أخرى فما ينشأ عن هذه العلاقة من غموض أو وضوح من إشارة أو رمز ، من صواب أو خطأ ، من حقيقة أو مجاز يتوقف على قدرة اللغة في توصيل فكرها إلى الآخرين وفي الإفصاح عن تلك التجربة الأدبية »(٢). ولعل ما أورده الدكتور إبراهيم أنيس في عدم وضوح الرؤية لدى هؤلاء الباحثين في التفرقة بين أصول الدلالات ومحدثاتها صحيح فهم يتجاهلون تأثير العامل التأريخي في اكتساب الألفاظ دلالتها بمرور الزمن ، فيقول : « والأمر الذي لم يبد واضحاً في علاج كل هؤلاء الباحثين هو وجوب التفرقة بين الصلة الطبيعية الذاتية والصلة المكتسبة ، ففي كثير من ألفاظ كل لغة نلحظ تلك الصلة بينهما وبين دلالتها ولكن هذه الصلة لم تنشأ مع تلك الألفاظ أو تولد بمولدها وإنما اكتسبتها اكتساباً بمرور الأيام وكثرة التداول والاستعمال . وهي في بعض الألفاظ أوضح منها في

[1]) ستيفن أولمان ، دور الكلمة في اللغة : ٦٤ .

[2]) .General, Paris. 1970. p.16 Mrtinet, Elements de Linguitigue

[3]) ميشال زكريا ، المكون الدلالي في القواعد التوليدية والتحويلية (بحث) .

البعض الآخر ، ومرجع هذا إلى الظروف الخاصة التي تحيط بكل كلمة في تأريخها وإلى الحالات النفسية المتباينة التي تعرض للمتكلمين والسامعين في اثناء استعمال الكلمات »([1]) .وهذا تعقيب يعنى بالجانب التاريخي للفظ من جهة وبالجانب النفسي من جهة أخرى . ولم يغب تصور ذلك المعنى عن الذهن العربي الإسلامي في القرون السابقة .وفى العصر الحديث ونشير في هذا المقام إلى اثنين من علمائنا العرب هم :

١) لقد استلهم الدكتور أحمد عبد الستار الجواري روح الدلالة في المنظور القرآني من خلال حذف القول في العبارات القرآنية التي تدل معانيها على مرادها ، دون استخدام الألفاظ لهذا الغرض ، مما يحمل السامع على توقع أمر ذي بال ، كما هي الحال في الانقطاع والالتفات وسواهما في عبارة القرآن فيقرع بهما أسماعاً غير واعية ، ويهز مشاعر غير صاغية ، يقول المرحوم الجواري : « ومما يكثر وروده في العبارة القرآنية حكاية القول دون العناية بذكر القول ، وهو أشبه ما يكون بلوحة أسقط منها مالا حاجة به من خطوط ابتغاء التنويه بجوهر الموضوع ، صورة قصد فيها إلى إهمال ما لا يتعلق بالمعنى أو الفكرة التي أريد التعبير عنها ، والالتفات إلى الأصل والأساس . ولو اتصل الكلام لما أثار قدراً من الانتباه والاهتمام مثل الذي يثيره الانقطاع ، كالذي يسير في طريق ممهدة لاحبة ، تقوده قدماه حتى لا يعود يتلفت حوله ، ولايثنيه لما يحيط به حتى يفاجئه انحراف في الطريق ، أو التواء ، أو انقطاع ، يسلم إلى منحدر أو مرتقى فيفتح عينيه ، ويرهف حواسه بعد ذلك الانقطاع » أحمد عبد الستار الجواري ، نحو القرآن : ٣٨ .([2]) . وينظر إلى هذا الملحظ بالتأمل في قوله تعالى : (فلمّآ أتاها نودي من شاطيء الواد الأيمن في البقعة المباركة من الشّجرة أن يا موسى إنّي أنا الله ربّ العالمين * وأن ألق عصاك فلمّا رءاها تهتزّ كأنّها جآنّ ولّى مدبراً ولم يعقّب يا موسى أقبل ولا تخف إنك من الأمنين.(القصص :٣٠-٣١) .

٢ـ استفاد الدكتور جميل سعيد عضو المجمع العلمي العراقي أن في لغة الشعر الجاهلي ألفاظاً استعملت ولا يسدّ غيرها مسدّها . وكانت تلك الألفاظ قد استخدمت في لغة التخاطب والحديث « تلك اللغة ذات الألفاظ الواضحة المتداولة المفهومة ، يقولها ـ امرؤ القيس .: وكأنه يرى فيه تسلية وعزاء لنفسه ، يقول ([3]) .

بكى صاحبي لما رأى الدرب دونه * وأيقن أنا لاحقان بقيصرا
فقلت له : لا تبك عينك إنما * نحاول ملكاً ، أو نموت فنعذرا

[1]) عناد غزوان ، التحليل النقدي والجمالي للأدب : ص .٣٢.
[2]) أحمد عبد الستار الجواري ، نحو القرآن : ٣٨ .
[3]) امرؤ القيس ، الديوان : ٧٢ .

خلاصة القول : إن البحث عن دلالات الألفاظ من حيث معناها ينبغى أن يتم من خلال السياق الذى يوجد فيه المفهوم (الكلمة) ومن ذلك يتضح ضرورة سرد التعريفات المتنوعة للكلمة او المفهوم ومعرفة جملة التعريفات فى سياقات مختلفة لمعرفة الترابط بين تلك التعريفات فى سياقات متنوعة وأيضا ضرورة معرفة سبب صياغة ذلك التعريف والدلالة المعنوية التى أدت إلى ذلك المعنى .

وفيما يلى عرض للتعريفات المتنوعة لمفهوم " البيئة " كذلك عرض للعديد من المفاهيم المرتبطة بمفهوم البيئة بغرض البحث عن الدلالات التى يمكن أن نستنجها منها .

ثانيا: تعريفات لغوية وقاموسية واصطلاحية للبيئة .

تعددت تلك التعريفات لعل منها ما يلي :

(١) تدل كلمة (البيئة) في معاجم اللغة العربية على (النـزول والحلول في المكان)، ثم أطلقت الكلمة مجازاً على المكان الذي يتخذه الإنسان (مستقراً لنزوله وحلوله)، أي على: المنزل، والموطن والموضع الذي يرجع إليه الإنسان فيتخذ فيه منزله وعيشه[١].

(٢) (البيئة) في العلم هي: "الوسط أو المجال المكاني الذي يعيش فيه الإنسان، بما يضم من ظواهر طبيعية وبشرية يتأثر بها ويؤثر فيها"[٢].

(٣) عرفتها موسوعة Van Nostrand's Scientific Encyclopedia بأنها: "مجموعة الظروف والعوامل المادية المحيطة بالكائن الحي ومكوناته"[٣]. وعلى هذا يمكننا القول بأن البيئة (في إطارها العام) هي "كل ما هو خارج جسم الإنسان" ويؤثر فيه، ويتأثر بالأنشطة التي يمارسها الإنسان نفسه.

(٤)البيئة : الأشياء والظواهر المحيطة بالإنسان ؛ وفى ضوء ذلك المعنى أو ضح " كلود برنا رد " إن الإنسان يتأثر بيئتان هما " البيئة الكونية أو الخارجية " و " البيئة العضوية أو الداخلية "[٤])

---

(١) **لسان العرب**، ابن منظور، الجزء الأول، صفحة ٣٦: ٣٧.

(٢)محمد عبد القادر الفقي ،**البيئة: مشاكلها وقضاياها وحمايتها من التلوث (رؤية إسلامية)**، ، مكتبة ابن سينا، القاهرة، صفحة ٨: ١٠.

(3) **Van Nostrand's Scientific Encyclopedia** Edited by Douglas M. Considine, Van Nostrand Reinhold Company, New York, U.S.A, Page 961.

[4]) جميل صليبيا ،(١٩٧٨م) . المعجم الفلسفى ، مجلد (١) ، القاهرة : دار الكتاب اللبنانى المصرى .

(٥) البيئة كمفهوم مرادف للزمان والمكان وكمفهوم مرادف للوسط وذلك من جهة أنهما إطاران محيطان بالظواهر الطبيعية([١]) .

(٦) البيئة هي كل ما يحيط بالجماعة من عوامل طبيعية (مثل المناخ والنبات والحيوان والتضاريس ..الخ) وعوامل بشرية (تتعلق بالأفراد وما بينهم وبين الجماعة من علاقات ؛ وما لهم من تقاليد وعادات وقيم تنظِّم حياتهم) ؛ وفى ضوء ذلك المعنى فالبيئة تعنى مجموعة الظروف والعوامل التي تحيط بالكائن الحي مؤثِّرة فيه ومتأثِّرة به([٢])

(٧) تم تعريف البيئة في المؤتمر المنعقد باستوكهلم سنة ١٩٧٢م بأنها "كل شيء يحيط بالإنسان "

(٨) عرفها البعض بأنها المجال الذي تحدث فيه الإثارة والتفاعل لكل وحدة حية ، أوهي كل ما يحيط بالإنسان من موارد طبيعية ومجتمعات بشرية ونظم اجتماعية([٣]).

٩) البيئة من منظور علم النفس : تستخدم كلمة " البيئة " للإشارة إلى جميع الظروف والعوامل المكانية والمادية والمعنوية المحيطة بالفرد سواء كانت تلك العوامل فيزيائية أو كيميائية او بيولوجية أو اجتماعية .. وكثيرا ما يستخدم كلمة " الوسط" بمعنى " البيئة " – كما يشير البعض إلى أن كلمة البيئة بقدر ما تشير عادة إلى العوامل والظروف الخارجية فإنها ايضا تشير إلى " البيئة الداخلية (عند الإشارة إلى كيمياء الجسم وسوائله مثلا) ([٤])

[1])معجم العلوم الاجتماعية ، (١٩٧٥م) تأليف نخبة من الأساتذة المصريين مراجعة إبراهيم مدكور ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب .

[2]) رشيد الحمد ومحمد سعيد صباريني ، (١٩٧٩م) .البيئة ومشكلاتها ، سلسلة عالم المعرفة (رقم ٢٢) ، الكويت .

[3]) مصطفى العلواني /التلوث جريمة الجشعين /مجلة.

[4])وليم الخولى (١٩٧٦م) .الموسوعة المختصرة فى علم النفس والطب العقلى ، (ط١) ، القاهرة : دار المعارف .

ثالثا : نحو مفهوم للبيئة من منظور إسلامي([1])

يلاحظ إن الحديث عن البيئة في القرآن متضمّنا في الآيات التي تتحدَّث عن نعمة الله وتسخيره ما في الكون لصالح الإنسان. والمنطق يقضي أن يكون شكر النعمة بالحفاظ عليها، واستعمالها على الوجه المشروع، بما لا يعود عليها بالإبطال والإلغاء، أو التعطيل والفساد.

وقد ورد ذكر الأرض وما فيها من نظام بديع يحكم ما تحويه الأرض في باطنها، و ما يعلو فوقها من أحياء وجماد، أو ما يحيطها من كواكب ونجوم، وهواء وفضاء، وذلك في عشرات الآيات من القرآن الكريم. فقد ذكرت الأرض في القرآن(٢٨٧مرّة) إجمالا، وأكثر من نصف هذا العدد له صلة بموضوع البيئة. إذ نجد تلك الآيات تتحدَّث عن تسخير الله لما في الكون لصالح الإنسان، وأنّه خلقه بمقدار وأنزله بمقدار، وأيُّ خلل في هذه المقادير يعد ناقوس خطر يهدِّد الحكمة من الخلق، ويعطِّل هذه المخلوقات عن أداء وظيفتها، وسيرها وفق النظام المرسوم.

ومن هذه الآيات الكريمة قول الباري : "إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُون" (سورة البقرة: الآية ١٦٤).

"الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلاَ تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ"(سورة البقرة: الآية ٢٢)

"أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا وَعِنَبًا وَقَضْبًا وَزَيْتُونًا وَنَخْلاً وَحَدَائِقَ غُلْبًا وَفَاكِهَةً وَأَبًّا مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ" (سورة عبس: الآية ٢٥-٣٢).

"وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُون" (سورة الجاثية: الآية ١٣).

---

[1]) انظر لذلك :- **مصطفى صالح باجو** ، مشكلة البيئة من منظور إسلامى ، دراسة منشورة فى الموقع الإلكترونى :http://elhamiz.jeeran.com/index.htm

- أبوصبرينال فارس مسدور ، البيئة من منظور إسلامى ، دراسة منشورة فى الموقع الإلكترونى :
abouabdelbassetfares@yahoo.fr

وتوعَّد الله الذين يفسدون في الأرض بالوعيد الشديد، ونعى عليهم هذا المسلك المذموم، "وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ الْفَسَادَ" (سورة البقرة: الآية ٢٠٥).

ونهى عن الفساد في الأرض، وعاب على أهله فعلتهم، وإن زعموا أنهم يصلحون "وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُوا فِي ٱلْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ" (سورة البقرة: الآية ١١).

وتفضَّل المولى بذكر حكمة التدافع، وأنّه لصالح الإنسان،

"وَلَوْلاَ دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتْ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ" (سورة البقرة: الآية ٢٥١).

ففساد الأرض محذور وبلاء، لا تستقيم معه الحياة، ومن حكمة الله أن حفظ للإنسان هذا التوازن في منظومتها ليستمرَّ سير الحياة، وذلك من فضل الله على الناس، ولكنَّ أكثرهم لا يشكرون.

وفي السنَّة النبوية نجد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يحثُّ على العمل النافع، ومنع من إحداث الضرر بالغير مهما كان نوعه ومقداره، وبلغ به التحذير منه، فأصدر هذا الوعيد الشديد، فعن ابن عباس قال: «سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: اتَّقُوا الْمَلاعِنَ الثَّلاثَ. قِيلَ: مَا الْمَلاعِنُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: أَنْ يَقْعُدَ أَحَدُكُمْ فِي ظِلٍّ يُسْتَظَلُّ فِيهِ، أَوْ فِي طَرِيقٍ، أَوْ فِي نَقْعِ مَاءٍ»[٤].

وعن حذيفة بن أسيد أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من آذى المسلمين في طرقهم وجبت عليه لعنتهم» [٥].

وعن أبي هريرة أَنَّ رسُول الله صلى الله عليه وسلم قَال: «اتَّقُوا اللَّعَّانَيْنِ؟ قَالُوا وَمَا اللَّعَّانَانِ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: الَّذِي يَتَخَلَّى فِي طَرِيقِ النَّاسِ، أَوْ فِي ظِلِّهِمْ»[٦].

وروى جابر بن زيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ملعون من آذى المسلمين في طريقهم»[٧].

والأذى يشمل بالضرورة كلَّ أنواع الأذى الماديِّ المنظور، وهو قصد الرسول في هذا الحديث. كما يتناول أيضا الأذى الخفي غير المنظور بالعين المجرَّدة، وهو ما كشفت عنه الوسائل الحديثة من التلوُّث الكيميائي والهوائي وغيره من أنواع التلوُّث الضارِّ.

وترك الناس أحرارا في إلقاء هذه النفايات – أفرادا كانوا أم مصانع وشركات – يتنافى والعدل الذي قامت عليه شريعة الإسلام، ويتناقض مع مبادئ الدين الحنيف، ومن أهمها منع الظلم، الذي أعلنه

المولى في الحديث القدسي: «عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فِيمَا يَرْوِي عَنْ رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: إِنِّي حَرَّمْتُ عَلَى نَفْسِي الظُّلْمَ، وَعَلَى عِبَادِي فَلَا تَظَالَمُوا»[٨]. وزكاه المصطفى بقوله: «إِيَّاكُمْ وَالظُّلْمَ، فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[٩].

ومِن تعاليم المصطفى عليه السلام فيما يتعلَّق بالحفاظ على البيئة الطبيعية النظيفة، ودعمها، حديث رواه أَنس بن مالكٍ قَال، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «إِنْ قَامَتْ السَّاعَةُ وَبِيَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ فَإِنْ اسْتَطَاعَ أَنْ لاَ يَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَفْعَلْ»[١٠].

وفي هذا الحديث النبوي دلالات حضارية سامية، منها تقديس العمل، والحثُّ على عمارة الأرض إلى آخر لحظات عمر الإنسان، وابتغاء النفع للبشرية جمعاء، وتحفيز على تحسين البيئة والعمل على توسيع المساحات الخضراء، لما لها من أهمية استراتيجية في دعم التوازن البيئي، فضلا عن تحقيق الأمن الغذائي، وهذه القضايا مما يشغل الناس، بل أصبحت من هواجس البشرية في عصرنا الحاضر.

مما سبق يتضح أنه يمكن تحديد مفهوم إجرائي للبيئة من منظور إسلامي كما يلي :

" كل ما خلقه الله سبحانه وتعالى بحكمته وقدرته وبقدر معلوم وسخَّره لخدمة الإنسان كنعم لا تعد ولا تحصى من (أرض وسماء وماء وهواء .. الخ) وبتوازن دقيق بحيث إذا ما اختل ذلك التوازن البيئي بفعل الإنسان ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس "

رابعا : مفاهيم مرتبطة بمفهوم البيئة :ظهرت العديد من المفاهيم المرتبطة بمفهوم البيئة قد يكون عرضها مفيدا لفهم وتوضيح " مفهوم البيئة " ومنها ما يلي :

١) <u>حماية البيئة ورعايتها:</u>

الحماية في اللغة: المنع والدفع. يقال: حمى فلانا، أي: منعه ودفع عنه[١]. وعلى هذا فإن اصطلاح (حماية البيئة) يدل على "المحافظة على البيئة من كل ما يفسدها أو يضر بها ويلوثها". أما الرعاية فإنها تعني: حفظ الشيء وتولي أمره[٢]، قال تعالى:

(١) **المعجم الوجيز**، مجمع اللغة العربية، وزارة التربية والتعليم، القاهرة، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م، صفحة ١٧٣.
(٢) المرجع السابق، صفحة ٢٦٩.

(.....فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ (الحديد){٢٧})[١]، أي: ما حفظوها وصانوها حق المحافظة والصيانة[٢]. وعلى هذا فرعاية البيئة تعني: إحاطتها بالحفظ والعناية والصيانة.

٢) مفهوم إقتصاد البيئة

أولا: اقتصاد :العلم الذي يبحث في الاستخدام الأمثل للموارد المادية والبشرية بهدف تحقيق أكبر ربح ممكن، أو إشباع الحاجات الإنسانية بأقل تكلفة ممكنة.

ثانيا: البيئة :مجموع الظروف والمؤثرات الخارجية التي لها تأثير في حياة الكائنات بما فيه الإنسان

وعليه فإن العلاقة بين الاقتصاد والبيئة كانت تتثمل في: تسخير علم الاقتصاد بغية الاستخدام الأمثل للموارد البيئية بكل أبعادها بغية تعظيم الربح وإشباع الحاجات الانسانية بأقل تكلفة.

وفى ضوء ذلك المعنى يتضح المنظور الإسلامي لعلاقة الاقتصاد بالبيئة

القاعدة الأساسية هي: لا ضرر ولا ضرار ؛ وعليه فإن هذه العلاقة تتثمل في:تسخير علم الاقتصاد الأخلاقي بغية الاستخدام الشرعي الرشيد للبيئة دون ضرر بها ولا بأبعادها بغية تحقيق الربح الحلال وإشباع الحاجات الضرورية الانسانية ؛ ولعل الفرق بين التعريفين واضح والجدول رقم (١) بين أهم تلك الفروق :

(١) الحديد/ ٢٧.

(٢) **معجم ألفاظ القرآن الكريم**، مجمع اللغة العربية، الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث، الجزء الأول، صفحة ٥٠٦.

جدول (١) الفروق الجوهرية بين التعريف الوضعي والإسلامي لمفهوم اقتصاد البيئة

التعريف الوضعي	التعريف من منظور إسلامي
استغلال أمثل للموارد	استغلال رشيد وأخلاقي
استغلال دون قيود شرعية	استغلال باحترام الشريعة الإسلامية
الهدف تعظيم الربح	الهدف تحقيق ربح حلال دون ضرر ولا ضرار
لم يهتم بتضرر البيئة والمجتمع	يحافظ على البيئة والمجتمع ويحرص على عدم الإضرار بهما
تعظيم الاستهلاك بإشباع الحاجات دون قيود	إشباع الحاجات الضرورية الحلال

٣) علم اقتصاد البيئة

العلم الذي يقيس بمقاييس بيئية مختلف الجوانب النظرية والتحليلية والمحاسبية للحياة الاقتصادية ويهدف إلى المحافظة على توازنات بيئية تضمن نمواً مستديماً

وفى ضوء المعنى السابق يتضح – ايضا – المنظور الإسلامي لعلم اقتصاد البيئة بأنه :

العلم الذي يقيس بمقاييس بيئية مختلف الجوانب النظرية والتحليلية والمحاسبية للحياة الاقتصادية الأخلاقية الرشيدة في إطار الفقه الإسلامي للمعاملات بهدف ضمان استغلال بيئي عقلاني يحافظ على توازنات البيئة وبما يحقق نمواً مستديماً مباحا.

(٤) مفهوم "الإسلام البيئي"([1])

قد يشكل ذلك المفهوم مدخلا طيبا للحفاظ على توازن النظام البيئي وفق الباحثة نوكل حيث أنها ترى أن مشاكل البيئة التي نعرفها هي نِتاج التصنيع والرأسمالية، لهذا فإنها تعتبر حديثة العهد. أما المصادر الإسلامية فقد نشأت منذ ما يزيد على ألف عام وفي سياق مختلف تماما. لهذا فليس لنا سوى الاعتماد على تصوّرات حول العلاقة بين الإنسان والبيئة، وهي علاقة ذات طبيعة عامة. جدير بالذكر في هذا المقام مصطلحات مثل: 'الفطرة'، وتعني النظام الطبيعي الأصلي، و'التوحيد'، ويعني وحدة الخلق، أي أن كل الأشياء في العالم ترتبط مع بعضها بعضا في علاقة لأن جميعها من آيات الله

[1]) نص حوار اجرته : إيرين جويرجين (٢٠٠٩م) مع باحثة ألمانية في مجال البيئة ، ترجمة: عبد اللطيف شعيب، حقوق الطبع: قنطر ، ٢٠٠٩.

وذات أهمية وقيمة وتستحق المحافظة عليها. ويندرج تحت هذه المصطلحات أيضا مصطلح 'الميزان'، وهو حالة الكون المبنية وِفق نظام معين يكفل حمايته وإعادته كما كان عليه. وأخيرا مصطلح 'خليفة'، الذي يشير إلى دور الإنسان كوَليّ على الخليقة، والإنسان عليه أن يحافظ على نظام الخلق وأن يستمتع بثمار الأرض وألا يكون مبذّرا في استغلال ثرواتها ومواردها.

كما أن المأثورات من أقوال وأفعال النبي والمسلمين الأوائل فيها أمثلة تحث على الترشيد والاقتصاد في استهلاك الثروات والموارد الطبيعية، وكذلك أيضا أمثلة على الرّفق بالحيوان، وكانوا في ذلك قُدوة للأجيال القادمة. هناك أنظمة في المناطق الإسلامية من العصور الأولى يعتبرها المرء آليات للحفاظ على الطبيعة والنوع، وهو ما يحاول المرء إحياءه اليوم. من هذه الأنظمة ما يسمى 'حَرَم'، وهي مناطق الحِمى، ومن بينها محميات عيون ومجرى الماء التي لا يجوز إعمارها بالسكان حتى لا يتلوّث الماء. وكانت هناك مروج وغابات لا يسمح بالانتفاع بها إلا في أوقات محددة، على سبيل المثال بعد انتثار حبوب اللقاح أو أوقات الجفاف، لأغراض معينة. هذه الإجراءات أضحت في طيّ النسيان في خِضمّ خصخصة الأراضي وتكثيف الزراعة وزيادة رقعتها. ومنذ سنوات يحاول المرء إعادة تطبيق هذه الإجراءات في نطاق مشاريع الحفاظ على النوع والشواطئ والمياه.

ومن ذلك يتضح إن البيئة والإسلام مترابطين معا وإن الإسلام دين يدعو إلى الحفاظ على البيئة وجمايتها ولكن معظم المسلمين اليوم ليسوا على علم بالعلاقة بين الدين وحماية البيئة ؛ مما يدعو بالضرورة إلى أهمية إحياء الدين وتنمية الوعى الدينى بين الأفراد . ولقد ظهرت كثير من الجمعيات الغربية التى تدعو لذلك مثل : المؤسسة الإسلامية للطبيعة وعلوم البيئة البريطانية تعتبر من أشهر المنظمات الإسلامية. وهي منظمة غير حكومية مسجلة لدى للأمم المتحدة وشقيقة للاتحاد العالمي للأديان وحماية البيئة. والمؤسسة الإسلامية للطبيعة وعلوم البيئة قامت بالتعاون مع هذه المنظمات التي تتعاون معها في القيام بإجراءات لحماية شواطئ إفريقيا. علاوة على ذلك قامت المؤسسة من خلال مشاريعها في بريطانيا العظمى بنشر صورة ذات تأثير إعلامي عن الإسلام البيئي. كما تبين رسائلها الإخبارية المحترفة "الإسلام البيئي" الكمّ الهائل للمناقشات التي تدور حول الإسلام والبيئة.. وبالمقارنة بذلك فإن ألمانيا لا تزال دولة نامية في هذا الخصوص.

(٥) القيم والأخلاقيات البيئية :

ويقصد به مدى تمتع الإنسان بقيم وأخلاقيات إنسانية تتفق وتعاليم الإسلام تحمى الإنسان وتمنعه من التهور في القيام بنشاطات قد تتسبب في الإخلال بالتوازن البيئي وزيادة تدهور البيئة التي يعيش فيها .

(٦) مذهب البيئة

ظهرت فى الوقت الحاضر مذاهب يرتبط اسمها بالبيئة وذلك دلالة واضحة على استشعار أهمية البيئة وخطورتها وضرورتها للإنسان .

(٧) النهج البيئي للتدريس :([1])

مدخل من مداخل التعليم والتعلم يستهدف تنظيم البيئة التعليمية داخل مؤسسات التعليم بحيث تستهدف تبصير الدارسين بالبيئة وتنمية الوعى البيئى لديهم وذلك من منطلق أن التعليم هو بطبيعته مستمد من البيئة ويستهدف تحقيق هدف التعامل الجيد مع البيئة بغرض تطويرها وتحسيمها وحمايتها – هذا علاوة على أن المواد الدراسية التى يتم إختيارها ما هى إلا زوايا رؤية للبيئة من كل حوانبها (حيث إن الموارد العلمية ومصادر البيئة العلمية تشكل مواد العلوم الطبيعية بالبيئة – وكذلك مصادر وموارد البيئة الاقتصادية تشكل مواد)العلوم الاقتصادية – وهكذا في بقية العلوم الدينية – القضائية – السياسية – العسكرية – .. الخ)

(٨) النظام البيئي (الوحدات البيئة)

ظهر ذلك المفهوم نتيجة لشيوع " أسلوب النظم " كأسلوب للبحث والدراسة فى الكون كنظام شامل يتكون من العديد من النظم الفرعية وكل نظام فرعى يتكون من العديد من العناصر المتكاملة والمتناسقة معا – وظهر نتيجة لذلك مفهوم " النظام البيئى " كمساحة طبيعية محددة (وحدة بيئية) وهى تعنى أية مساحة من الطبيعة وما تحويه من كائنات حيه ومواد غير حيه فى تفاعلها مع بعضها البعض ومع الظروف البيئية وما تولده من تبادل بين الأجزاء الحية وغير الحية " ومن الأمثلة لتلك الوحدات البيئية ما يلى :

[1]) يوسف صلاح الدين قطب ورشدى فام منصور (١٩٨٣م) . التعرف على مدى الأخذ بالنهج البيئى فى تدريس الكيمياء : دراسة فى تحليل المضمون ، دراسة مقدمة للحلقة الدراسية حول النهج البيئى فى تدريس الكيمياء ، القاهرة : مركز تطوير تدريس العلوم والرياضيات ، ص ، ٣ .

- الغابة كنظام بيئى -البحر كنظام بيئى - النهر كنظام بيئى

.. إلى غير ذلك من الوحدات البيئية .

ويلاحظ أن تلك الوحدات البيئة كل منها يمثل نظام بيئى متكامل فى حد ذاته يتكون من نظم فرعية وكل نظام فرعى يتكون من عناصر متكاملة ومتناسقة معا ويلاحظ أن تلك الوحدات البيئة لها خصائص عديدة لعل أبرزها ما يلى :

١) نعقد النظام البيئى ٢) توازن النظام البيئى ٣) انه يستخدم فضلاته

٤) سريان الطاقة فى النظام البيئى بنظام معين ٥) تعاقب النظام البيئى .

(٩) مفهوم البيئة الشامل في ضوء مفهوم النظم :

لعل التعريفات السابقة للبيئة تعتبر تعريفات" أحادية النظرة " وذلك يفسِّر تنوع وتعدد تلك التعريفات نظرا لتعدد المذاهب الفلسفية والرؤى ونوعية التخصص لصاحب التعريف . إلا أن مفهوم البيئة فى ضوء مفهوم النظم يعتبر – إلى حد ما – مفهوم شامل حيث إن البيئة يمكن تعريفها بأنها مجموعة متكاملة ومترابطة من النظم البيئية بينها وبين النظم الأخرى الخارجة عنها تفاعل متبادل متلك النظم منها (النظام الاجتماعى – النظام السياسى – النظام الاقتصادى – النظام الدينى – النظام القيمى – النظام القضائى – النظام العسكرى – النظام الإعلامى – النظام العلمى – النظام التكنولوحى – التظام التعليمى – النظام الإقليمى – النظام الدولى – النظام العالمى .. الخ) .

١٠) مفهوم المنظومات الخيوية للبيئة :

أوردت الاجتهادات العلمية إن الإنسان المتحضر المعاصر يعيش اليوم فى ظل منظومات ثلاث بلورها القصاص على النحو التالى :([1])

المنظومة الحيوية (الغلاف الحيوى) Biosphere

التى تشتمل على الأرض التى يعيش عليها ؛ والهواء الذى يتنفسه ؛ والشمس التى تمده بالطاقة ؛ والماء الذى يشربه .. وتضم تلك المنظومة الأجهزة الطبيعية والتى يبنى من خلالها الموارد اللآزمة لغذائه من التباتات والحيوانات وما يحتاجه من المعادن .تعتبر تلك المنظومة مسئولة عن الموارد

[1]) محمد عبد الفتاح القصاص ، (١٩٨٦م) . الموارد الطبيعية وحماية البيئة ، منشور في مجلة التنمية والبيئة ، عدد أبريل .

الأساسية للتنمية الاقتصادية والاجتماعية وهى قادرة على العطاء المستمر طالما يستمر التوازن بين مكوناتها .

المنظومة الصناعية Technosphere

وتشمل كل الإنشاءات التى صنعها الإنسان داخل المنظومة الحيوية مثل المبانى والسدود والطرق والمصانع .. الخ – كما أنها تضم أى عمليات صناعية تطرأ على المنظومة الخيوية والتى من شأنها أن تحدث تغييرا فى السلسلة الغذائية الطبيعية مثل عمليات استزراع الأراضى من حيث أن تغيير التكامل البيولوجى الطبيعى يدخل فى نطاق التغيير المصنوع .وتعتبر تلك المنظومة مسئولة عن العمليات الأساسية فى عمليات التنمية الحديثة مثل عمليات استخراج المعادن والحصول على الموارد الطبيعية الأخرى والعمليات التحويلية لهذه الموارد بهدف استخدامها فى التنمية ثم عمليات التخزين لفائض هذه الموارد .

المنظومة الاجتماعية Sociosphere

وهى تشتمل على أربعة أنواع من التنظيمات التى تنظم حياة الإنسان المعاصر وهى التنظيمات (السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية) – وتلك المنظومة مسئولة عن التحكم فى كلا المنظومتين الحيوية والصناعية بهدف توفير الموارد اللآزمة للتنمية .

فالموارد الطبيعية تعتبر إنتاجا طبيعيا للمنظومة الحيوية ؛ حيث تسخر المنظومة الاجتماعية التكنولوجيا لاستخراجها أو جمعها ثم إجراء العمليات التحويلية عليها لمعاملتها ثم تخزينها وذلك بواسطة المنظومة الصناعية .

وبذلك فإن تلك المنظومة لها اليد العليا على باقى المنظومات الحيوية والصناعية .

(١١) التنمية البيئية :

ظهر هذا المفهوم كرد فعل لعدم فهم المعنى الشامل لمفهوم البيئة – من جهة – والتدهور البيئي في كافة مجتمعات العالم – من جهة أخرى –وأصبح ينظر إليها من زوايا ورؤى متعددة تبعا لتعدد مجالات وجوانب البيئة ؛ بينما أصبحت الحاجة ماسة اليوم للنظر للتنمية من مفهوم البيئة الشامل وأنها طريقة عملية لدرء خطر " الكوارث البيئية "([1])

[1]) انظر لذلك ما يلي :

يرتبط بمفهوم التنمية البيئية عدة مفاهيم منها :

أ) حماية البيئة والتنمية المستدامة باعتبارهما قيمتين حضاريتين

مع كثرة المشكلات التي تعرضت لها البيئة منذ عهد الثورة الصناعية، ومع الزيادة المطردة في حجم هذه المشكلات، نشأ ما يعرف بالأفكار الخضراء، وهي الأفكار التي تنادي بحماية البيئة من أجل الحفاظ على كوكب الأرض وما فيه من أحياء، والحيلولة دون تردي جودة كل من الماء والهواء والتربة. وصارت المحافظة على البيئة قيمة من قيم الحضارة المعاصرة يتبناها السياسيون في برامجهم الانتخابية، والمخططون في إستراتيجياتهم التنموية، والإعلاميون في دعاواهم الحضارية. وانتشرت الأفكار الخضراء في العديد من البلدان،

مثل تلك الأفكار التي تنادي بإنقاذ الطبيعة والمحافظة على الأشجار وعدم قطع الغابات والمحافظة على التنوع الحيوي[1] وحماية طبقة الأوزون...إلخ.

ونتيجة لانتشار الفساد البيئي وتفاقم المشكلات البيئية (المتمثلة في التلوث، والاضطرابات الكبيرة في النظم البيئية، والاحتباس الحراري، والتصحر، وكثرة الأحياء المهددة بالانقراض) فقد أصاب الهلع الكثيرين من سوء المآل والمنحدر الخطير الذي ستهوي فيه الحضارة الحديثة إذا استمرت القضايا البيئية بلا علاج ناجع. وارتفعت أصوات الدعوة إلى تبني القيم الخضراء وإلى إعادة النظر في علاقة

- وفاء أحمد عبد الله (١٩٨٨م) . " نحو وضع استراتيجية قومية للتنمية من منظور بيئى تعمل على تحقيق التوازن البيئى كمعيار للتنمية المتواصلة " القاهرة : معهد التخطيط القومى ، أغسطس ، ص ، ١٤

- Sachs,I,(1977)Environment and development, :A New Rationale for DemesticPolicy in Formulation Co-operation Strategies, Joint Projects on Environmental Development Agency, In Secertarial ,HESC, Organizing Committee, Science Council

-Polunin, N. (1977), A short selection of conceivable Ecodisasters, of Japan , Science for Better Environment , Tokyo, PP., 327-334.

-Clodsley,J., -Thompson,(1974) Expanding Sahara" Environmental Conservation, No., 1.PP., 5-13.

(١) يقصد بالتنوع الحيوي: جميع أنواع النباتات والحيوانات، والكائنات الحية الدقيقة، والنظم البيئية والآلية التي تعمل بها هذه الأنواع. ويمكن تقسيم هذا التنوع إلى ثلاثة مستويات: التنوع الوراثي (الجيني) وتنوع الأنواع الحية وتنوع النظم البيئية. والتنوع الوراثي هو مجموع المعلومات الوراثية المتضمنة في مورثات النباتات والحيوانات. انظر: **التنوع الأحيائي**، د. عبد الحكيم بدران، سلسلة قضايا بيئية، الكتاب رقم ٤٤، الجمعية الكويتية لحماية البيئة، الكويت، صفحة ٩: ١٠.

الإنسان بالبيئة. ونشطت الجمعيات الأهلية والمنظمات غير الحكومية التي تنادي بالمحافظة على البيئة. وفي العقدين الأخيرين وصل المدّ البيئي إلى مدى كبير،

فحفلت أدبيات السياسة الخضراء برؤى جديدة تضع البشر "على مستوى متكافئ مع جميع الكائنات الحية الأخرى"[1].

وفي قمة الأرض الأولى التي عقدت في ريودي جانيرو بالبرازيل في عام ١٩٩٢، وهي القمة التي حضرها معظم ملوك دول العالم ورؤسائه، تم تبني مفهوم التنمية المستدامة باعتباره قيمة حضارية. وصار تحقيق هذه التنمية أحد الطموحات والأهداف الكبرى للعديد من دول العالم المعاصر، وبخاصة بعد ما تعرضت له كثير من موارد الأرض وثرواتها غير المتجددة لخطر الاستنزاف، حتى صار بعضها على شفا النضوب. ومع مطلع الألفية الميلادية الثالثة ازداد الاهتمام بتأصيل القيم الأخلاقية في مجال التعامل مع البيئة، والربط بين هذه القيم وبين أهداف التنمية المستدامة التي تسعى إلى تنفيذها الوكالات والبرامج المتخصصة بحماية البيئة. وبادرت الهيئات المتخصصة في حماية البيئة إلى توظيف القيم الدينية المرتبطة بحماية البيئة لتفعيل برامجها الخاصة بتحقيق التنمية المستدامة التي توازن بين الاستغلال الرشيد للموارد البيئية وبين توفير متطلبات التنمية الصناعية والزراعية والعمرانية والبشرية.

ب) العناصر الأساسية للتنمية المستدامة:

تقوم التنمية المستدامة على ثلاثة عناصر أساسية، هي: الاقتصاد والمجتمع والبيئة.

ومن الملاحظ أن هذه العناصر يرتبط بعضها ببعض، وتتداخل فيما بينها تداخلا كبيرا. فالاقتصاد أحد المحركات الرئيسية للمجتمع، وأحد العوامل الرئيسية المحددة لماهيته (مجتمع صناعي أو زراعي أو رعوي، إلخ). والمجتمع هو صانع الاقتصاد، والمُشكِّل الأساسي للأنماط الاقتصادية التي تسود فيه، اعتمادا على نوع الفكر الاقتصادي الذي يتبناه المجتمع (الرأسمالي، الاشتراكي، الإسلامي).

والبيئة هي الإطار العام الذي يتأثر بالأنشطة الاقتصادية ويؤثر فيها. كما تتأثر البيئة بسلوكيات أفراد المجتمع وتؤثر في أحوالهم الصحية وأنشطتهم المختلفة. ولذلك فإن أي برنامج ناجح للتنمية المستدامة لا بد له أن يحقق التوافق والانسجام بين هذه العناصر الثلاثة، وأن يصهرها كلها في بوتقة واحدة تستهدف الارتقاء بمستويات الجودة لتلك العناصر معا: أي تحقيق النمو الاقتصادي، وتلبية

---

(١) **بعيدا عن اليسار واليمين**، أنطوني جيدنز، ترجمة: شوقي جلال، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، الكتاب رقم ٢٨٦، صفحة ٢٦٩.

متطلبات أفراد المجتمع، وضمان السلامة البيئية، مع المحافظة في الوقت نفسه على حقوق الأجيال القادمة من الموارد الطبيعية وعلى التمتع ببيئة نظيفة. والعلاقة بين التنمية المستدامة وحماية البيئة علاقة وثيقة. وفي هذا الصدد تمثل حماية البيئة الهدف الأول في برامج التنمية المستدامة، ويرجع ذلك إلى أن البيئة هي المصدر الأساسي لجميع الموارد التي تتطلبها برامج التنمية المستدامة ومشروعاتها. والإخلال بالتوازن البيئي يؤدي إلى تدمير النظم البيئية وتدهور حالة الموارد الطبيعية (الحية وغير الحية) والتعجيل بنفاد بعضها أو إفسادها بحيث يتعذر استخدامها بشكل مناسب اقتصاديا. ولهذا فإن حماية البيئة تتطلب وضع ضوابط خاصة لبرامج التنمية المستدامة بحيث تكفل هذه الضوابط عدم تدهور النظم البيئية الطبيعية. وتتضمن هذه الضوابط ما يلي:

١- المحافظة على سلامة البيئة (خصوبة التربة، تدوير عناصر الغذاء، نظافة المياه، جودة الهواء).
٢- المحافظة على الموارد الوراثية للأحياء الحيوانية والنباتات، والحد من فقدان التنوع الحيوي.
٣- ترشيد الاستخدام المتواصل للموارد الطبيعية (وبخاصة الموارد النباتية والحيوانية)، بحيث لا يكون الاستهلاك أكبر من قدرة هذه الموارد على التكاثر والإنتاج.

وتقضي التنمية المستدامة بأن يراعي الإنسان هذه الضوابط، ويراعي أهمية صون النظم البيئية، وأن يخطط معدلات استهلاكه بحيث يحافظ على التوازن بين احتياجاته وبين طاقة تلك النظم وقدرتها على الاستمرارية والعطاء.

ج): مفهوم التنمية المستدامة في الإسلام:

على الرغم من حداثة مصطلح (التنمية المستدامة) فإن مفهومه ليس بجديد على الإسلام والمسلمين. فقد حفل القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة بالعديد من النصوص التي تمثل الركائز الأساسية للتنمية المستدامة، وتضع الضوابط التي تحكم علاقة الإنسان بالبيئة من أجل ضمان استمراريتها صالحة للحياة إلى أن يأتي أمر الله. ومن الجدير بالذكر أن مفهوم التنمية المستدامة في الإسلام أكثر شمولا، بل إنه أكثر إلزاما من المفهوم المناظر الذي تم تبنيه في أجندة القرن الحادي والعشرين المنبثقة عن قمة (ريو). فالنظرة الإسلامية الشاملة للتنمية المستدامة توجب ألا تتم هذه التنمية بمعزل عن الضوابط الدينية والأخلاقية، لأن هذه الضوابط هي التي تحول دون أية تجاوزات تفقد التنمية المستدامة مبررات استمراريتها. وفي الوقت نفسه فإن النظرة الإسلامية الشاملة للتنمية المستدامة تعنى بالنواحي المادية، جنبا إلى جنب مع النواحي الروحية والخلقية، فلا تقتصر التنمية المستدامة على الأنشطة المرتبطة بالحياة الدنيا وحدها، وإنما تمتد إلى الحياة الآخرة، بشكل يضمن تحقيق

التوافق بين الحياتين، ويجعل صلاحية الأولى جسر عبور إلى النعيم في الحياة الأخروية التي هي الحيوان، أي الحياة الحقيقية المستمرة بلا انقطاع وبلا منغصات.

وهكذا، فإن مهمة التنمية المستدامة في المنظور الإسلامي هي توفير متطلبات البشرية حاليا ومستقبلا، سواء أكانت مادية أو روحية، بما في ذلك حق الإنسان في كل عصر ومصر في أن يكون له نصيب من التنمية الخُلقية والثقافية والاجتماعية. وهذا بُعد مهم تختلف فيه التنمية المستدامة في المنظور الإسلامي عن التنمية المستدامة في النظم والأفكار الأخرى، لأنه يعتمد على مبدأ التوازن والاعتدال في تحقيق متطلبات الجنس البشري بشكل يتفق مع طبيعة الخلقة الإلهية لهذا الكائن. والتنمية المستدامة في المنظور الإسلامي لا تجعل الإنسان ندا للطبيعة، ولا متسلطا عليها، بل تجعله أمينا بها، محسنا لها، رفيقا بها وبعناصرها، يأخذ منها بقدر حاجته وحاجة من يعولهم، بدون إسراف، وبلا إفراط ولا تفريط. كما أنها تُعدّ لونا من ألوان شكر المنعِم على ما أنعم به على خَلقه، انطلاقا من كون العمل في الأرض نمطا من أنماط الشكر لله، كما قال تعالى: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْراً وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾[سبأ :١٣]

والتنمية المستدامة من هذا المنظور توجب على الأغنياء مساعدة الفقراء، فالمال مال الله، وهم مستخلفون فيه، قال تعالى: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحاً حَتَّى يُغْنِيَهُمْ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْراً وَآتُوهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّناً لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِن بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[النور :٣٣]، وقال: ﴿آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾[الحديد: ٧] ؛ ولأن الأغنياء إن لم يفعلوا قد يضطرون الفقراء إلى الضغط على الموارد الطبيعية واستنزافها من أجل الحصول على قوتهم وقوت أولادهم. وما تقوم به الدول الفقيرة من قطع جائر لغاباتها، وإقامة للصناعات الملوثة للبيئة على أراضيها يُعَدّ مثالا لما يمكن أن يفعله الفقر من دمار بيئي.

الدلالات المستوحاة من مفهوم البيئة والمفاهيم المرتبطة :

١) تعدد التعريفات حول "مفهوم البيئة" يوضح بجلاء غموض مفهوم " البيئة " مع غياب الرؤية الإسلامية لذلك المفهوم كما يتضح " شمولية مفهوم البيئة في الإسلام" بمقارنته بالمفاهيم المعاصرة للبيئة ؛ وذلك يوضح خطورة الاعتماد على تلك المفاهيم المعاصرة للبيئة خاصة وإن أخطار التدهور البيئي في عالمنا المعاصر تتزايد عاما بعد عام فى كافة مجتمعات العالم المتقدم والنامى .

٢) استحداث مفاهيم معاصرة مرتبطة بمفهوم البيئة يؤكد أهمية البيئة للإنسان ، كما توضح أهمية الرؤية الإسلامية للبيئة خاصة مفهوم " الإسلام البيئى " الذى تتبناه – اليوم – مؤسسات بريطانية وتدعو إليه مما يؤكد ضرورة تبنى العالم أجمع لمفهوم البيئة فى الإسلام كمخرج مناسب للخروج من الأزمة البيئية المعاصرة .

٣) ارتباط البيئة بقضية التنمية والتقدم فى المجتمعات ضرورة عصرية لكافة المجتمعات شريطة تطبيق القوانين والتشريعات المناسبة لحماية البيئة فى الإسلام .

الباب الثانى

النظام البيئى فى عالمنا المعاصر

– الفصل الثالث : تدهور النظام البيئي فى عالمنا العربى المعاصر

و علاقته بالنظم الخارجية المؤثرة عليه

– الفصل الرابع :التحديات البيئية على المستوى العالمى

الباب الثاني

النظام البيئي في عالمنا المعاصر

الفصل الثالث

تدهور النظام البيئي فى عالمنا العربى المعاصر و علاقته بالنظم الخارجية المؤثرة عليه

تمهيد :

يستهدف ذلك الفصل توضيح علاقة البيئة كنظام بالنظم الخارجية التي تؤثر فيها وتتأثر بها وذلك بغرض التعرف على نتائج ذلك التأثر والتأثير في البيئة كنظام لمعرفة بعض أسباب تدهور النظام البيئي في عالمنا المعاصر و مظاهر ذلك التدهور في عالمنا العربي الإسلامي من جهة وفى العالم أجمع من جهة أخرى ويسهم ذلك الفصل في استجلاء " أزمة البيئة المعاصرة " وأسبابها لمعرفة كيفية مواجهتها .

تصور مقترح لعلاقة نظام البيئة ببعض النظم الخارجية :

قد يكون من المفيد لمعرفة علاقة (التأثير والتأثر) بين النظام البيئي وبعض النظم الخارجية الأخرى وضع تصور لطبيعة تلك العلاقة في الرسم التخطيطي التالي :

جدول (٢) :شكل تخطيطي يوضح علاقة النظام البيئي ببعض النظم الخارجية

١) النظام العالمى الجديد		١٠) الإنسان ذو البعد العالمى	٤) النظام العلمى
٢) النظام الإقليمى		١٢) الثقافة الإنسانية	٥) النظام التكنولوجى
٣) النظام الدولى (المحلى)		١٤) البيئة كنظام عالمى واقليمى ومحلى	٦) النظام الإعلامى
السياسى	الاقتصادى		٧) النظام الإسلامى
الاجتماعى	الدينى	١٣) الثقافة المحلية	٨) النظام القيمى
القضائى	التعليمى	١١) الانسان ذو البعد المحلى	٩) نظم المعلومات

أسباب تدهور النظام البيئي في عالمنا المعاصر

لعل الجدول السابق يوضح أهم أسباب تدهور النظام البيئى المعاصر ومن أهمها :

١)أن مشكلة البيئة وأزمتها المعاصرة ليست مشكلة محلية بل هى مشكلة عالمية لتأثرها بالنظام العالمى والآقليمى والمجلى نتيجة قصور النظم (الاجتماعية – السياسية – الاقتصادية – التعليمية – العلمية – التكنولوجية .. وغيرها من النظم) سواء كانت تلك النظم عالمية أو محلية أم إقليمية فى مواجهة مشكلات البيئة المعاصرة .

٢) مشكلات البيئة المعاصرة كنتيجة أساسية للدورغير الملتزم نحو البيئة الذى يقوم به الإنسان نتيجة إخلالة بدورة الدينى كخليفة لله فى عمارة البيئة وليس فى تخريبها والإخلال بالتوازن البيئى .

٣) قصور نظام المعلومات فى العالم المعاصر فى مواجهة مشكلات البيئة رغم التقدم العلمى والتكنولوجى الذى يتسم به العصر الحاضر وذلك لغياب الوعى البيئى المستند على النظرة الإسلامية للبيئة ودور الإنسان فيها .

لعل تلك الأسباب تؤيدها الكثير من مظاهر التدهور البيئى فى عالمنا المعاصر سواء على المستوى المحلى أو الإقليمى أو العالمى ولعل منها على سبيل المثال لا الحصر ما يلى من مظاهر .

مظاهر تدهور البيئة وتدميرها نتيجة الحروب فى المنطقة العربية :

أولا : في فلسطين المحتلة :([1])

وعلى مستوى تدمير البيئة الفلسطينية فقد قام المستوطنون والجيش الإسرائيلي باقتلاع أكثر من نصف مليون شجرة مثمرة معظمها من أشجار الزيتون خلال الفترة من ١٩٧١-١٩٩٩. وقد استخدمت سلطات الاحتلال الإسرائيلي الطائرات لرش الأشجار والمزروعات الفلسطينية بالسموم للقضاء عليها. وعلى سبيل المثال بينت الدراسة أن ٩٥% من الغابات في قطاع غزة قد اختفت من ٤٢,٠٠٠ ألف دونم عام ١٩٩٧ إلى ٢٠٠٠ ألفي دونم عام ١٩٩٩. وخلال العدوان الإسرائيلي الأخير، قامت سلطات الاحتلال الإسرائيلي بتجريف مئات الآلاف من الدونمات، وقطع أكثر من مليون شجرة في غزة والضفة.ولم تتردد قوات الاحتلال الإسرائيلي، من استخدام الوسائل غير المشروعة والمحرمة دوليا، ضد المدنيين الفلسطينيين . فقد ذكرت تقارير وزارة الصحة الفلسطينية، أن عددا من

---

[1]) إسماعيل التلاوى ، (٢٠٠٩) " دور القوانين الدولية والشرائع السماوية في حماية المدنيين في زمن الحرب" دراسة منشورة بالانترنت .

المدنيين الفلسطينيين قد قتلوا بسبب الرصاص " الدمدم " المتفجر الذي أطلقه الجنود الإسرائيليون على المتظاهرين . كما استخدم جيش الاحتلال الإسرائيلي مادة اليورانيوم المنضب، المحرمة دوليا في ذخائره المستعملة ضد المدنيين الفلسطينيين، وبخاصة المقذوفات التي تم إطلاقها من زوارق الاحتلال الحربية في غزة ، وقذائف الدبابات وصواريخ طائرات الأباتشي في مختلف الأراضي الفلسطينية. وهذا ما أكدته الوثائق الأمريكية في معهد السياسات البيئية التابع لوزارة الدفاع الأمريكية. وأثبتت الفحوصات التي أجرتها اللجنة العلمية في السلطة الوطنية الفلسطينية، ارتفاع نسبة الإشعاعات في الأراضي الفلسطينية. وفي تقرير للعالم المصري طارق النمر، الذي أجرى تحليلا لعينات من الشظايا المستخدمة ضد المدنيين الفلسطينيين، أكد النمر وجود مادة اليورانيوم المنضب في هذه المقذوفات . ويعتبر استخدام هذا النوع من الأسلحة جريمة حرب واضحة ضد الإنسانية بالمعايير الدولية ، حيث أن هذا السلاح يعمل على الإبادة الجسدية ، ومن لم يقتل ، يبقى مشوها طوال حياته ، أو أن سلالته ستظل مشوهة أيضا لأجيال عديدة. ويضيف النمر ، أن هناك إمكانية لامتداد هذه الآثار إلى جميع الدول المحيطة بفلسطين ، وبخاصة سوريا والأردن . وتقول التقارير الطبية أن الإشعاع يؤثر على أنسجة الجسم المختلفة ، مثل الجلد وانسداد الأوعية الدموية وتلف الجهاز الهضمي ، وشل الخلايا الذهنية . والواضح أن إسرائيل قامت وتقوم بتجارب على أسلحتها الجديدة على الشعب الفلسطيني ، بدلا من قيامها بإجراء مثل هذه التجارب على الحيوانات ، مثلما فعلت الولايات المتحدة في حربها ضد العراق عام ١٩٩١ .

ونتيجة لهذا العدوان الإسرائيلي الهمجي ، يشهد الاقتصاد الفلسطيني حالة من التردي ، إن لم نقل حالة انهيار . فقد سجلت الأسر الفلسطينية تراجعا ملحوظا في الدخل الشهري. فقد تزايد عدد الأشخاص الوافدين إلى سوق البطالة فقد توقف أكثر من ١٦٠ ألف عامل فلسطيني عن العمل في إسرائيل. مما يؤدي إلى خسائر فادحة تقدر بعشرات الملايين من الدولارات من عائدات الاقتصاد الفلسطيني من خدمات العمل . ويؤكد علماء النفس أن هناك ارتباطا وثيقا بين الحالة المتردية للاقتصاد والوضع النفسي السيئ لأفراد الأسرة جميعا . ففي استطلاع أجرته الهيئة العامة للاستعلامات الفلسطينية على عينة عشوائية من الطلبة الجامعيين في مختلف الجامعات الفلسطينية في غزة والضفة الغربية ، شملت ١٣٧٠ طالبا وطالبة ، أظهرت أن ٧٣ % منهم يجدون صعوبة في تسديد الرسوم الجامعية ، بسبب أن الحصار الإسرائيلي قد تسبب في فقدان عمل أحد أفراد أسرهم .

لقد بينت الملفات الإسرائيلية التي فتحت أخيرا ، أن ٩٩% من القرى قد هجرت بسب الأعمال العسكرية الصهيونية ، والحرب النفسية " نظرية التخويف وإثارة الرعب " و ١% فقط بسب قرار أهالي

القرية أنفسهم بالمغادرة . ويوجد اليوم اكثر من خمسة ملايين لاجئ فلسطيني موزعين على الدول العربية والأجنبية. الأكثرية منهم تعيش في مخيمات ، وفي ظروف نفسية واقتصادية قاسية وصعبة للغاية .

لذلك فإن هذه الدراسة توضح التدهور الواضح في البيئة الفلسطينية بسبب تجريف الأراضى الزراعية والحالة النفسية السيئة للإنسان الفلسطينى غير القادر على مواجهة المشكلات البيئية من حوله .

ثانيا مظاهر تدمير البيئة بالكويت والعراق إثناء وبعد حرب الخليج :([1])

تركت سياسات النظام العراقي السابق وحروبه العبثية والعدوانية، الداخلية والخارجية، إرثاً بيئياً ثقيلاً، كجزء من الخراب والدمار الذي طال كافة مفاصل المجتمع العراقي، يتطلب حلولاً آنية وجذرية عاجلة.المؤسف ان حكام العراق الجدد واصلوا طيلة العامين المنصرمين تجاهل الواقع البيئي الراهن وتداعياته الصحية والإجتماعية، مستثنين إياه في إهتماماتهم الأساسية – بعكس ما يفترض، مع أن معالمه الكارثية تعشي العيون،وحتى الجمعية الوطنية إستكثرت تشكيل لجنة للبيئة ضمن لجانها الدائمة، ولم يتضمن الدستور الدائم سوى جملة فضفاضة لا تلزم أحد، ولليوم لم يصدر قانون البيئة الموعود، ولم ينضم العراق للإتفاقات البيئية الدولية.. من هنا تأتي أهمية المؤتمر العلمي عن البيئة العراقية، الذي إنعقد في لندن،في ٢٦ تشرين الثاني المنصرم،بمبادرة من لجنة دعم الديمقراطية في العراق، بالتعاون مع معهد دراسات الشرق الاوسط في كلية الدراسات الشرقية والافريقية– جامعة لندن SOAS ، ورابطة الأكاديميين العراقيين،وشاركت فيه نخبة من العلماء والخبراء والباحثين الدوليين والعراقيين، قدمت ١٠ اوراق بحثية في سياق عدة محاور اساسية، سلطت الضوء على الكثير من المشاكل البيئية الساخنة وتداعياتها الإجتماعية والصحية، وقدمت مقترحات عملية لمعالجتها.

<u>الموارد المائية والاراضي الرطبة في العراق</u>

المحور الأول الذي تناولته أبحاث المؤتمر إبتدأه البرفسور توني آلن– شخصية اكاديمية عالمية، وأستاذ في جامعة لندن– وحدة أبحاث المياه، معهد دراسات الشرق الاوسط في كلية الدراسات الشرقية، بورقة عنوانها: "التنوع الاقتصادي والقوانين الدولية للمياه والحالة العراقية"، تطرق فيها الى

[1]) كاظم المقدادي ، (٢٠٠٨م) . الطبيعة، التلوث ، وحماية البيئة ونشاط حركات الخضر، الحوار المتمدن – العدد: ١٤٠٧ – ٢٠٠٥ / ١٢ / ٢٢ ، منشور فى الانترنت موقع : **kalmukdadi@hotmail.com**

نزعة الهيمنة على أحواض مياه النهر المشتركة، والعلاقات الدولية، وقانون المياه الدولية،وركز على تطور قواعد القوانين للانهار الدولية المشتركة، ومفهوم الامن المائي، والامن الاقتصادي، واستقلالية القرار في قطاعي المياه والامن الغذائي، وضرورة تضمينها لصالح العراق في علاقاته المائية، داعيا الى تنويع مصادر الاقتصاد العراقي، وتطوير التقنيات الحديثة لمعالجة المياه، وتعزيز القدرات الذاتية، مشيراً الى أن تأريخ الشرق الأوسط والعراق يبين بشكل واضح بأن الأمن الإقتصادي ينجز فقط بتحسين رأس المال البشري ودمجه برؤوس أموال أخرى، العراق غني بها فعلاً، والمقصود هو رأسماله المالي المتحقق من الإيرادات النفطية.فعندما يؤهل الرأسمال البشري والبنى التحتية الحديثة تصبح العوائق الأمنية غير مؤسسة بيئياً.

الورقة الثانية قدمها الأستاذ مارك زيتون- الخبير في القسم الجيوغرافي- الكلية الملكية- جامعة لندن، وعنوانها: "أستراتيجيات إدارة المياه على إمتداد دجلة والفرات في ظروف الهيمنة المائية"، تناول فيها أستراتيجية ادارة الموارد المائية لنهري دجلة والفرات في ظل نظام الهيمنةِ المائيةِ في الحالةِ السياسيةِ المائيةِ القائمة حالياً، باحثاً مفهوم القوة والهيمنة على الموارد المائية وعلاقتها بالامن المائي، مركزا على دراسة التجربة المصرية والاسرائيلية والتركية في التعامل مع بلدان حوض النيل والليطاني ونهر الاردن ودجلة والفرات، والتحكم بمصائر بلدان ادنى المصب،حيث تسيطر تركيا،مهيمنة مائياً، على تدفقِ نهري دجلة والفراتِ، مستغلة موقعها المؤاتي على مناسب المياه من أعلى المصب بحق لا تماثلي كبير، داعيا الادارات العراقية التنسيق المشترك مع سوريا، والتعبئة الاعلامية والعلمية والدبلوماسية، لتنظيم حقوق الموارد المائية المشتركة. ويرى خطأ اعتماد مفهوم الكمية في تقسيم الموارد المائية بين الدول الثلاث، والاستعاضة عنها بالنسبة المئوية.

الورقة الثالثة كانت للخبير الدولي الاستاذ حسن برتو-رئيس فريق انعاش اهوار جنوب العراق في برنامج الامم المتحدة للبيئة، بعنوان:"عودة المياه الى اهوار وادي الرافدين: تحليل مسح الاقمار الصناعية"، تناول فيه التطورات الحديثة لاهوار جنوب العراق، مشيراً الى تعرض الاهوار المذكورة لعمليات تعرية وتدهور خلال العقدين الاخيريين من القرن العشرين. ومثلت تلك المناطق شبه الرطبة اكبر نظام ايكولوجي شبه رطب في غرب اسيا والشرق الاوسط،، حيث تراجعت الى ٧ في المائة من مساحتها الاصلية عام ٢٠٠٢. ولعبت مشاريع السدود لاعالي نهري دجلة والفرات دورا مباشرا في التسبب في تقليص تغذية مجاري النهرين والاهوار، وتطورات الحرب العراقية-الايرانية، وخطوات التجفيف الواسعة بعد انتهاء حرب الخليج الثانية.وعند سقوط النظام في عام ٢٠٠٣، وعلى نحو عاجل عادت الحياة من جديد للاهوار، وبذا سجلت عودة للحياة للاهوار بعد اكثر من عقدين من الزمن.وارتباطا بتلك التطورات، اتجه برنامج الامم المتحدة للبيئةالى متابعة وفحص التغيرات بشكل مباشر بهدف تحسين شروط احياء النظام البيئي عبر توفير الادوات الضرورية والتعامل مع السكان

المحليين وتحسين شروط حياتهم عبر الدراسات والتنسيق مع الجهات ذات العلاقة. وتظهر النتائج ان سرعة عودة الغطاء النباتي منذ عام ٢٠٠٣ تزداد بمعدل ٨٠٠ كيلومتر مربع سنويا.واشار الى الرؤيا الاستراتيجية للمرحلة القادمة، وسعي العراق لتحويل اهوار الحويزة الى محمية وطنية.

الورقة الرابعة قدمها الأستاذ عادل شريف– مركز أبحاث التناضح/ الأزموز Osmosis وتطبيقاته، كلية الهندسة، جامعة سوري، بعنوان:" نقص المياه في الشرق الأوسط: دور التكنولوجيا"، تناول خلالها نقص المياه وتطورالتقنيات الحديثة لمعالجة مشكلات النقص(ارتباطا بتزايد الطلب)، مركزاً على أهمية الماء ليس فقط كعنصر أساسي للحياة، بل وعنصر جوهري في إقتصاد كل بلد، مشيراً الى ان تحسين تجهيزات الماء، وتصحيح ومعالجة الماء، من شأنها ان تقلل نحو ٨٠ بالمائة من الأمراض في العالم وإنقاذ نحو ٣ ملايين إنسان من الموت سنوياً.وركز البحث على مشاكل الماء في العالم عموماً، وفي الشرق الأوسط خصوصاً، وإتخذ العراق كحالة خاصة، شارحاً كيف يمكن ان يساعد التطور التكنولوجي في حل أزمات نقص المياه،بالرجوع الى المخترعات الحديثة لجامعة سوري في مجالات التحلية ذات الكلفة المنخفضة، ومعالجة الماء، ومصادر الطاقة المتجددة، فلتلك الإختراعات قدرة لأحداث تغيير جدي في خصائص الصناعات إقتصادياً ومن حيث الفاعلية،كالتحلية،ومعالجة الماء، وتوليد الطاقة، والصناعات البترو–كيمياوية، والطاقة التي تستعمل أو تنتج كميات كبيرة من المحاليل المخففة. وبحث الجهود العلمية والفريق الذي يديره في التوصل الى تقنيات لمعالجة المياه المالحة والملوثة باسعار رخيصة، مما يخفف من عبء النقص الراهن والقادم.

<u>تدهور النظام البيئي ونوعية الحياة</u>

ضمن محور المشاكل البيئية العراقية الساخنة، قدم الأكاديمي والباحث في البيئة والتنمية علي عبد العزيز حنوش– الوكيل السابق لوزارة البيئة العراقية، ورقة بعنوان:" البيئة العراقية ومشكلاتها وسبل تنميتها"، تطرق فيها الى ما شهده القرن العشرين من تحولات خطيرة للنظام البيئي العام في العراق، انعكست بالتدهور المتسارع لجميع مكوناته: الموارد المائية، والزراعية، والتنوع الاحيائي، والغطاء الشجري، والنباتي، وارتفاع مستويات التصحر، وانتشار السموم، وامراض نقص الغذاء، وتدهور الخدمات، وغيرها. وقد تجسدت نتائج تلك الظواهر على المستوى الاجتماعي بصورة هجرات، وبطالة، وفقر، وتشوهات في التركيب الديموغرافي للسكان– بين المدينة والريف، وتدهور نوعية الحياة. ومثل اتساع دائرة العنف، بانواعه المختلفة، على مدى ٤ عقود، الظاهرة الاكثر تدميراً للبيئة العراقية،الطبيعية والاجتماعية. وإنعكست جميع تلك المظاهر في تراجع مؤشرات التنمية المستدامة للبيئة، والتي غدت مؤشراتها في العراق تمثل ادنى المستويات.وتناول البحث العلاقة المتبادلة بين التدهور البيئي وتراجع مؤشرات التنمية. وإستخلص بأن حماية البيئة تستدعي خياراً استراتيجياً يعتمد

التنمية المستدامة، في ظروف تتسم بالسلام، والتوافق الاجتماعي، من اجل تأمين مستقبل امن، وحق للاجيال القادمة أن تتمتع في العيش والتقدم في بيئة خالية من التلوث.

وقدم الأكاديمي عبد الحسين مهدي عواد ورقة بعنوان:" اليورانيوم المنضب– دراسة عن اثاره في بيئة العراق"، تناول فيها تعريف العلماء لمصطلح **Depleted Uranium** ، وشروحهم لآثار اشعاعاته التي لوثت بيئة العراق، والدراسات التوثيقية للتلوث به بعد حرب الخليج الثانية، وكيف اصبح السبب في انتشار الامراض التي لا عهد للعراق بها، مشيراً الى مراحل الكشف عن اثار تلوث البيئة العراقية باشعاعات اليورانيوم، وتدرجت من التكتم والتنويه الصحفي الغامض والمتردد في بيان الحقيقة الى مرحلة الكشف الاعلامي الميداني عن ظواهر التلوث.

<u>التشوهات البيئة الإجتماعية</u>

وأولى المؤتمر أهتمامه لتشوهات البيئة الإجتماعية والنفسية، التي حصلت في ظل نظام البعث العراقي.فتناول الأكاديمي والباحث في علم الإجتماع ابراهيم الحيدري:" تشوهات البيئة الاجتماعية في العراق"، معتمداً في دراسته على تفكيك وتحليل البنية الاجتماعية والنفسية والشخصية العراقية المستلبة،والمشاكل التي افضت الى تشوهات في البيئة الاجتماعية، بعد ثلاثة عقود من الاستبداد والحروب والحصار والذل والمهانة، وتركت وراءها مجتمعاً مفككاً، وشعباً ممزقاً ومنقسماً على ذاته، وتدهوراً إقتصادياً وثقافياً وسياسياً، ونكوصاً حضارياً، عمل على تدمير انسانية الانسان وكرامة الفرد وقيمه الوطنية، مشيراً الى عدم إكتمال فرحة العراقيين بسقوط النظام الشمولي بسبب التركة الثقيلة والخانقة التي خلفها ورائه، وتخبط قوات الاحتلال، وعدم وجود قيادات وطنية كفوءة تتخطى حدود المصالح الضيقة،عملت جميعا على عدم إعادة بناء الفرد والمجتمع والدولة، وكذلك إعادة بناء الانسان المكسور والنسيج الاجتماعي والنفسي والاخلاقي الممزق وتقويم الشخصية العراقية التي شوهتها العقود الثلاثة الماضية.هذه القضايا وغيرها سببت تشوهاً في البيئة الاجتماعية، وانتجت ما يسميه الباحث " الردة الحضارية "، التي تظهر في الفوضى والعنف والارهاب، والتي جعلت العراقيين ينخرطون في صراعات أثنية، ودينية، وطائفية، وحزبية ضيقة، اثرت بعمق على بنية المجتمع، بصورة عامة، وعلى العائلة والمرأة والطفولة، بصورة خاصة، وعمقت في الأخير انقسام المجتمع على ذاته.

البحث الآخر، وهو متمم للبحث السابق، قدمه الباحث في جامعة شيفيلد وطبيب الأمراض النفسية في مستشفى روثرهام– المملكة المتحدة، الأستاذ رياض عبد، بعنوان:"الإستبداد والامراض النفسية في العراق"، وكرسه للإستبداد وللدولة الإستبدادية، عارضاً فيه مفهوم الاستبداد، وتطور الدولة الإستبدادية، التي جاءتْ إلى الوجود مع بزوغ الدولة كظاهرة سياسية–إجتماعية منذ بضعة آلاف سنة.وتطرق الى الشكل الحديث،الإستثنائي، القاسي للإستبداد،الذي أبتكر أبان القرن العشرين على شكل حكم شمولي/ توتاليتاري، يستخدم القسر الجسدي والنفساني كطريقة أساسية للحكم.وركز على

خصائص نظام البعث في العراق والآثار الصحية النفسية والعقلية للإستبداد على الحاكم والمحكوم،واستراتيجية نظم الاستبداد واساليبها في عسكرة المجتمع والاعتماد على اجهزة الدولة وسلب ارادة الانسان وتدمير شخصيته وتفقير المجتمع واضعاف شعوره بالمسؤولية، مما أفضى الى تفكك المجتمع وتمزيق مكوناته، وتدمير انسانية الانسان وكرامة الفرد وقيمه الروحية.ودعا الى إعتبار مهمة منع الإنتهاكات الجماعية لحقوق الإنسان الأساسية مسؤولية دولية، ويتطلب إعادة تعريف مفهوم السيادة،وان يشترك المجتمع الدولي في مسؤولية المساعدة في عملية الإصلاح الإجتماعي للآثار الكارثية للدول الإستبدادية بعد سقوطها.

<u>التلوث وأبرز تداعياته</u>

المحور الأخير كرس للتلوث البيئي وتداعياته، فقدم الأكاديمي والباحث بطب المجتمع والبيئة كاظم المقدادي– الأكاديمية العربية المفتوحة في الدانمارك– قسم الإدارة البيئية، بحثاً بعنوان:"التلوث البيئي في العراق وتداعياته الصحية"، سلط فيه الضوء على التلوث البيئي الراهن وتداعيات الصحية في ظل الواقع الراهن للبيئة العراقية، مدللاً بالأرقام والصور الحية، على واقع مزري، وإهمال صارخ، رغم مرور ٣١ شهراً على سقوط نظام صدام حسين– المسؤول الأول عن كل الكوارث والمحن التي مر بها العراق طيلة حكمه.متناولاً أبرز معالم التلوث، وهي:١– أطلال ركام الحرب المنتشرة في ارجاء العراق. ٢– التلوث الإشعاعي الناجم عن ذخائر اليورانيوم المشعة، ونهب حاويات المواد المشعة وسكب موادها عشوائيا،الذي أثبتته، وبمستويات عالية جداً، العديد من القياسات الإشعاعية الميدانية.ووجود آلاف المواقع الملوثة في العراق– بتأكيد برنامج الأمم المتحدة للبيئة UNEP. 3– الذخائر غير المنفجرة، والأسلحة المحطمة، وملوثات كيماوية، متناثرة، فضلاً عن نحو ٢٠ مليون لغم أرضي،تنتشر في أكثر من ٢٠٠٠ موقع، تشكل أخطارا جمة، على المواطنين، وبخاصة الأطفال. ٤– تفجير أنابيب النفط،،التي تسبب تلويثاً للبيئة بسموم إضافية، وخراباً للإقتصاد الوطني وخسائر بمليارات الدولارات العراق بأمس الحاجة إليها. ٥– تزايد برك المياه الآسنة، وأكوام النفايات والقاذورات، وطفح مياه الصرف الصحي في الأحياء الشعبية،وإغراقها للشوارع والمحال السكنية، مع ما يرافقها من روائح كريهة، وذباب، وبعوض، وأمراض خطيرة عديدة نتيجة لها.ويشكل تلوث مياه الشرب كارثة حقيقية، حيث أثبتت الدراسات والتحاليل المختبرية تلوثه بكتريولوجياً في كافة المدن العراقية. ٦–الاغذية الفاسدة،التي تغزو العراق، واثبتت الفحوصات ضررها البالغ المسبب للسرطان والامراض الاخرى. ٧– إستمرار ظاهرة إنقطاع التيار الكهربائي، مع سوء الخدمات العامة، وبخاصة الطبية والصحية،الى جانب أنعدام الإجراءات الوقائية..ونتيجة للخراب البيئي السائد، إنتشرت الأمراض السرطانية،حتى تجاوز عدد المسجلين اليوم رسمياً أكثر من ١٥٠ ألف مريض، وإرتفع معدل التشوهات الولادية الى أكثر من ١٢ مرة، وحالات الإجهاض والولادات الميتة أكثر من ٤ مرات، وتفشت الأمراض المعدية بشكل مخيف، مما

ضاعف من معدلات الوفيات في العراق. وخلص البحث الى أن البيئة العراقية ما زالت مدمرة، وملوثة بكافة الملوثات البيئية، وموبوءة بالجراثيم والسموم الخطيرة.وهذا الواقع وتداعياته، لم يحض من قبل حكام العراق الجدد بالإهتمام الجدي المطلوب..

البحث الأخير بعنوان:"التأثيرات السمية الوراثية لتلوث الجو في العراق" قدمه البرفسور محمد الربيعي- جامعة دبلن-ايرلندا- وجامعة برمنجهام- بريطانيا،تناول فيه التلوث البيئي بإعتباره من اهم المخاطر التي تواجه العراق اليوم، وتهدد حياة الفرد العراقي، وحياه ونوعية الكائنات الحية الاخرى، ومجمل المنظومة البيئية وتوازنها.وتلعب العوامل الاقتصادية والامنية والسياسية دوراً في تأزيم الوضع البيئي المتردي بما يؤدي الى ترديه واستحالة اصلاحه. ومن ملوثات البيئة الخطيرة التي ركز عليها البحث تلوث الجو نتيجة تزايد عدد السيارات القديمة والدخان المنطلق من المحروقات،إضافة الى اليورانيوم المنضب، وغير المنضب، وتلوث المياه بالنفايات البشرية والحيوانية نتيجة تلف المجاري وانعدام التصريف الصحيح، بحيث اصبحت مياه الشرب غير صالحة للاستعمال أبداً.وسلط البحث الضوء على اهم أخطار تلوث الجو في العراق السمية والجينية. وطرح امثلة على بعض انواع الملوثات الخطيرة، وعلاقتها بالسرطانات، والامراض الاخرى، وتأثيراتها على الكروموسومات، والجينات، والتكوين الجنيني للانسان. وشرح الطرق العلمية في دراسة هذه الملوثات وتأثيراتها، ومنها الدراسات المسحية الوبائية/ الابيدميولوجية/ والبيولوجية والمختبرية.وأشار الى دراسة لتحديد تأثير الدقائق الدخانية المتساقطة نتيجة حرق ابار النفط الكويتية خلال حرب الخليج عام ١٩٩٢ على التراكيب الكروموسومية والجينية. كما تطرق الى اهمية توفر المعلومات البيئية لاجل تحديد اسباب المشاكل الصحية، وطرح الوسائل التي يجدها ضرورية لدراسة التلوث والحد منه.

لقد كان المؤتمر ناجحاً بكل المقاييس،من حيث الأبحاث القيمة التي قدمت، والحضور، والمناقشات الحية الواسعة، والمقترحات الجدية والبناءة. وفي ختام المؤتمر، صدر بلاغ شكرت فيه الهيئة المشرفة على المؤتمر كل من ساهم بإنجاح أعمال المؤتمر، وعبرت عن أملها بجمع وتعضيد اوراقه ونشرها على اوسع نطاق، وتنظيم مؤتمر دولي عن البيئة على ارض العراق، مع السعي لتشكيل هيئة دولية لحماية البيئة والتراث العراقي، ولتأسيس معهد لأبحاث البيئة العراقية يشارك فيه كافة العلماء والخبراء والباحثين المهتمين بقضايا البيئة العراقية.

ثالثا: مظاهر التدهور البيئى فى المحيط الإقليمى العربى عامة :([1])

المحيط الاقليمي للمنطقة العربية يمتد من المغرب وموريتانيا غرباً، عبر شمال أفريقيا والمشرق، الى الخليج العربي شرقاً، هي منطقة تواجه ظروفاً وتحديات بيئية مميزة. وعلى رغم أن المنطقة تزخر بموارد طبيعية فريدة ووافرة، هناك وعي غير كاف بأهمية البيئة في تعزيز النمو الاقتصادي ورفاه الانسان والحفاظ عليهما. ولا يتم دمج الاعتبارات البيئية بشكل كاف في الخطط والسياسات التنموية الوطنية، الأمر الذي يؤدي إلى استخدام غير رشيد للموارد الطبيعية في عمليات التنمية.

إن تغير المناخ، وارتفاع معدلات النمو السكاني، فضلاً عن النمو الاقتصادي والحضري السريعين في بعض البلدان، كلها عوامل تُضاعف تعرّض المنطقة للتحديات البيئية وتقيد قدرتها على إدارتها. ومن التحديات البيئية الرئيسية التي تواجهها المنطقة شحّ المياه، وتدهور الأراضي والتصحر، والقدرات غير الوافية لادارة النفايات، وتدهور البيئة الساحلية والبحرية، وتلوث الهواء وانعكاسات الاحترار العالمي. وفيما يلى عرض مختصر لبعض مظاهر تدهور النظام البيئى على المستوى الإقليمى للمنظقة العربية :-

١) المياه

هل من المقبول أن تُستنزف المياه الجوفية حتى آخر قطرة؟ وهل من المعقول أن يكون مستوى استهلاك المياه للفرد الواحد في بلدان الخليج العربي، الأكثر شحاً بالمياه، من بين الأعلى في العالم؟ إن النتيجة المؤسفة لهذه السياسات غير المستدامة هي أن هذه البلدان فقدت العناصر الأساسية للأمن المائي.

المنطقة العربية هي من المناطق الأكثر شحاً بالمياه في العالم. فقد بلغ معدل المياه المتوافرة سنوياً للفرد الواحد في البلدان العربية ٩٧٧ متراً مكعباً عام ٢٠٠١، هابطاً الى أدنى من تعريف الأمم المتحدة للفقر المائي. والتوقعات غير مشجعة: فبحلول سنة ٢٠٢٣، يتوقع أن ينخفض الرقم الى ٤٦٠ متراً مكعباً. والواقع انه باستثناء مصر والسودان والعراق ولبنان وسورية، يتوقع أن تعاني جميع البلدان العربية ضغطاً حاداً على المياه بحلول سنة ٢٠٢٥. ومن المحتمل أن يؤدي الاحترار العالمي المتوقع وما يستتبعه من تغير مناخي الى زيادة الضغط على الامدادات المائية المتضائلة أصلاً.

تشكل قضايا السياسات مشكلة رئيسية عندما يتعلق هذا الأمر بالمياه. فإن ما يزيد على ٨٠ في المئة من معظم الامدادات المائية المتوافرة في المنطقة العربية يُستعمل في الري. الى ذلك، فإن

[1]) التقرير السنوى الأول للمنتدى العربى للبيئة (٢٠٠٨م) منشور فى : **http://www.najibsaab.com/new/articledetails.asp?id=37**

مستويات الكفاءة في استخدام المياه منخفضة نسبياً في المنطقة، إذ تتراوح عادة بين ٣٧ و٥٣ في المئة. وينبغي تصحيح خسارة المياه والتكنولوجيات غير الكفوءة. ومع تضاؤل الامدادات المائية للفرد الواحد، يترتب على الحكومات أن تتبنى خططاً استراتيجية من شأنها زيادة كفاءة استخدام المياه والارتقاء الى درجة مثلى بتوزيع هذا المورد النادر على الميادين الزراعية والصناعية والمنزلية بما يؤمن الحاجات الانسانية والتنموية ويحقق الاستدامة. وكما يرى هذا التقرير، تحتاج السياسات المائية في المنطقة العربية الى إدارة رشيدة لجانب العرض وجانب الطلب، مع تكريس مزيد من الموارد لتطوير تكنولوجيات تحلية المياه المالحة المحلية.

٢) تغير المناخ

من بين القضايا البيئية العالمية، حازت قضية تغيّر المناخ على معظم الانتباه تقريباً في جميع الميادين، السياسية والاعلامية والعلمية فضلاً عن المجتمع المدني. وبالرغم من أن المنطقة العربية لا تساهم بأكثر من ٥ في المئة من انبعاثات الغازات المؤدية الى تغير المناخ العالمي، فإن تأثيراته على المنطقة ستكون قاسية جداً. والواقع أن المنطقة معرضة بشكل خاص بسبب ما تشهده من شح في الموارد المائية وارتفاع مستويات الجفاف والامتداد الطويل للخط الساحلي الذي يهدده ارتفاع مستويات البحر. والنظم الطبيعية والفيزيائية في العالم العربي تواجه بالفعل ضغوطاً كبيرة، وهذه سوف تشتد مع ارتفاع درجات الحرارة في المنطقة وانخفاض معدلات المطر.

وبحسب دراسات حديثة أجريت وفق نماذج مناخية، فإن العالم، ومن ضمنه المنطقة العربية، سيواجه زيادة في معدل درجات الحرارة السطحية تراوح بين درجتين مئويتين و٥،٥ درجات، بمتوسط ثلاث درجات مئوية مع نهاية القرن الحادي والعشرين. وبالاضافة الى ذلك، سوف يواكب هذه الزيادة في درجة الحرارة انخفاض متوقع في الأمطار يصل الى ٢٠ في المئة. ومن النتائج التي سيعاني منها العالم، ومنه المنطقة العربية، فصول شتاء أقصر، وفصول صيف أكثر جفافاً وسخونة، وارتفاع معدل موجات الحر، وازدياد التقلبات المناخية، وحصول أحداث مناخية متطرفة أكثر تكراراً. وبوضوح شديد، يجب إجراء بحوث حول استراتيجيات التكيف والتخفيف ومناقشتها وتنفيذها .ارتفاع مستوى البحر (SLR) نتيجةً ارتفاع درجات الحرارة يُحتَمل أن يتسبب بخسارة أجزاء جوهرية من الأراضي الزراعية في المنطقة العربية. وكمثال، فان ارتفاع مستوى البحر متراً واحداً فقط يحتمل أن يتسبب بخسارة ١٢ الى ١٥ في المئة من الأراضي الزراعية في منطقة دلتا النيل، ويمكن ان يخفض مساحة الأراضي في قطر بنسبة ٢،٦ في المئة. وبالاضافة الى القطاع الزراعي، فإن القطاعين الصناعي والسياحي والمناطق الحضرية والناتج المحلي الاجمالي في عدد من البلدان العربية، كلّها مهددة بأن تتأثر سلباً بارتفاع مستوى البحر.

ارتفاع درجات الحرارة سوف يزيد أيضاً حدوث موجات جفاف وتأثيرها في المنطقة، ما يهدد الموارد المائية والأراضي المنتجة. وكما يظهر في هذا التقرير، فإن تكرار موجات الجفاف ازداد فعلاً في الجزائر

والمغرب وتونس وسورية. وكانت موجات الجفاف التي حدثت أخيراً في الأردن وسورية أسوأ ما تم تسجيله منذ عقود كثيرة. إضافةً الى ذلك، فإن ازدياد تغي ر الأمطار والموارد المائية اللذين لهما علاقة مباشرة بتغير المناخ يؤثران على عدد من البلدان في المنطقة. ووجود مناخ أدفأ يؤدي الى ازدياد المتغيرات المناخية، وإلى ارتفاع خطر حدوث فيضانات وموجات جفاف، ويفاقم الوضع المحفوف بالمخاطر نتيجة الشح المائي المزمن الذي تواجهه غالبية البلدان العربية.

يبيّن هذا التقرير وجود نقص منذر بالخطر في القدرات العلمية والتكنولوجية، فضلاً عن الارادة السياسية للتصدي للمشاكل التي يسببها تغير المناخ في المن طقة العربية ومواجهتها. ولا توجد مرافق علمية كافية لدراسة هذه الظاهرة، كما لا تخصص أموال كافية للأبحاث. والدراسات التي تجرى ما زالت تترك فجوات يجب ردمها. إن استراتيجيات تخفيف آثار تغير المناخ والتكيف معه يجب دمجها في استراتيجيات التنمية، كما يجب التصدي سريعاً لقضا يا التخطيط والقدرة العلمية وإشراك الجهات المعنية والوعي الجماهيري.

٣) نوعية الهواء

مع استمرار تدهور نوعية الهواء في المدن العربية بشكل مطرد، ترتفع تكاليف العواقب الصحية والبيئية على نحو كبير. والمشاكل الصحية التي تعزى الى تلوث الهواء الناتج من قطاع النقل وحده تكلف البلدان العربية أكثر من خمسة مليارات دولار سنوياً. تعتمد البلدان في المنطقة العربية الى حد بعيد على النقل البري الشخصي، وهذه حقيقة أثبتتها المعدلات العالية لامتلاك السيارات. وعلى سبيل المثال، فإن عدد السيارات لكل ١٠٠٠ مواطن هو ٤٣٤ في لبنان و٣٧٨ في قطر و٣٥٧ في الكويت و٣٣٦ في السعودية و٣٢٢ في البحرين. وقطاع النقل مسؤول عن نحو ٩٠ في المئة من مجمل انبعاثات أكاسيد الكربون في البلدان العربية. وبالرغم من مبادرات كثيرة مرحب بها لحظر الرصاص، فهو يبقى مادة إضافية في البنزين في بعض البلدان العربية، وما زال يشكل أكثر من نصف مجمل الانبعاثات الرصاصية في الغلاف الجوي. وقد اعتَمدت بعض البلدان الوقود غير المحتوي على الرصاص، من دون أن تفرض استعمال المواد الاضافية اللازمة من أجل التشغيل الكفوء لقافلة السيارات ذات المحركات القديمة، التي تشكل غالبية السيارات في معظم البلدان. فالاحتراق غير الكفوء أدى بالنتيجة الى زيادة منذرة بالخطر في مستويات الأوزون الأرضي، وهو غاز له تأثيرات مدمرة على الصحة.

وارتفعت انبعاثات أكاسيد الكربون للفرد الواحد بشكل مطرد في معظم بلدان المنطقة في العقود الثلاثة الأخيرة. وعلى المستوى الاقليمي، تنفث البلدان الخليجية نحو ٥٠ في المئة من مجمل انبعاثات البلدان العربية جميعاً. يضاف إلى هذا أن البلدان في هذه المنطقة هي الوحيدة في العالم العربي التي تتجاوز انبعاثاتها من ثاني أوكسيد الكربون المعدل العالمي. ولاعطاء بعض الأمثلة، ففي عام ٢٠٠٣ كانت الانبعاثات في الامارات وقطر والبحرين والكويت أعلى من المعدل العالمي بـ ١٣ و٩ و٨ و٧ مرات على

التوالي. ولدى بلدان مثل ليبيا وعُمان والسعودية انبعاثات للفرد الواحد أعلى من المعدل العالمي، في حين أن بقية البلدان العربية مساوية لها أو أقل منها.

وهناك مشكلة رئيسية في المنطقة العربية، هي أن بلداناً قليلة فقط تراقب مستويات تلوث الهواء بشكل كاف ومنهجي ومتناسق، ما يجعل الأبحاث العلمية والقرارات السياسية صعبة. وقد سجلت نتائج المراقبة في مصر مستويات انبعاثات في مناطق حضرية ومجمعات صناعية ساحلية بلغت أحياناً مستويات تلوث أعلى من الحدود التي نصت عليها القوانين البيئية المصرية، بما يتراوح بين ستة وثمانية أضعاف. وتم جمع نتائج مماثلة في لبنان وسورية.

الحاجة ملحّة إلى مزيد من الاجراءات. ففي قطاع النقل، يجب جعل المحركات أكثر كفاءة، ويجب تشجيع استعمال السيارات الهجينة (هايبريد) وأنواع الوقود الأنظف، وتطوير النقل العمومي وترويجه، فضلاً عن تخطيط حضري أكثر توازناً، يؤدي إلى خفض استعمال السيارات للانتقال بين أماكن السكن ومراكز العمل والمواقع التجارية والترفيهية، وذلك بالموازنة بين مواقع السكن والعمل والتسوق والترفيه وربطها بشبكات النقل العام.

إلى جانب وسائل النقل، فإن محطات توليد الكهرباء والمصانع والحرق المكشوف للقمامة هي مصدر معظم الانبعاثات الضارة التي تُنفث في الهواء. والأمر يحتاج إلى الكثير في مجالات البحث والتطوير لتطبيق مبدأ الانتاج الأنظف واعتماد أفضل نظم توليد الطاقة وأكثرها كفاءة. ومن الضروري وضع حظر كامل لحرق النفايات في الأماكن المكشوفة.

إن توليد الطاقة واستهلاكها في المنطقة العربية ينحو الى أن يكون غير كفوء في معظم البلدان. يوصي هذا التقرير بإلغاء أشكال دعم المحروقات التي تشجع على التبذير، وتحسين الكفاءة الحرارية من خلال التطور التكنولوجي، واستخدام موارد الطاقة المائية إلى أقصى الحدود، واستعمال مصادر الطاقة المتجددة، خصوصاً الطاقة الشمسية وطاقة الرياح، على نطاق واسع، واستخدام أنواع الوقود الأقل تلويثاً، مثل الغاز الطبيعي، بشكل متزايد.

٤) البيئة البحرية والساحلية

البلدان العربية التي تمتد من المحيط الأطلسي الى المحيط الهندي، وتشمل البحر المتوسط والبحر الأحمر والخليج، لها خط ساحلي يزيد طوله على ٣٠،٠٠٠ كيلومتر، منها ١٨،٠٠٠ كيلومتر مناطق آهلة بالسكان. والبيئة البحرية والساحلية في المنطقة العربية يهددها التلوث والافراط في صيد السمك وخسارة التنوع البيولوجي وتغير المناخ ومشاكل أخرى. لكن لهذه المناطق أهمية حيوية للبلدان العربية، إذ توفر منافع للصحة العامة والأمن الغذائي والراحة، ومنافع اقتصادية واجتماعية أخرى.

ويمكن تحديد ثلاث مناطق بحرية رئيسية في العالم العربي: البحر المتوسط والبحر الأحمر وخليج عدن والمناطق التابعة للمنظمة الاقليمية لحماية البيئة البحرية - روبمي (الخليج). ويصنف برنامج البحار الاقليمية لدى برنامج الأمم المتحدة للبيئة، "يونيب"، هذه المناطق الثلاث بأنها تلك التابعة

لخطة عمل البحر المتوسط والهيئة الاقليمية للمحافظة على بيئة البحر الأحمر وخليج عدن والمنطقة البحرية التابعة لرويمي، وهي تشمل معاً عشرين من أصل اثنين وعشرين بلداً عضواً في جامعة الدول العربية.

ويقع البحر المتوسط شبه المقفل قبالة سواحل البلدان العربية في شمال أفريقيا وشرق البحر المتوسط. وبيئته الهشة يهددها النشاط الصناعي تهديداً واسع النطاق، إذ يقع على شواطئه أكثر من ٢٠٠ منشأة بتروكيميائية وطاقوية، وصناعات كيميائية، ومعامل كلورين. ونشير إلى أن "الأثْرفة"، أي عملية زيادة تخصيب المياه بالمغذيات مما يتسبب في كثافة نمو النباتات والطحالب بصفة أساسية، يترتب عليها انخفاض مستوى الأوكسيجين في المياه، وهي مشكلة مزمنة في مناطق معينة من البحر المتوسط، حيث تتسرب المخلفات الزراعية، وخصوصاً الأسمدة الكيميائية وانسكابات مياه الصرف الصناعية والحضرية غير المعالجة، إلى البيئة البحرية. الى ذلك، توجد حركة ناقلات مكثفة في المتوسط، مثل باقي بحار المنطقة، تَصِل مراكز استهلاك النفط الرئيسية بمراكز الانتاج في الشرق الأوسط. وأهم ممر لنقل النفط هو قناة السويس، التي تعبرها ٩٠ في المئة من مجموع ناقلات النفط.

منطقة البحر الأحمر وخليج عدن، وهي من البيئات الساحلية والبحرية الفريدة في العالم، تهددها تشكيلة من النشاطات البشرية، مثل عمليات التجريف والردم، والتخلص من مياه الصرف المنزلية والصناعية، وتوسلاع الصناعة السياحية. وغالبية هذه التهديدات حديثة المنشأ نسبياً، ولذلك يمكن أن تعزى جزئياً على الأقل الى التنمية غير المستدامة.

وتعتبر المنطقة البحرية التابعة لرويمي منطقة تلوث تنطوي على أخطار كبيرة. وسبب ذلك، بنوع خاص، العدد الكبير لمنشآت النفط والغاز البحرية وموانئ تحميل الناقلات وارتفاع حجم حركة النقل البحري للنفط وكثافته. ويقدر ان نحو مليوني برميل من النفط تراق نتيجة التصريف الروتيني لمياه حفظ توازن الناقلات والوحول الزيتية المترسبة في خزاناتها ومن ٨٠٠ منصة لاستخراج النفط والغاز.

الافراط في صيد الأسماك، أي الاستغلال غير الرشيد للمخزونات السمكية، هو مشكلة كبرى في منطقتي البحر المتوسط والبحر الأحمر وخليج عدن. والمشاكل الرئيسية هي، في المقام الأول، انعدام المعلومات حول المخزونات عبر الحدود، والتنسيق غير الكافي في ادارة المخزونات المشتركة، وانعدام الرقابة وتطبيق أنظمة الصيد القائمة. فضلاً عن هذا، فإن الشعاب المرجانية في المنطقة البحرية التابعة لرويمي ومنطقة البحر الأحمر وخليج عدن، التي يحدث في جوارها كثير من أعمال الصيد، يهددها تنوع من الضغوط البيئية، وخصوصاً الاحترار العالمي.

السياحة غير المنضبطة والتنمية الحضرية المكثفة هما المساهمان الرئيسيان في تدهور البيئتين الساحلية والبحرية. وتنطبق هذه النتيجة على المناطق الثلاث جميعاً. وتتعرض عدة مناطق محمية بحرية قائمة أو مقترحة، خصوصاً في منطقة البحر الأحمر وخليج عدن، لضغط شديد نتيجة الافراط في صيد الأسماك والسياحة.

أخيراً، لا توجد مناطق محمية بحرية كافية، وتلك الموجودة لا تدار على نحو واف وكفوء. وتبقى قدرات المؤسسات الكفوءة غير كافية، والقوانين والأنظمة القائمة لا تنفذ بشكل واف، والامتثال لا يراقب حسب الأصول، والتعاون الاقليمي وعبر الحدود يبقى غير كاف. ومن المستبعد أن يكون وضع البيئة البحرية في المنطقة العربية أفضل حالياً بالمقارنة مع ما كان عليه قبل ثلاثة عقود، حين بدأ العرب الانضمام الى المعاهدات والبرامج الدولية والاقليمية المتعلقة بالبحار.

٥) القحل والجفاف والتصحر

من الهموم الضاغطة بنوع خاص على جزء كبير من العالم العربي ارتفاع درجة القحل وما يرافقها من ازدياد تعرض الأراضي لتغير المناخ، فضلاً عن ندرة المياه وتغيرها. وتواجه الموارد الأرضية بنوع خاص في المنطقة العربية ثلاثة تحديات رئيسية: القحل وموجات الجفاف المتكررة والتصحر.

أهمية هذه القضية بالغة. فعندما تتعرض القدرات الانتاجية للأراضي الزراعية العربية للخطر نتيجة تدهورها، تتقوض أسس الأمن الغذائي. ومع ازدياد عدد السكان وتَسبلاب النمو الاقتصادي بارتفاع في معدلات الاستهلاك للفرد الواحد، تزداد الفجوة بين انتاج الطعام واستهلاكه، ويزيد الاعتماد على استيراد الطعام.

إن قضية القحل ذات علاقة وثيقة بقضية شح الموارد المائية. والواقع أن جميع الأراضي المنتجة زراعياً في البلدان العربية هي أنظمة هشة ميالة للتدهور ومعرّضة للتصحر الى حد بعيد. ويبيّن هذا التقرير أن التصحر يمثل التهديد الأكثر الحاحاً للأراضي المنتجة في المنطقة العربية برمّتها. ومن المهم للغاية الادراك أن التصحر هو أساساً ظاهرة من صنع الانسان يفاقمها تغير المناخ، والمطلوب اتخاذ اجراءات فعالة في كل بلد عربي لتخفيض دور الانسان في توسّع التصحر.

وبالنسبة الى التعاون في المجالات الدولية، يوجد عدد من الأمثلة. فقد أعد السودان خطة عمل وطنية لمكافحة التصحر عام ١٩٧٦، وكذلك فعلت تونس ومصر بعد وقت قصير. لكن البلدان العربية الأخرى تخلفت عن الاستجابة حتى الآن، إذ أُسندت درجة غير كافية من الأولوية لاعداد الخطط والبرامج الخاصة بمكافحة التصحر وتنفيذها.

المطلوب في المنطقة العربية مقاربة متكاملة تدرك إلحاح معالجة أخطار تدهور الأراضي. ويجب أن تتضمن هذه المقاربة جهوداً علمية وصناعية واجتماعية وتشريعية. وتوجد مؤسسات مثل المركز العربي لدراسات المناطق الجافة والأراضي القاحلة (أكساد) في دمشق، والمركز الدولي للبحوث الزراعية في المناطق الجافة (ايكاردا) في حلب، كما توجد وحدات أبحاث جامعية ومراكز أبحاث وطنية مختصة بالتصحر. لكن يجب حشد المزيد من الموارد لدعم البحث العلمي الذي يُعنى باستنباط الحلول التي تجد طريقها الى التنفيذ. ومن الأمثلة الواعدة مبادرات في السعودية وقطر والامارات ومصر لتأسيس صناديق لدعم الأبحاث، يؤمل أن تشتمل على برامج لتنمية الأراضي والموارد المائية وإدارتها بطريقة مستدامة.

٦) التكنولوجيا الحيوية والأسمدة والمبيدات

تلعب الأسمدة والتكنولوجيا الحيوية دوراً هاماً في القطاع الزراعي في المنطقة العربية. وباستثناء منتجات قليلة خاصة بالرعاية الصحية، فإن أياً من البلدان العربية لا ينتج حالياً منتجات لها علاقة بالتكنولوجيا الحيوية. لكن هناك ثلاثة عشر بلداً عربياً هي أطراف في بروتوكول قرطاجنة للسلامة الأحيائية الذي ينظم استيراد وتصدير الكائنات المعدلة وراثياً (GMOs). لذلك يقتصر الموضوع على استيراد الدول العربية للسلع المتعلقة بالتكنولوجيا الحيوية. كما يجب النظر إلى دور المنطقة العربية في المفاوضات الدولية حول الموضوع من هذا المنطلق. والمشكلة الرئيسية في المنطقة العربية حالياً هي تنفيذ البروتوكول بشكل غير واف، مما يؤدي الى حالات نجد فيها بعض السلع القائمة على منتجات معدلة وراثياً (مثل الذرة والرز الطويل وفول الصويا وزيت الطهو)، تُستورد وتتوافر في الأسواق العربية من دون الاعلان عنها أو وضع ملصقات عليها تبين محتوياتها. والنقطة الأساسية في المشكلة هي انعدام الآليات التنظيمية والتطبيقية والبنى التشريعية والادارية والخبرة التقنية. لذلك يجب توجيه المزيد من الموارد الى مجالات تطوير التكنولوجيا الحيوية، لتتمكّن البلدان العربية من اتخاذ قرارات معززة بالمعلومات حول المنتجات التي تستوردها، فضلاً عن تطوير التكنولوجيات الخاصة بها في مجالات مثل الزراعة والطب والمواد الكيميائية.

المبيدات والأسمدة تُستعمل على نطاق واسع في المنطقة العربية، ويُساء استعمالها في كثير من الحالات. وقد تضاعف استعمال أسمدة NPK في البلدان العربية أربع مرات بين عامي ١٩٧٠ و٢٠٠٢، حيث أن الامارات ومصر (أكثر من ٩٠٠ كيلوغرام من الأسمدة لكل هكتار) وعُمان (٦٤٤ كيلوغراماً) ولبنان (٤١٤ كيلوغراماً) تستعمل بعض أعلى كميات الأسمدة لكل هكتار في العالم. ويثير الاستعمال المكثف للمبيدات والأسمدة مخاوف حول سلامة الغذاء كقضية صحية عمومية. وما هو مفقود في معظم البلدان العربية فرض أنظمة وضوابط على بيع المبيدات وتداولها واستعمالها. الى ذلك، لا تتوافر مختبرات موثوقة لتحليل مخلفات المبيدات في معظم البلدان العربية. لذلك فإن الالتزامات التشريعية والمؤسساتية ضرورية في هذا الصدد. ويجب معالجة هذه القضايا على المستوى الاقليمي. فلدى كثير من بلدان المنطقة الموارد والقدرات اللازمة لأداء أفضل، والمفقود هو وعي واضح للموضوع.

ومع اتجاه عدة أجزاء من العالم الى الزراعة العضوية، فمن المتوقع أن يتضاءل الطلب على الأسمدة الكيميائية. وهذا سوف يشكل تحدياً جدياً لمنتجي الأسمدة الكبار في الصناعات البتروكيميائية العربية، الذين يجب أن يكونوا على استعداد للتنويع في منتجات جديدة بديلة.

٧) إدارة النفايات

ينتج العالم العربي نحو ٢٥٠،٠٠٠ طن من النفايات الصلبة كل يوم، ينتهي معظمها، من دون معالجة، في مكبات عشوائية. ويعالج أقل من ٢٠ في المئة حسب الأصول أو يتم التخلص منه في

المطامر، فيما يعاد تدوير ما لا يزيد على ٥ في المئة. وإنتاج الفرد الواحد من النفايات الصلبة البلدية في بعض البلدان العربية، مثل الكويت والرياض وأبوظبي، هو أكثر من ١،٥ كيلوغرام في اليوم، ما يجعله من أعلى المستويات في العالم. يضاف الى ذلك أن أجزاء المنطقة العربية التي تشهد نمواً اقتصادياً وحضرياً سريعاً تنتج أيضاً الكثير من مخلفات الهدم والبناء. لذلك، فإن أحد المضاعفات الثانوية للنمو الاقتصادي المتزايد والازدهار هو تزايد مستويات إنتاج الفرد الواحد من النفايات.

يحدد هذا التقرير عدداً من جوانب الضعف في إدارة النفايات في المنطقة العربية. ففي بعض البلدان، لا يتم جمع نسبة كبيرة من النفايات المنتجة. في مصر، على سبيل المثال، يقدَّر أن ٣٥ في المئة من النفايات الصلبة البلدية لا تجمع بشكل منتظم. وهناك مسألة أخرى هي تداول النفايات الخطرة الناشئة من نشاطات زراعية وصناعية وطبية وحضرية، وجمعها ومعالجتها بطرائق غير سليمة. لكن من هذه الناحية، يعترف التقرير بعدد من المبادرات الواعدة التي يجري اتخاذها في المنطقة العربية، مثل المبادرات التشريعية في مجلس التعاون الخليجي ومصر وعُمان، فضلاً عن استثمارات في مرافق تستطيع فرز النفايات الخطرة والتعامل معها، وازدياد استثمار القطاع الخاص في صناعات إعادة التدوير، خصوصاً في السعودية والامارات.

أخيراً، يقترح التقرير أن تنكب بلدان المنطقة العربية على مشاريع تؤدي الى استحداث نظام متكامل لادارة النفايات، قادر على تداول كميات النفايات المرتفعة التي يتم إنتاجها والتخلص منها بأمان، بدءاً بتقليل النفايات وإعادة استعمالها، وصولاً الى نسبة عالية من إعادة التدوير. وبالنسبة الى الصناعات، يجب تطبيق تكنولوجيات الانتاج الأنظف لتخفيض النفايات المتولدة، بدلاً من حصر الجهود في معالجة النفايات "عند طرف الأنبوب"، أي بعد انتاجها. واعتماد التكنولوجيات الحديثة لا يعني بالضرورة مصاريف إضافية، إذ إنها تنطوي على نسبة عالية جداً من العائد على الاستثمارات، إضافة الى تلبية المسؤوليات الاجتماعية والبيئية للصناعة وقطاع الأعمال عموماً.

٨) النمو الحضري

النمو الحضري ظاهرة يمكن مشاهدتها في أنحاء المنطقة العربية، وتزيدها استفحالاً عوامل مثل ارتفاع نسب الخصوبة والهجرة من الريف الى المدينة واستقدام العمالة الأجنبية وتركز النشاط الاقتصادي في المناطق الحضرية. وفيما تقدر نسبة السكان العرب في المدن حالياً بنحو ٥٦ في المئة، يتوقع أن يرتفع هذا الرقم الى ٦٦ في المئة بحلول سنة ٢٠٢٠. ومستويات النمو الحضري عالية على وجه الخصوص في الكويت (٩٧%) والبحرين وقطر (٩٢%). وإضافة الى سرعة مستويات النمو السكاني، تكافح بلدان المنطقة العربية لادخال التحسينات الضرورية في قدرة البنى التحتية في المراكز الحضرية النامية. ومن التحديات الرئيسية ادارة النفايات ومخصصات الرعاية الصحية والمؤسسات التعليمية ونظم النقل. ومن الملاحظات الصارخة أن التنمية الحضرية ترتكز في شكل ساحق على نماذج منسوخة من بلدان أخرى، تتجاهل الى حد بعيد الخصائص التراثية والطبيعية للمنطقة.

النمو الحضري السريع في المنطقة العربية يجلب معه كثيراً من الضغوط على البيئة. فمشاريع التنمية الاقتصادية الكبيرة لا تسبقها حالياً دراسات كافية وشفافة لتأثيراتها البيئية. لذلك يبقى أن نرى ما إذا كان ارتفاع نسبة النمو الحضري في المنطقة العربية يمكن أن يجاريه ارتفاع بصورة متساوية في نسب مخصصات التنمية البشرية والبنى التحتية.

٩) البحوث العلمية البيئية

الأبحاث العلمية البيئية الفعالة عامل أساسي في مكافحة التدهور البيئي. وببساطة، يمكن تحويل المؤثرات الأساسية للبحوث العلمية الى مدخلات ومخرجات. المدخلات يمكن أن تقسم عموماً على عدد الأبحاث ومعدل الانفاق على الأبحاث العلمية، وذلك بشكل نسبي أو مطلق. وفي حين يقارب عدد الأبحاث في العالم العربي العدد في بقية أنحاء العالم، وكان ينمو بنسبة ٦ الى ٧ في المئة سنوياً بين ١٩٩٤ و١٩٩٨، أي ضعفي معدل النمو السكاني، فإن معدل الانفاق على الأبحاث العلمية كنسبة مئوية من الناتج المحلي الاجمالي منخفض الى أبعد الحدود في المنطقة العربية، أي نحو ٠،٢ في المئة. والمعدل العالمي هو ١،٤ في المئة، وفي اليابان يبلغ ٤ في المئة. والمعدل في العالم العربي هو المعدل الاقليمي الأدنى في العالم بأسره. وهكذا، فإن حالة المدخلات في الأبحاث العلمية البيئية يمكن وصفها عموماً بأنها حالة يواجه فيها كثير من العلماء العرب، الذين يزداد عددهم، موارد غير كافية.

ما يفاقم هذه المشكلة، وكنتيجة طبيعية مباشرة للوضع الذي تم وصفه، تواجه المنطقة ما يسمى "هجرة الأدمغة": أي الأعداد الكبيرة من الباحثين العرب الذين يهاجرون بحثاً عن أوضاع أفضل لاعداد بحوثهم. على سبيل المثال، كان هناك ١٢،٥٠٠ باحث مصري و١١،٥٠٠ باحث لبناني يعملون في الولايات المتحدة عام ٢٠٠٠. هذه الظاهرة يمكن أن تفسرها جزئياً الأزمة المالية العامة التي حدثت في وقت مبكر، وواكبتها في كثير من الحالات مقاييس علمية وأكاديمية غير وافية.

وبالنسبة الى مخرجات الأبحاث العلمية، فهذه يمكن تقييمها من خلال النظر في عدد الدراسات البحثية وعدد براءات الاختراع. إن حصة العالم العربي من الدراسات البحثية منخفضة، أما مساهمته في براءات الاختراع فتكاد لا تذكر.

ومن أجل تصحيح النقص في البحث العلمي البيئي في المنطقة العربية، يقدم هذا التقرير عدداً من التوصيات. أولاً، يوصي بقوة بأن تضع البلدان العربية استراتيجيات واضحة وفعالة، للبحث العلمي البيئي، إضافةً الى الاستراتيجيات الحالية الخاصة بالبحث العلمي عموماً. وهكذا، فإن التنوع الكبير في الحقول ذات العلاقة، وما يتزامن معه من تبعثر للموارد المتاحة، يمكن جعله أكثر فعالية من خلال إدارة وتكامل كافيين، وتحديد المجالات الواضحة ذات الأولوية، وجهود اجتذاب الاستثمارات وتوجيهها نحو هذه الأهداف الاستراتيجية.

وفي ما يتعلق بموضوع التمويل، يوصي هذا التقرير بأن تتحمل المؤسسات والهيئات والجماعات المؤثرة في القطاعين العام والخاص مسؤوليتها. والأبحاث ذات المستوى الرفيع تعتمد بشكل حاسم على توافر الموارد بالشكل الكافي. وفي حين يمكن للحكومات أن تساهم من خلال توفير الدعم المالي للأبحاث بصورة مباشرة، يجب أيضاً استحداث حوافز قانونية واقتصادية لتحفيز مشاركة القطاع الخاص في تقديم التمويل للأبحاث العلمية.

أخيراً، يوصي هذا التقرير بأن يتم استحداث قواعد معلومات علمية إقليمية وتقويتها. وجعل الأبحاث البيئية سهلة المنال يقلل إمكانية التكرار غير الضروري للبحث ذاته، ويمكّن الخبراء والمحترفين في أي حقل، والمؤسسات البحثية المتنوعة، من الوصول الى المعلومات الموجودة. وهذا يكون أكثر فعالية اذا تم الاضطلاع به على مستوى إقليمي، مما يؤدي الى تكامل الجهود البحثية العلمية البيئية في أنحاء المنطقة العربية.

١٠) التربية البيئية

ترتبط التربية البيئية ارتباطاً وثيقاً بموضوع البحث العلمي البيئي على جميع المستويات. وقد تم اتخاذ عدد من المبادرات بهذا الخصوص في العالم العربي. ورصد التقرير ٤٠ مركزاً بحثياً للدراسات البيئية، و٢٧ برنامجاً جامعياً و٢٤ برنامجاً للدراسات العليا حول البيئة. ومع ذلك، فإن هذه البرامج ما زالت في مرحلتها الأولى، وكثير من فروع المعرفة لا وجود لها، مثل التشريع والادارة البيئيين، فضلاً عن دمج البيئة في خطط وبرامج ومشاريع التنمية. ومن جانب آخر، تم دمج الكثير من النشاطات اللامنهجية الخاصة بالتربية والتوعية البيئية في كثير من البرامج الدراسية. إضافةً الى ذلك، تُستعمَل على نطاق واسع مقالات ومواد من منشورات بيئية، مثل مجلة "البيئة والتنمية"، في المدارس، كمواد مطالعة إضافية. وتم تنفيذ برنامج مصري للتربية البيئية والتواصل مع المجتمع المحلي (E3OP). وهو مصمم لترويج التربية البيئية في المدارس الابتدائية والاعدادية في مصر، بهدف زيادة الوعي والمهارات المتعلقة بالبيئة.

وإجمالاً، فإن الاتجاه في العالم العربي يميل الى زيادة التنبه في المناهج التعليمية . وفي السياسات الرسمية عموماً . للقضايا البيئية. لكن ما زال بالامكان تأدية المزيد من الأعمال على مختلف المستويات، خصوصاً لتوسيع نطاق البرامج البيئية التي تقدم في التعليم العالي، وجعلها أكثر استجابة للمتطلبات الوطنية، وتقوية المحتوى البيئي في المناهج التعليمية الأساسية، وتوفير كتب دراسية موثوقة.

١١) البيئة في وسائل الاعلام العربية

هناك عنصر أساسي هام في العمل الفعال لتحقيق تنمية اقتصادية مستدامة بيئياً، هو دور وسائل الاعلام، خصوصاً لنشر المعلومات وتوفير التربية البيئية ومراقبة الاجراءات بشكل نقدي، على الصعيدين الوطني والاقليمي، لمواجهة الهموم البيئية. شغلت العناوين البيئية وسائل الاعلام في العالم العربي خلال السنوات العشر الأخيرة، وتم رصد نحو مئة نشرة دورية تحمل أسماء لها علاقة بالبيئة. لكن موضوع البيئة نادراً ما حَظيَ بمعالجة في العمق، كما أن التحاليل النقدية ووجهات نظر الخبراء نادراً ما تم الالتفات إليها. وعلى رغم أن ازدياد الاهتمام بالبيئة يظهره ازدياد الاشارة الى القضايا البيئية في وسائل الاعلام العربية، فإن هذه القضايا غالباً ما كانت تعالج على درجة كبيرة من العمومية، وكثيراً ما كانت تقتصر على الابلاغ عن كوارث، وتفتقد الى منظور نقدي تحليلي. هذا العيب تظهره، على سبيل المثال، حقيقة أن أقل من ١٠ في المئة من الصحف العربية لديها محررون أو مراسلون متفرغون متخصصون في قضايا لها علاقة بالبيئة والتنمية المستدامة، مع وجود نسبة مئوية مماثلة في جميع وسائل الاعلام (صحافة وإذاعة وتلفزيون) تخصص صفحة أسبوعية أو برنامجاً منتظماً للقضايا البيئية. لكن هناك تطوراً ايجابياً، هو أن عدداً متزايداً من الشبكات التلفزيونية الاقليمية والوطنية بدأت إدخال القضايا البيئية كجزء من نشراتها الاخبارية.

ولكن رغم كل ما سبق من جهود بغرض مواجهة المشكلات البيئية وبغرض حماية البيئة العربية من التلوث ومن كافة مظاهر التدهور البيئى إلا إن تلك الجهود قاصرة عن تحقيق الإصلاح البيئى المنشود مما دعا كثير من البلدان العربية إلى وضو تشريعات وقوانين بيئية للحد من مظاهر ذلك التدهور البيئى المستمر وتجريم المخالفين لتلك القوانين البيئية ورغم ذلك فإن تلك التشريعات البيئية هى أيضا عاجزة عن مواجهة ذلك التدهور البيئى .

١٢) التشريع البيئي

يوجد ضعف عمومي في التشريع البيئي في المنطقة العربية. فالمقاييس البيئية التي نصت عليها القوانين العربية ذات العلاقة، غالباً ما صيغت بما ينسجم مع مقاييس تطبق في البلدان المصنَّعة المتقدمة. وهي، في كثير من الحالات، لا تعكس الظروف البيئية المحددة والوضع التقني والاقتصادي في البلدان العربية. هذه المسألة تجعل من الصعب، من منظور اقتصادي، التقيد بهذه المقاييس أو وضعها قيد التطبيق العملي. الى ذلك، فإن المعايير القانونية صارمة وغير متناغمة في الغالب، وتطبق

على نشاطات الانتاج والخدمات بصرف النظر عن نفقات وتقنيات مكافحة التلوث على وجه الخصوص.

كما توجد مشاكل متعلقة بالهيئات البيئية وموظفيها. فهيئات الشؤون البيئية والتشريعية غالباً ما تكون في أيدي أشخاص ليسوا من ذوي الاختصاص، إذ يكون هناك غياب للموظفين المؤهلين وذوي الخبرة في سن القوانين ذات العلاقة بالبيئة وتنفيذها. إلى هذا، هناك نقص في التنسيق بين السلطات المسؤولة عن تنفيذ القوانين البيئية، مما يساهم في عدم الامتثال لها.

وفي ما يتعلق بالاتفاقات البيئية المتعددة الأطراف (MEAs)، فإن تصديقها وتنفيذها في المنطقة العربية لم يكن مثالياً. وفي ٤٩ في المئة من الحالات، لم تنضم البلدان العربية الى المعاهدات الدولية إلا بعد سريان مفعولها. وهذا قد يعزى الى انعدام انخراط البلدان العربية في الصياغة الأولية لهذه المعاهدات وبطء عمليات تصديقها في البلدان المعنية. وهناك نقطة معينة يوصي هذا التقرير بإجراء مزيد من البحوث حولها، هي العلاقة بين نجاح وسرعة تنفيذ الاتفاقات البيئية المتعددة الأطراف وتوافر الموارد المالية والتقنية المخصصة لهذه الغاية في بلدان المنطقة. يدرك هذا التقرير أن العوائق الرئيسية التي تحول دون تنفيذ الاتفاقات البيئية المتعددة الأطراف في المنطقة تنفيذاً مرْضياً هي عدم وفاء الموارد الوطنية والاقليمية والبنى التحتية والخبرة بالغرض.

عموماً، حثّت الاتفاقات البيئية المتعددة الأطراف البلدان العربية على إصدار المزيد من القوانين البيئية واستحداث مؤسسات بيئية جديدة. وكان الانخراط العربي في الاتفاقات البيئية المتعددة الأطراف على أشده في ما يتعلق باتفاقية الأمم المتحدة الاطارية لتغير المناخ (UNFCCC) وبروتوكول كيوتو، وذلك خلال مرحلتي التفاوض والتنفيذ، إذ إن المنطقة معرضة الى حد بعيد للتأثيرات المحتملة لتغير المناخ. لكن بعض الاتفاقات البيئية الأخرى المتعددة الأطراف، التي تستحق أيضاً انخراطاً واهتماماً عربياً قوياً، حققت نجاحاً محدوداً في المنطقة، مثل اتفاقية الأمم المتحدة لصون التنوع البيولوجي واتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة التصحر.

١٣) <u>تمويل البرامج البيئية</u>

إن الجهود الهادفة الى تمويل البرامج البيئية وتشغيلها في المنطقة العربية يجب أن تأتي عن طريق الحكومات والقطاعين الخاص وغير الحكومي. والمسؤولية الرئيسية للقطاع العام هي دمج البيئة في سياسات التنمية الوطنية، بما في ذلك توفير مخصصات كافية للتخطيط والموازنات. ويجب اعتبار البيئة مطلباً ضرورياً لتنمية مستدامة وجزءاً هاماً ضمن الصورة الماكرو ـ اقتصادية ككل. ويجب تعديل النظام الحالي للحسابات الوطنية بحيث يوفر مؤشراً حقيقياً للتنمية المستدامة. وبكلام آخر، يجب أن ينعكس استنزاف وتدهور الموارد البيئية الوطنية كنفقات بدلاً من دخل.

ويجب تخصيص جزء كبير من الموازنة لتقوية قدرات السلطات البيئية، وتقليل اعتماد تمويل مشاريع حماية البيئة على المصادر الخارجية، إذ إن تدفق المعونات يعتمد على الظروف الجيو ـ سياسية. لذلك

يوصي هذا التقرير بوجوب إدخال البيئة كعنصر رئيسي في التنمية المستدامة كمجال لـه أولوية ضمن آليات التمويل، على أن يكون الهدف الاستراتيجي في المدى البعيد تخفيض اعتماد المنطقة على التمويل الخارجي.

وكما ذكر من قبل، يجب أن تخصص الحكومات مزيداً من الموارد للأبحاث والتطوير، مع تركيز على الأبحاث المتعلقة بالتكنولوجيا والمراقبة، فضلاً عن الأبحاث المخبرية والميدانية، وجمع المعلومات، والقدرة المؤسّسيّة للقطاعين العام والخاص، والتعليم والاعلام. الى ذلك، يجب ان تناضل الحكومات في سبيل ترويج الحوافز السوقية كوسيلة لتحديد مقدار العائد من النفقات البيئية اجتماعياً واقتصادياً، وتشجيع أنماط الانتاج والاستهلاك للانتقال الى نماذج أكثر استدامة، بهدف زيادة الكفاءة وتخفيض الهدر.

هناك إمكانية كبيرة لمساهمات القطاعات الخاصة في المبادرات التنموية التي تحافظ على البيئة في المنطقة العربية. وللأسف، فإن هذه الامكانية لا تستخدم بشكل كامل. ومع ذلك، يعترف هذا التقرير بأنه كانت هناك زيادة في عدد المبادرات الخاصة التي تساهم في حماية البيئة.

إن شبكة من هيئات المجتمع المدني النشطة والفعالة والمنظمة التي تعمل لرفع الوعي، مع الموارد المالية اللازمة لمواجهة التحديات البيئية الرئيسية، ما زالت مفقودة الى حد بعيد في المنطقة العربية. لكن في السنوات الأخيرة أصبح عدد محدود من المنظمات العربية غير الحكومية راسخ الوجود والنجاح.

<u>١٤) البيئة والحروب</u>

هناك عامل غير سار في المنطقة العربية، لكن مع ذلك هام، هو تأثير الحروب والنزاعات على البيئة. وفي المنطقة حالياً ما لا يقل عن نزاعين دوليين رئيسيين مستمرين (النزاع العربي الاسرائيلي والعراق) وما لا يقل عن خمسة نزاعات داخلية (الجزائر، الصومال، السودان، الصحراء الغربية، اليمن). وعانى لبنان حرباً قصيرة وإنما رئيسية في صيف ٢٠٠٦، وتعاني بعض البلدان العربية مزيجاً من النزاع الدولي والأهلي، كما يحدث في العراق والأراضي الفلسطينية والصومال. ورغم أن العناصر الاجتماعية والسياسية والاقتصادية لهذه النزاعات هي التي تجتذب الأضواء عادة، إلا أن آثارها البيئية السلبية كبيرة.

ومن بين العوامل الكثيرة وراء النزاعات هناك العوامل البيئية، وخصوصاً الموارد الطبيعية، التي تُعرف أيضاً بـ"السلع والخدمات المتعلقة بالنظام الايكولوجي". ووفق ما تمت مناقشته في هذا التقرير، يبرز بصورة خاصة في المنطقة العربية شح موارد المياه والأراضي الزراعية. ويجب التشديد طبعاً على أن ارتباط البيئة بالنزاع لا يكون مباشراً بالضرورة. فهو غالباً ما يعمل في موازاة ضغوط اجتماعية وسياسية واقتصادية أخرى.

الى جانب تحليل التأثيرات البيئية للنزاع بالتفصيل في الحالات الثلاث التي سبق ذكرها، يقدم هذا التقرير عدداً من الاقتراحات للدول العربية في هذا المجال. يُقترح إنشاء صندوق عربي لمساعدة البلدان في التعامل مع أسباب النزاع ذات الجذور البيئية، وأيضاً لمعالجة التأثيرات الأكثر الحاحاً للحرب. كذلك يوصي التقرير بمزيد من التعاون الاقليمي والدولي من أجل توفير القدرة على الانذار المبكر وتقييم الروابط بين النزاع والبيئة. كما يوصي بتعاون أوثق مع المنظمات الدولية، وخصوصاً الأمم المتحدة، من أجل الاعتماد على الموارد العلمية والتكنولوجية والمالية الدولية والخبرة المتوافرة في تحليل وتخفيف التأثيرات البيئية للحرب، خصوصاً في المجالات التي لم تلق اهتماماً كافياً مثل تأثير الرؤوس الحربية المصنوعة من اليورانيوم المستنفد (DU) والألغام.

١٥) تكاليف التدهور البيئي

التكاليف الاقتصادية للتدهور البيئي في المنطقة العربية غالباً ما تكون غير مرئية أو يتم تجاهلها الى حد بعيد، لكنها حقيقية وجوهرية ومتنامية. ويتم استخدام الموارد الطبيعية بطريقة غير مستدامة، مما يقوض التنمية الاقتصادية وجهود تخفيف حدة الفقر. ويقدّر البنك الدولي أن الكلفة السنوية للتدهور البيئي تتراوح بين أربعة وتسعة في المئة من الناتج المحلي الاجمالي في بعض البلدان العربية، بمعدّل عام يصل الى خمسة في المئة. وعلى سبيل المقارنة، فإن المعدل في أوروبا الشرقية يبلغ خمسة في المئة، فيما يتراوح بين اثنين وثلاثة في المئة في بلدان منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية (OECD).

في الوقت ذاته، فشلت حكومات المنطقة في مواجهة هذه التكاليف البيئية المتصاعدة بسياسات واضحة وفعالة. والأموال التي تخصصها الموازنات للأغراض البيئية لا تقارب الواحد في المئة من الناتج الاجمالي المحلي في أي من بلدان المنطقة. يضاف الى ذلك أن المؤسسات البيئية القائمة لم تُمنح أي دعم حقيقي أو مهمات تشريعية قوية، مما يحدّ من قدرتها على أن تكون فعالة.

١٦) الاصلاح المؤسّسي

يتضح من هذا التقرير أنه يجب التسليم عاجلاً بأن القضايا البيئية تستحق أولوية سياسية واقتصادية، بالتساوي مع القضايا الماكرو - اقتصادية الرئيسية الأخرى. وتحديداً، يجب أن تدخل قضية الاستدامة البيئية في جميع جوانب التنمية والسياسات الماكرو - اقتصادية، وهذا أمر لم يتحقق بعد. ويتبع هذا تقوية القدرات على اتخاذ التدابير العملية. ويمكن تحقيق هذا من خلال مقاربة ذات شقين: أولاً، استحداث تشريع شامل ومتكامل وواضح وفعال. وثانياً، ضمان أن تُمنح المؤسسات البيئية الموارد والصلاحيات السياسية لتحقيق التقدم الضروري.

الى جانب تقوية المؤسسات الرسمية والتشريع، ينبغي على حكومات المنطقة دعم جهود البحث العلمي والتطوير. ويجب على القطاع الخاص أن يتخذ أيضاً مزيداً من المبادرات لدمج الاعتبارات البيئية في عمليات التخطيط، منتقلاً من حصر المسألة في المساعدات الخيرية، الى مفهوم المسؤولية

الاجتماعية والادراك الحسي للمسؤولية البيئية. ولن يجدي أي من هذه نفعاً من دون دعم الجماهير العربية، الذي لا يمكن تحقيقه في غياب جهد حقيقي من جانب وسائل الاعلام والمجتمع المدني، خصوصاً المنظمات غير الحكومية، لرفع الوعي البيئي.

خاتمة

في الماضي، كانت الخطط ذات الأهداف القصيرة الأمد عقبة رئيسية أمام صنع السياسات المتعلقة بالبيئة والتنمية المستدامة. أما اليوم، فتتخذ بعضُ المحاولات المنحى المتطرف المقابل، متجاهلة التحديات البيئية الحالية الملحة، بينما تضع خططاً بعيدة المدى، في ممارسة يمكن أن تسمى "هروباً الى الأمام". إن النظر الى المستقبل مطلوب من أجل وضع خطط بيئية سليمة، لكن تجاهل المشاكل الراهنة لن يحلها، مهما كانت الأهداف في المدى البعيد نبيلة. والمشاكل التي لا يتم التصدي لها في الحاضر سوف تتضاعف، محدثة تحديات أكبر في المستقبل. وبعض الخطط الكبيرة الممتازة التي أُعلن عنها في المنطقة في ما يتعلق بقضايا رئيسية مثل الطاقة المتجددة، وإدارة الموارد المائية والساحلية، بما لها من طموحات عالمية، يجب ألاّ تحوّل الانتباه عن إجراءات بسيطة مطلوبة سريعاً وبإلحاح على المستوى المحلي لضمان استخدام أكثر كفاءة وسلامة للموارد.

المطلوب استراتيجيات لادارة متكاملة للبيئة، والتأكيد على أن هناك هيئات ومؤسسات بيئية قوية وفعالة، تدعمها التزامات سياسية وتشريعية واضحة، إضافة الى الموارد الكافية. يجب أن تتكامل الخطط القصيرة الأجل والطويلة الأجل لحل المشاكل حاضراً ومستقبلاً. الوضع ليس قاتماً كلياً. فغالبية البلدان العربية لديها حالياً إما وزارة بيئة أو هيئة بيئة حكومية أو الاثنتان معاً. والمجتمع المدني والقطاع الخاص ينخرطان أكثر في الأمور البيئية، لكن بمستويات مختلفة من الفعالية. وقد بدأت بعض الجهات الحكومية المسؤولة عن البيئة بوضع خطط استراتيجية، مثل هيئة البيئة في أبوظبي التي أطلقت في نيسان (أبريل) ٢٠٠٨ استراتيجية بيئية للامارة. وقد حددت هذه الاستراتيجية النموذجية أهدافاً على مرحلتين من سنتين وخمس سنوات، تشمل عشرة مجالات ذات أولوية: الاستدامة البيئية، إدارة الموارد المائية، نوعية الهواء، النفايات الخطرة، التنوع البيولوجي، الوعي البيئي، نظم السلامة، الكفاءة التنظيمية، إدارة الحالات الطارئة، نظم المعلومات. هذه المبادرات مطلوبة في أنحاء المنطقة العربية، مع تشديد كبير على الاستعداد لتنفيذها بشكل وافٍ. إن مصير المنطقة العربية مرتبط على نحو لا مناص منه بحالة بيئتها، التي تفرض على الدول العربية العمل معاً لمواجهة التحديات المشتركة، وللتعاون كجبهة واحدة في المبادرات البيئية العالمية.

الفصل الرابع

التحديات البيئية على المستوى العالمى

أولا : أهم القضايا البيئية المعاصرة التى تواجه العالم أجمع :([1])

١ -إزالة الغابات (Deforestation)

الأعمال والأنشطة التي تؤدي إلى زوال الغابات، وذلك نتيجة قطع الأشجار لاستخدام الأخشاب في الأغراض الصناعية والإنشاءات، أو نتيجة لحرق الأشجار أو إزالتها لاستغلال أراضي الغابات في زيادة مساحة الأراضي الصالحة للزراعة وفي سائر الأغراض التنموية. ويرى العلماء أن إزالة الغابات أحد الأسباب الرئيسية لحدوث ظاهرة البيت الزجاجي (الرجاء الرجوع للتعريف) حيث أن الأشجار التي قطعت تتوقف عن استهلاك ثاني أكسيد الكربون من الغلاف الجوي (في عملية البناء الضوئي) ومن ثم يزداد تركيزه وتأثيره، ويؤدي حرق الأشجار أو تحللها الى انبعاث المزيد من غاز ثاني أكسيد الكربون مما يؤدي إلى تفاقم المشكلة. وتؤدي إزالة الغابات أيضاً إلى تقليل تثبيت التربة مما يزيد من ظاهرة التصحر. وتعد غابات المطر (Rain Forests) في المناطق الاستوائية من أهم موارد الطبيعة من حيث استهلاك غاز ثاني أكسيد الكربون وإنتاج الأكسجين ولذلك تسمى رئة العالم، وتتعرض هذه الغابات لمخاطر الإزالة خاصة في مناطق الأمازون (أمريكا الجنوبية) وجنوب شرق آسيا.

٢-إعادة التدوير (Recycling)

طريقة لاسترجاع المواد النافعة من المخلفات بحيث يتم فصل هذه المواد ومعالجتها (إذا تطلب الأمر) ثم إعادة تصنيعها. ومن أكثر الأشياء التي يتم إعادة تدويرها البلاستيك والورق والألومنيوم والحديد، بالإضافة إلى المواد العضوية التى يمكن كمرها لإنتاج السماد العضوي (الرجاء الرجوع الى تعريف الكمر). ويمكن تحقيق إعادة التدوير بفصل هذه الأشياء من القمامة عن طريق الفصل الميكانيكي للحبيبات، والفصل المغناطيسي للحديد، والفصل اليدوي (بالنظر) لبقية المكونات. ولكن أفضل وسائل إعادة التدوير هي الفصل من المنبع بحيث يقوم منتجو القمامة بوضع كل نوع من أنواع المخلفات في حاويات منفصلة، وذلك يحقق أكبر نقاء للمادة المراد إعادة تدويرها. وهناك العديد من المنتجات المعدنية والبلاستيكية والورقية التي يتم تصنيعها عن طريق إعادة التدوير. ويحقق إعادة التدوير

[1]) بورزق نوار (٢٠٠٩م) ، قضايا وتعريفات بيئية ، منشورة فى موقع نوار للبحوث :

http://Bnouar.jeeran.com

العديد من الفوائد الاقتصادية والبيئية، وذلك باسترجاع كميات من المخلفات، كان يتم التخلص منها، واستغلالها اقتصادياً كما يعمل ذلك على توفير جزء من الثروات التي تستخرج من باطن الأرض من النفط والمعادن.

٣-الأراضي الرطبة (Wetlands)

مساحة من الأرض مشبعة بالمياه السطحية أو المياه الجوفية لفترات كافية لدعم حياة النباتات والحيوانات والطيور والأحياء المائية. وتحتوي الأراضي الرطبة عادة على مستنقعات أو بحيرات ضحلة أو مصبات الأنهار. تعتبر الأراضي الرطبة أماكن ذات أهمية بيئية كبيرة حيث أنها تضم عادة نظام إيكولوجي متوازن يضم كثيرمن الكائنات الحية التي تتكاثر فيها، وتحتوي أيضاً في كثير من الأحوال أمكان لحضانة البيض أو صغار الحيوانات النادرة والأسماك النادرة والطيور المهاجرة. ولكون الأراضي الرطبة غنية بالتنوع الحيوي فانها تمثل أهمية اقتصادية كبيرة لكونها مصدر للثروة السمكية والحيوانية. وتعاني كثير من الأراضي الرطبة في العالم من التلوث والصيد الجائر الذي يهدد أنواع معينة من الكائنات الحية مما يهدد توازن هذه النظم الإيكولوجية. كما تتعرض الكثير من الأراضي الرطبة إلى التجفيف عن طريق نزح المياه وذلك لاستغلال هذه الأراضي في التنمية، ولهذه الأسباب تقوم العديد من الحكومات ومنظمات حماية البيئة الدولية بإتخاذ إجراءات لحماية الأراضي الرطبة من هذه التعديات.

٤-الأشعة تحت الحمراء (Infrared Radiation)

أشعة كهرومغناطسية غير مرئية حيث أنها تتميز بطول موجة أكثر من تردد الضوء المرئي. وتنبعث الطاقة الحرارية من الأجسام الصلبة والسوائل والغازات في صورة أشعة فوق حمراء. وفي علوم الأرض تنبعث الطاقة الحرارية من الأرض في صورة أشعة تحت حمراء، وتتسبب غازات البيت الزجاجي (الرجاء الرجوع الى تعريف ظاهرة البيت الزجاجي) في امتصاص هذه الأشعة ومنع خروجها إلى الفضاء الخارجي مسببة ما يعرف بظاهر الاحتباس الحراري.

٥-الأشعة فوق البنفسجية (Ultraviolet Radiation UV)

أشعة كهرومغناطسية غير مرئية حيث أنها تتميز بطول موجة أقل من تردد الضوء المرئي. وتنبعث الأشعة فوق البنفسجية مع أشعة الشمس وتنقسم الى ثلاث درجات (A, B، C) حسب طول الموجة. وتمتص معظم الأشعة فوق البنفسجية عن طريق طبقة الأوزون، حيث تمتص الدرجة الأقصر (UVC) بالكامل ومعظم الدرجة المتوسطة (UVB) في طبقة الأوزون في الغلاف الجوي، أما الدرجة الأطول

من الأشعة فوق البنفسجية)UVA) فلا تمتص في طبقة الأوزون. وتعتبر الأشعة فوق البنفسجية ذات الموجات الطويلة (UVA) مفيدة لحياة النباتات على الأرض، كما أنه يتم استخدامها في العديد من التطبيقات الطبية. أما بالنسبة للأشعة فوق البنفسجية المتوسطة فإنها ضارة لصحة الانسان حيث تتسبب في حدوث سرطان الجلد وبعض أمراض العين (مثل مرض عتامة العدسة كتراكت). وتعتبر أخطر أنواع الأشعة فوق البنفسجية هي الأشعة قصير الموجة (UVC) حيث تتسبب في قتل العديد من الكائنات الحية وحدوث أمراض سرطان الجلد وغيرها من الأضرار على صحة الانسان.

٦-الاحتباس الحرارى (Global Warming)

زيادة درجات حرارة الغلاف الجوي القريبة من سطح الأرض. ويستخدم هذا المصطلح لظاهرة ارتفاع درجات حرارة الأرض التي حدثت (ويتوقع زيادتها في المستقبل) نتيجة زيادة انبعاث غازات البيت الزجاجي (الرجاء الرجوع الى تعريف ظاهرة تأثير البيت الزجاجي) وهي الغازات التي تنبعث من حرق الوقود في المصانع ومحطات توليد الطاقة ووسائل النقل. توصل العلماء المعاصرون إلى أن معدلات درجات حرارة الأرض قد زادت خلال المائة وأربعين سنة الماضية بمقدار درجة فهرنهايت. وقد خلصت اللجنة متعددة الحكومات للاحتباس الحراري (وهي لجنة تابعة لبرنامج الأمم المتحدة للبيئة ومنظمة المناخ العالمية التابعين للأمم المتحدة) أن زيادة تركيزات غازات البيت الزجاجي تسبب في زيادة درجات حرارة سطح الأرض، كما خلصت أن زيادة تركيزات الإيروسولات الكبيرتية (الرجاء مراجعة تعريف الإيروسول) تتسبب في البرودة النسبية لبعض المناطق خاصة تلك المناطق الواقعة قرب المناطق الصناعية.

٧-الإنتاج الأنظف (Cleaner Production)

طرق في الإنتاج الصناعي يتم مراعاة أن يتنج عنها الحد الأدنى الممكن من التلوث. وتعتمد طرق الإنتاج الأنظف على تقليل تولد المخلفات من المنبع (Waste Minimization) وذلك مقابل ترك المخلفات أن تتولد ثم يتم التفكير في معالجتها والتخلص منها بعد ذلك. ويتميز الإنتاج الأنظف أنه يحقق كفاءة أكبر للعملية الإنتاجية، حيث يتم فيه ترشيد استخدام الموارد من المواد الخام والماء والطاقة على مقدار الحاجة بحيث لا يتم فقد الكثير من المخلفات من هذه العملية الإنتاجية. ويشمل الإنتاج الأنظف أيضاً استرجاع بعض المخلفات المفيدة في العمليةالإنتاجية بدلاً من التخلص منها. وتحاول كثير من الصناعات الحديثة تطبيق مبدأ الإنتاج الأنظف حيث أنه يعفيها من كثير من المسئوليات البيئية كما يحقق لها كثير من الفوائد الاقتصادية.

٨-البيئة (Environment)

عرفت البيئة بعدة تعريفات، فعرفتها هيئة حماية البيئة الأمريكية ب "مجموعة العناصر (والمنظومة المعقدة التي تجمعها) التي تجعل الأشياء والظروف المحيطة بحياة الأفراد والمجتمعات كما يتم معاينتها". وعرفها الإتحاد الاوروبي أنها "هي اجمالى الأشياء التى تحيط بحياة الإنسان وتؤثر في الأفراد والمجتمعات". وتشمل البيئة على ذلك الموارد الطبيعية (البيئة الطبيعية) من الهواء والماء والتربة والمباني الحضرية (البيئة الحضرية) والظروف المحيطة بمكان العمل (بيئة العمل) وتشمل كذلك الكائنات الحية من نبات وحيوان والكائنات المجهرية.

وقد اتضح في فصول سابقة تعدد تعريفات البيئة مما قد يجعل من عدم وضوح تعريف واضح يتفق عليه الجميع من القضايا والتحديات التى تواجه العالم أجمع في التوصل إلى استراتيجيات مناسبة لحمايتها والحفاظ عليها وعلى أقل تقدير الحد من مظاهر التدهور البيئى عالميا أو اقليميا أو محليا .

٩- التنوع الحيوي (Biodiversity)

مصطلح يطلق لوصف تعدد أنواع الكائنات الحية الموجودة في النظام الإيكولوجي (برجاء الرجوع إلى تعريف النظام الإيكولوجي)، ويقاس التنوع الحيوي في منطقة معينة أو في نظام إيكولوجي محدد بمقدار أنواع الكائنات الحية الموجودة فيه. وأهمية وجود التنوع الحيوي تنبع أن كل نوع من الكائنات الحية يقوم بوظيفة محددة في النظام الإيكولوجي إذا اختفى هذا النوع يؤدي ذلك إلى اختلال التوازن في النظام الإيكولوجي وحدوث العديد من الأضرار البيئية. ومن أكثر العوامل التى تؤدى إلى نقص التنوع الحيوي الصيد الجائر لنوع معين من الكائنات الحية (مثل صيد الحيتان أو صيد حيوان المنك) مما يؤدي إلى نقصان تعداده بشكل ينذر بانقراضه، بالإضافة إلى الاستخدام المفرط للمبيدات التي يترتب عليه القضاء على كثير من أنواع النباتات والحيوانات مع الكائنات المستهدفة أصلاً بالمبيد.

١٠-الجفاف (Drought)

ظاهرة يحدث فيها نقص شديد في تساقط الأمطار وجفاف الطقس لفترات زمنية طويلة مما يؤدي نقص موارد الماء وتدهور الأراضي الزراعية وتصحرها وتأثر الثروة الحيوانية، وبالتالي حدوث المجاعات والنقص الشديد في توفر المواد الغذائية. وعلاقة ظاهرة الجفاف بالتصحر والأنشطة التنموية علاقة معقدة. وتحدث ظاهرة الجفاف عادة في الأماكن المعرضة للتصحر وتجريف الأرض الزراعية، ويكون ذلك نتيجة ظاهرة البيت الزجاجي والتغيرات المناخية. ويؤدي نقص الرقعة الزراعية وإزالة الغابات إلى

تغير حرارة الطبقة العليا للتربة ورطوبة الهواء ومن ثم يؤثر في مسارات الكتل الجوية وبالتالي تساقط الأمطار. وتعاني من ظاهرة الجفاف مناطق عديدة من أفريقيا وآسيا والمنطقة العربية.

١١-الدفن الصحى للمخلفات (Sanitary Landfilling)

طريقة هندسية للتخلص من المخلفات في الأرض بطريقة لا تسمح بتلوث البيئة. ويتم الدفن الصحي للمخلفات بملء حيز معين من الأرض بهذه المخلفات وتخزينها في هذا الحيز لفترة معينة حتى يتم تحللها إلى المواد الأولية وتصبح غير خطرة. وتتم عملية الدفن الصحي بنشر المخلفات على الأرض ثم دمكها وتغطيتها في خلايا متتابعة. ويتم عادة عزل الأرض التي يتم استخدامها للدفن الصحي عن البيئة المحيطة لمنع تسرب السوائل التي تخرج من المخلفات إلى التربة المحيطة والمياه الجوفية. هناك أنواع متعددة من المدافن الصحية، فهناك المدافن الصحية للقمامة وهناك المدافن الصحية للمخلفات الخطرة وهناك المدافن الصحية للمخلفات الصناعية أو المخلفات ذات الطابع الخاص. وعادة يتم اختيار موقع المدفن الصحي بعيد عن التجمعات الحضرية وفي أرض منخفضة إما منخفض طبيعي أو بفعل الانسان (مثل المحاجر القديمة)

١٢-الرعى الجائر (Over Grazing)

هو الضغط على المراعى الطبيعيه من قطعان الأنعام (كالماشية) التى يربيها الإنسان و يعتمد عليه كثروة حيوانية تمده بالغذاء البروتينى، ويحدث بتمكين أعداد كبيرة من الحيوانات بالتغذي على بقعة محدودة من المراعي لإنتاج كمية أكبر من اللحوم. ويؤدي الرعي الجائر إلى تدهور التربة الذي قد يرافقه تقليل ثبات التربة وقابليتها للتجريف بفعل عوامل التعرية من الرياح والأمطار، وقد يؤدي إلى تصحر تلك المراعي (الرجاء الرجوع لتعريف التصحر).

١٣-الزراعة العضوية (Organic Farming)

هي الزراعة بدون استخدام كيماويات صناعية من أسمدة أو مبيدات أو مواد حافظة وبدون استخدام مدخلات الهندسة الوراثية لتعديل السلالات الزراعية أو الاشعاعات. وهي نظام شامل لإدارة الإنتاج الزراعي يروج ويعزز الظروف البيئية الطبيعية عن طريق التنوع الحيوي (Biological Diversity)في التربة. ويستعاض عن استخدام الأسمدة الكيماوية باستخدام الأسمدة العضوية (مثل المكمورات وروث الحيوانات والمخلفات العضوية بعد معالجتها) ويستعاض عن استخدام المبيدات الكيماوية بتطبيق المبيدات الحيوية (وهي كائنات مفيدة تقوم بافتراس الآفات الممرضة). وبالرغم من أن الإنتاج المحصولي للزراعة العضوية يعتبر أقل من نسبياً من إنتاج الزراعة التقليدية إلا أن

منتجاتها تعتبر أكثر اماناً من الناحية الصحية كما أن تطبيق وسائل الزراعة العضوية يقلل من احتمالية التصحر ويزيد من تثبيت التربة وهي أضرار شائعة في الأراضي المزروعة بالوسائل التقليدية.

١٤-السلسلة الغذائية (Food Chain)

مجموعات من الكائنات الحية بحيث تتميز بمستويات غذائية متلاحقة في مجتمع معين من الكائنات الحية، بحيث تنتقل الطاقة بين هذه المستويات عن طريق التغذية فتدخل الطاقة هذه السلسلة عن طريق تثبيت المواد الأولية (التي ينتجها النبات) التي تتغذى عليها الحيوانات آكلة العشب، ثم تنتقل بعد ذلك الى الحيوانات الآكلة للحوم. وعندما يتلوث أحد مكونات السلسلة الغذائية بملوث مقاوم للتغير (مثل المعادن كالزئبق والكاديوم مثلاً) فينتقل ذلك الملوث خلال السلسلة الغذائية وينتشر، ويتنج عن ذلك ما يعرف بالتركيز الحيوي (الرجاء الرجوع إلى التعريف)

١٥-الطاقه المتجددة (Renewable Energy)

الطاقة التي يتم توليدها من مصادر لا تنضب مثل طاقة الشمس أو طاقة الرياح أو الطاقة الحركية الناتجة من المد والجزر أو الطاقة المائية الناتجة عن تساقط المياه من الشلالات والسدود أو الطاقة الحرارية الصادرة من باطن الأرض أو الطاقة الحيوية التي يتنج عنها الغاز الحيوي (الرجاء الرجوع للتعريف). وتتخذ الطاقة الحيوية أهمية كبيرة من الناحية البيئية والاقتصادية، حيث أنها تعتبر بديلاً مناسباً لمصادر الطاقة الحفرية (مثل النفط والفحم الحجري) القابلة للنضوب خلال فترة زمنية محدودة (إذا استمر استهلاكها بالمعدلات الحالية) والتي ينتج عنها الكثير من التلوث مثل انبعاث غازات البيت الزجاجي (الرجاء الرجوع للتعريف) والإيروسولات والغازات التي تسبب العديد من الظواهر البيئية السلبية مثل المطر الحامضي وثقب الأوزون والاحتباس الحراري (الرجاء الرجوع لتعريف هذه الظواهر).

١٦-الغاز الحيوي (Biogas)

غاز ينتج من تخمر المواد العضوية عن طريق التثبيت اللاهوائي (الرجاء الرجوع إلى تعريف تثبيت المواد العضوية). ويتم إنتاج الغاز الحيوي عن طريق تخمير المواد العضوية (مثل روث الحيوانات أو الصرف الصحي أو الحمأة) في أوعية محكمة لا تنفذ الهواء. كما يتم إنتاج الغاز الحيوي من بعض المدافن الصحية للمخلفات. ويغلب على تركيب الغاز الحيوي غاز الميثان. ويستخدم الغاز الحيوي كوقود يمكن استخدامه في المواقد والإضاءة وتوليد الطاقة. وينتشر استخدام الغاز الحيوي كمصدر للطاقة في الأماكن الريفية عن طريق تصنيع وحدات لاهوائية صغيرة لإنتاجه، خاصة في الريف الصيني والهندي. ويتميز الغاز الحيوي بأنه مصدر متجدد للطاقة لا يتنج عنه أضرار بيئية.

١٧-الغلاف الجوي (Atmosphere)

هو الجزء الغازى الذى يحيط بالكرةالأرضية و يتكون هذا الغلاف من النيتروجين (بنسبة ٧٩,١%) و الاكسجين (بنسبة ٢٠,٩%) بالإضافه إلى كميات صغيره من ثانى أكسيد الكربون (بنسبة ٠,٠٣٦%) و غازات أخرى بتركيزات قليلة جداً أهمها (بخار الماء والهيدروجين و الهليوم و الأرجون و الكربتون). ويتكون الغلاف الهوائى من أربع طبقات طبقاً للخواص الكيميائية والحيوية:

١. التروبوسفير (Troposphere) :
٢. الستراتوسفير (Stratosphere):
٣. المزوسفير (Mesosphere) :
٤. الثروموسفير (Thermosphere) :

١٨-الغلاف الحيوى (Biosphere)

الحيز الذى توجد به الحياه في الكرة الأرضية ويضم هذا الغلاف الحياه فى أعماق المحيطات و على سطح الأرض و على قمم الجبال و لا يزيد أقصى سمك له على ١٤كم . ويشمل الغلاف الحيوى جميع الكائنات الحيه على اختلاف أنواعها.

١٩-الغلاف المائى (Hydrosphere)

يشمل هذا الغلاف جميع المسطحات المائيه التى تغطى نحو ثلاثة أرباع الكرة الأرضية(٧٢%) فهو يشمل مياه الانهار و البحيرات العذبه والمحيطات و البحار و البحيرات الملحه. كما يشمل المحيطات والأنهار المتجمدة وجبال الجليد والأجزاء المتجمدة من التربة. ويشمل أيضاً المياه الجوفية وبخار الماء والسحب في الهواء.

٢٠-الغلاف اليابس (Lithosphere)

هو الحيز الذى توجد عليه الحياة البرية و يشكل الغلاف اليابس قشرة الارض الخارجية الصلبة التى تتكون منها القارات و قيعان المسطحات المائية (أنهار- بحار- بحيرات- محيطات) و تبلغ أجزاء اليابس المعرضة للهواء ٢٨ % من سطح الارض .

٢١-الكوارث البيئية (Environmental Disasters)

الحادث الناتج ظروف طبيعية أو من فعل الإنسان وينتج عنه ضرر بالغ بالبيئة لا يمكن احتواؤه بالإمكانية المحلية في موقع الحادث. وبهذا يمكن تقسيم الكوارث البيئية إلى كوارث طبيعية مثل الجفاف والمد البحري والفياضانات، وكوارث من فعل الإنسان سواء بالخطأ مثل حدوث تسرب غازات سامة من مصنع كيماويات أو تسرب النفط من ناقلة نفط أو من فعل الإنسان بالفعل مثل ما يحدث في الحروب من استخدام أسلحة الدمار الشامل. وتعد العديد من الدول خطط مسبقة لإدارة الكوارث البيئية بحيث إذا حدثت الكارثة يمكن تقليل الخسائر الحادثة بالمواجهة المبكرة والمدروسة للكارثة.

٢٢-المحميات الطبيعية (Natural Park)

مساحة محددة من الأرض أو المياه يتم فيها حماية الموارد الطبيعية فيها من أجل الأهمية العلمية، أو الثقافية، أو التعليمية المتعلقة بها، ولذلك يتم فيها اتخاذ إجراءات للحد من الأنشطة التنموية فيها وخاصة التي لها تأثير على تلك الموارد الطبيعية، ويتم إدارة هذه المناطق إدارة بيئية تعمل على تعزيز الحفاظ على هذه الموارد الطبيعية. ومن أمثلة المحميات الطبيعية الغابات التي تحتوي على أنواع نادرة من النباتات أو الحيوانات، وأيضاً المناطق الساحلية التي بها أنواع نادرة من الأحياء المائية والشعاب المرجانية، وكذلك الأراضي الرطبة (الرجاء الرجوع للتعريف).

٢٣-المراجعة البيئية (Environmental Auditing)

عملية منظمة ومنضبطة وفقاً لضوابط محددة لرصد وتحليل وتوثيق تأثيرات عمليات منشأة أو مشروع أو نشاط أو منتج معين على البيئة وفقاً لمعايير يتم الاتفاق عليها قبل المراجعة البيئية. وتشمل المراجعات البيئية عدة أنواع، منها المراجعة القانونية وهذه التي يتم فيها التأكد أن المنشأة أو المشروع مطابق لمعايير قوانين البيئة، ومنها مراجعة المخلفات وفيها يتم رصد المخلفات التي تخرج الى البيئة بغرض تقليلها أو معالجتها (الرجاء الرجوع إلى تعريف الإنتاج الأنظف) ومنها مراجعة نظم الإدارة للتأكد من أنها تأخذ معايير الإدارة البيئية في الاعتبار (مثل المراجعات البيئية لنظام الأيزو

١٤٠٠٠) ومنها مراجعة ما قبل الشراء حيث يقوم بها ممثل عن المشتري للتأكد من التأثيرات البيئية للعين المباعة وما إذا كان عليها التزامات بيئية محددة.

٢٤-النظام الإيكولوجى (Ecosystem)

منظومة معقدة مكونة من النباتات والحيوانات والفطريات والكائنات المجهرية والجمادات من الكيماويات والظروف الطبيعية والجيولوجية التي تدخل في العمليات الحيوية لهذه الكائنات الحية. ويحدث في النظام الإيكولوجي عمليات معقده و متشابكه و مترابطه تتميز بالعديد من المسارات التى تؤدى إلى تغير معدلات نمو الجماعات الحيه و تصل بها إلى حاله مستقره من التوازن فى اطار النظام ككل. وأي عملية تحدث لأي عنصر من عناصر السلسلة الغذائية مثل استخدام مبيد يكون له تأثير على باقي عناصر النظام الإيكولوجي. ولا توجد حدود معينة للنظام الإيكولوجي، ولكن يمكن فرض حدود بغرض الدراسة البحثية حسب نوع الدراسة المطلوبة والنتائج المتوقعة.

٢٥-تحديد المخاطر البيئية (Environmental Risk Assessment)

هو تحليل المخاطر التي تقع على البيئة والتي تترتب على نشاط أو منتج أو مادة معينة. ومعنى الخطورة هو احتمالية حدوث الضرر ويقاس خطورة حدوث ضرر معين بنسبة احتمال حدوث هذا الخطر من ناحية ومقدار الضرر الحادث من ناحية أخرى. ويمكن تقسيم تحديد المخاطر الى نوعين رئيسيين الأول هو تحديد الخطورة النوعي (Assessment Qualitative Risk) وفيه يتم تحديد غير رقمي للخطورة مثل "خطر" أو "غير خطر" أو "شديد الخطورة" أو "خطورة مقبولة" وما إلى ذلك، أما النوع الثاني فهو التحديد الكمي للخطورة (Quantitative Risk Assessment)وفيه يتم تحديد الخطورة بشكل كمي رقمي مثل "خطورة فقد ٢٠٠ رأس من حيوان نادر"، أو "خطورة زيادة تركيز أول أكسيد الكربون في الجو بمقدار ١٠ مليجرام/متر٣ ".

٢٦-تقييم التأثير البيئي (Environmental Impact Assessment)

دراسة يتم فيها تحليل والحكم على التأثيرات البيئة المختلفة (سواء كانت مؤقتة أو دائمة) لنشاط تنموي معين، ويتم إعداد هذه الدراسة في مرحلة التخطيط (أي ما قبل تنفيذ هذا النشاط). ويتم في تقييم التأثير البيئي بحث الخيارات المختلفة لتنفيذ هذا النشاط من حيث تأثيراتها المختلفة على مكونات النظام البيئي،

ويشمل ذلك التأثيرات الكيميائية والفيزيائية والحيوية كم يشمل التأثيرات الاجتماعية. وتهدف دراسة تقييم الأثر البيئي إبراز هذه التأثيرات البيئة لصناع القرار لكي يضعوا العواقب البيئية والاجتماعية التي يمكن أن تترتب على إقامة هذا النشاط في الاعتبار ومن ثم يتخذون القرار المناسب بشأنه. في بعض الدول يكون تقييم الأثر البيئي جزء من شروط منح الترخيص للأنشطة التنموية، وفي بعض الدول يتم عرض نتائج الدراسة على المجتمع المحلي الذي يحتمل أن يتأثر بالنشاط لاستفتائه على تنفيذ هذا النشاط.

٢٧-طبقة الأوزون (Ozone Layer)

هى جزء من الغلاف الجوى الذى يحيط بالكرةالأرضية تتكون طبقة الأوزون من غاز الأوزون و هذا الغاز يتكون من ثلاثة ذرات أكسجين مرتبطة ببعضها و يرمز إليها بالرمز الكيميائى O_3 . وتعمل طبقة الأوزون على حماية الحياة على سطح الأرض عن طريق حجب وامتصاص الأشعة فوق البنفسجية الضارة التي تنبعث من الشمس من دخول الغلاف الجوي. وتوجد طبقة الأوزون في الغلاف الجوي الأوسط الأوسط (السترتوسفير Stratosphere)على بعد حوالي ١٥ ميل من سطح الأرض. ومؤخراً تعاني طبقة الأوزون من النضوب بسبب الغازات المنبعثة من الأرض خاصة غازات الكلوروفلوروكربون (CFCs)التي تستخدم في الإيروسولات والثلاجات والمبردات وكمنظفات في العديد من الصناعات و تستخدم في طفايات الحريق. يحدث الضرر لطبقة الأوزون عندما تنبعث من هذه المواد الكيماوية مركبات من الكلور والبروم شديدة القابلية للتفاعل. ومن هذا نشأ ما يعرف بثقب الأوزون حيث أنه ظهر فوق القارة المتجمدة الجنوبية () كثقب في صور الأقمار الصناعية حيث انخفض تركيز الأوزون في هذا المكان بحوالي ٤٠% خلال الثلاثين سنة الماضية. ويتواجد ثقب الأوزون أيضاً فوق كندا والمناطق الشمالية من الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا.

٢٨-ظاهرة تأثير البيت الزجاجى (Greenhouse Effect)

تأثير يحدث بسبب غازات متعددة تنبعث من مصادر التلوث (يطلق عليها مصطلح غازات البيت الزجاجي) بحيث تحدث تأثير غلاف حول الأرض يسمح بدخول أشعة الشمس فتعمل على تسخين الأرض فتنبعث من الأرض موجات حرارية (أشعة تحت حمراء) إلى الفضاء الخارجي، ولكن تمتص غازات البيت الزجاجي هذه الأشعة تحت الحمراء وتمنع خروج معظمها من الغلاف الجوي للفضاء الخارجي. ويشبه هذا التأثير التأثر الذي يحدثه البيت الزجاجي (أو الصوب الزراعية) في المزروعات للحفاظ عليها في درجات حرارة محددة. وقد تسببت ظاهرة البيت الزجاجي في حدوث ظاهرة الاحتباس الحراري (الرجاء الرجوع لتعريف الاحتباس الحراري). وغازات البيت الزجاجي الرئيسية هي ثاني أكسيد

الكربون وبخار الماء والميثان والأوزون وأكسيد النيتروز والغازات العضوية مثل الكلوروفلوروكربون (CFCs) التي تنبعث من مصادر التلوث المختلفة مثل المصانع ومحطات توليد الطاقة وسائل النقل.

ثانيا : التحليل البعدى لنتائج الدراسات والبحوث في مجال البيئة والتربية البيئية ([1])

قد يكون من البديهى أن يهتم كثير من الباحثين لدراسة تلك القضايا البيئية ودراسة تأثيرات مظاهر التدهور البيئى على الانسان والنبات والحيوان وأيضا التوصل إلى إستراتيجيات وبرامج للتربية البيئية المناسبة للإصلاح البيئى ولقد تنوعت وتعددت تلك الدراسات والبحوث ولقد قام – الباحث – بتحليل بعدى Meta analysis لنتائج (١٠٠) مائة دراسة في مجال البيئة والتربية البيئية المنشورة حديثا وتوصل من خلالها للنتائج التى يوضحها الجدول التالى :

جدول(٣) : تحليل بعدى لموضوعات الدراسات البيئية المنشورة حديثا

م	الموضوع الرئيسى	الموضوعات الفرعية	عدد الدراسات	النسبة المئوية
١	دور المناهج الدراسية	في تحقيق أهداف المدرسة	٢	%٢
		في تحقيق أهداف المقررات	٢	%٢
٢	دور برامج التربية البيئية في تحقيق الأهداف للتلميذ العادى	هدف تحصيل المعلومات	٤٣	%٤٣
		هدف فهم القضايا البيئية	٢	%٢
		هدف تنمية المهارات	٧	%٧
		هدف التفكير	١٤	%١٤
		هدف الاتجاهات العلمية	١٦	%١٦
		تنمية الميول العلمية	٢	%٢
		تنمية القيم الإنسانية والأخلاق البيئية	٨	%٨
		تنمية عمليات العلم	٤	%٤
		تنمية المواطنة	٢	%٢

[1] : انظر لذلك دراسات :

–السيد محمد محمد السايح (٢٠٠٩م)،" دراسة تحليلية نقدية لبعض البحوث في مجال تعليم البيولوجى والتربية البيئية على ضوء معايير الحداثة والجودة ، المؤتمر العلمى الثالث عشر للتربية العلمية : المعلم والمنهج والكتاب دعوة للمراجعة ، الجمعية المصرية للتربية العلمية ، ٢–٤ أغسطس

–محمد صابر (٢٠٠٠م) : الإنسان وتلوث البيئة ، المملكة العربية السعودية ، مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية .

–محمد عبد الفتاح القصاص (٢٠٠٠م) : الانسان والبيئة والتنمية ، القاهرة : دار المعارف ، سلسلة أقرأ ، العدد (٦٥٦).

م	الموضوع الرئيسى	الموضوعات الفرعية	عـــــدد الدراسات	النســبة المئوية
		تنمية الدافعية للإنجاز	٢	%٢
٣	الاهتمام بتربية الفئات الخاصة من الطلاب	الطلاب الفائقين	٢	%٢
		الطلاب المعاقين	٤	%٤
٤	المحتوى الدراسى	تدريس موضوعات او مقررات او برامج بيئية	٢٠	%٢٠
		معالجة جديدة لموضوعات بالمقرر	١٠	%١٠
٥	اســـتخدام أســـاليب ونمـــاذج زطـــرق للتدريس	استخدام مداخل للتدريس	٢	%٢
		استخدام أساليب وطرق للتدريس	١٤	%١٤
		استخدام نماذج للتدريس	٣	%٣
		استخدام استراتيجيات للتدريس	١٣	%١٣
٦	اســتخدام تكنولوجيــا التعلـــيم والوســـائط المتعددة	الوسائط المتعددة	١	%١
		التعليم الإلكترونى	١	%١
٧	استخدام الأنشطة	انشطة حرة	٤	%٤
		أنشطة إثرائية	٣	%٣
		أنشطة صفية	٢	%٢
		أنشطة لا صفية	٢	%٢
٨	التقويم	التنبؤ بالتحصيل	٢	%٢
		الأخطاء الشائعة	١	%١
		تقييم الكتب	١	%١
		تقويم برامج ومقررات	٦	%٦
		تقويم برنامج إعداد المعلم	٨	%٨
٩	تربية المعلم	قبل الخدمة	٢٢	%٢٢
١٠	تطوير المناهج وبرامج التربية البيئية	تطوير برامج روضة الأطفال	٢	%٢
		تطوير برامج التعليم الابتدائى	٢	%٢
١١	البنـــاء التكـــاملى للمناهج	التكامل بين العلوم والدراسات الانسانية	٣	%٣
١٢	تدعيم الدراسات البيئية	بالمنظور الإسلامى	٢	%٢

م	الموضوع الرئيسى	الموضوعات الفرعية	عـــــدد الدراسات	النســبة المئوية
	والتربية البيئية	بالقوانين البيئية الوضعية	٢	%٢
		بقضايا البيئة ومشكلاتها	٦	%٦
١٣	مجالات التنور البيئى وتنمية الوعى البيئى	التنور التقنى	٢	%٢
		تصحيح أنماط السلوك	٢	%٢
		الوعى بأساليب تطوير البيئة ومواجهة مخاطر البيئة	٢	%٢
		الوعى بأساليب حماية البيئة من التلوث	٤	%٤
١٤	تصـــورات مســـتقبلية لحماية البيئة	في ضوء معايير الحداثة والجودة	٢	%٢
		تجديد الفقه الدينى واستحداث فقه البيئة	٣	%٣
		حماية البيئة من منظور الإسلام	٤	%٤
١٥	دور مؤسســـــــــات المجتمع	دور المؤسسات التعليمية في حماية البيئة	٢	%٢
١٦	قضايا بيئية	البيئة والتنمية المستدامة	٣	%٣
		التربية الغذائية	٤	%٤
		التربية الصحية	٤	%٤
		التنوع البيولوجى	٣	%٣
		التلوث البيئى	٦	%٦
		المخاطر الصحية	٤	%٤
		التغيرات المناخية	٣	%٣
		الدراسات البيئية	٢	%٢
		البيئة والعلم والتكنولوجيا	٢	%٢
		الأخلاق البيئية	٣	%٣
		التربية البيئية لمراحل التعليم	٨	%٨

خاتمة :

لعل ما سبق من قضايا وتحديات بيئية تجعل من قضية الحفاظ على البيئة وحمايتها قضية قومية يجب أن تتضافر كافة الجهود العالمية في كل أنحاء العالم لمواجهتها والتوصل إلى حلول جماعية عالمية للحد من التدهور البيئى على المستوى العالمى خاصة وإن الدراسات البيئة قد لا تتعرض لبعض مظاهر التدهور البيئى ذات الخطورة على الإنسان والكائنات الحية الأخرى مثل التغيرات المناخية وظاهرة الاحتباس الحرارى وآثار إزالة الغابات والغطاء الخضرى بهدف استغلال تلك المناطق في بناء المساكن أو المصانع في كثير من الدول خاصة الدول العربية والأفريقية .

الباب الثالث

البيئة من منظور إسلامي

– الفصل الخامس :(البيئة في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة)

– الفصل السادس : أزمة البيئة المعاصرة : أزمة روحانية وأخلاقية

الباب الثالث

البيئة من منظور إسلامي

الفصل الخامس

(البيئة في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة)

أولا : مظاهر الاهتمام بالبيئة فى القرآن الكريم :

قال الله تعالى:

- **"واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوّأكم في الأرض تتخذون من سهولها قصورا وتنحتون الجبال بيوتا فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين" (الأعراف:٧٤)**
- **"الذي جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء" (البقرة: ٢٢)**
- **" وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد" (الحديد: ٢٥)**
- **"وجعلنا من الماء كل شيء حي" (الأنبياء: ٣٠)**
- **"وجعلنا السماء سقفا محفوظا" (الأنبياء: ٣٢)**

وقال سبحانه وتعالى:

- **"إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا" (فاطر: ٤١)**
- **"ألم تر أن الله سخر لكم ما في الأرض والفلك تجري في البحر بأمره ويمسك السمآء أن تقع على الأرض إلا بإذنه" (الحج: ٦٥)**
- **"وجعلنا سراجا وهّاجا" (النبأ: ١٣)**
- **"هو الذي جعل الشمس ضياء" (يونس:٥)**
- **"قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه" (القصص:٧٢)**
- **وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه" (الحجر:٢٢)**
- **"والله الذي أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه إلى بلد ميت فأحيينا به الأرض بعد موتها" (فاطر:٩)**

ثانيا :مظاهر الاهتمام بالبيئة فى السنة النبوية الشريفة :

أولا – عمارة الأرض:

أن الاقتصاد يُعَدّ أحد العناصر الرئيسية للتنمية المستدامة. ولكننا هنا نؤثر استعمال المصطلح الإسلامي (عمارة الأرض) لأن دلالات هذا المصطلح تتضمن معاني الوسيلة التي تتحقق بها التنمية المستدامة، كما تتضمن – في الوقت نفسه – الهدف من هذه التنمية[1]. وتتمثل عمارة الأرض في الإسلام في كل الوسائل التي يمكن من خلالها إحداث مختلف أنواع التنمية، سواء أكانت اقتصادية (صناعية/ زراعية) أم حضرية أم اجتماعية أم صحية أم روحية...إلخ. كما أن عمارة الأرض تمثل الهدف الرئيسي للتنمية المستدامة، فضلا عن كونها غاية دينية ومقصدا شرعيا. فالله خلق الإنسان لكي يضطلع بثلاث مهام رئيسية، هي: عبادة الله لقوله تعالى: وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ{الذاريات :٥٦}، وخلافته في الأرض لقوله عز وجل: وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ{البقرة :٥٦}، وعمارتها استنادا إلى قول الحق تبارك وتعالى: وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ{هود :٦١}. ومن الناحية اللغوية فإن معنى (هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا) هو: فوّض إليكم أن تعمروها[2].

ومن الملاحظ أن ثمة ارتباطا وثيقا بين هذه المهام الثلاث، وتداخلا أيضا. فعبادة الله هي من الخلافة في الأرض ومن عمارتها. والخلافة هي من عبادة الله، ومن عمارة الأرض كذلك.

وتحفل السنة النبوية بالعديد من الأحاديث الشريفة التي تحث على عمارة الأرض.

١– ففي الحث على الغرس والتشجير والزرع: روى البخاري عن أنس (رضي الله عنه) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن قامت الساعة، وفي يد أحدكم فسيلة، فإن استطاع ألا تقوم حتى يغرسها، فليغرسها"[3]. وليس هناك تحريض على الغرس إلى آخر رمق في حياة الإنسان أقوى من هذا

---

(١) العمارة في اللغة: نقيض الخراب. يقال: عمَر أرضه يعمرها عمارة. انظر: معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم، الراغب الأصفهاني، دار الكتب العلمية، بيروت، صفحة ٣٨٨.

(٢) معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم، الراغب الأصفهاني، صفحة ٣٨٨.

(٣) رواه البخاري في الأدب المفرد، وأحمد في مسنده، والبزار. ورواية أحمد: "إنْ قامَتْ على أَحَدِكُمُ القِيَامَةُ وفي يَدِهِ فَسْلَةٌ فَلْيَغْرِسْها". انظر: الأدب المفرد، الحافظ محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: سمير بن أمين الزهيري، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، (باب اصطناع المال، الحديث رقم ٤٧٩)، الجزء الأول، صفحة ٢٤٢. وانظر: مسند أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني، مؤسة قرطبة، القاهرة، مسند أنس بن مالك رضي الله عنه، رقم الحديث ١٢٩٢٥، الجزء الثالث، صفحة ١٨٣. وجاء في مجمع الزوائد: "رواه البزار ورجاله أثبات ثقات". انظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، علي بن أبي بكر الهيثمي، دار الريان للتراث/ دار الكتاب العربي، القاهرة/ بيروت، الجزء

الحديث، لأنه يدل على الطبيعة المنتجة والخيرة التي يجب أن يتحلى بها الإنسان المسلم. والعمل هنا يجب أن يؤدى لذات العمل، لأنه ضروري للقيام بحق خلافة الله في الأرض.

وقد رغبت السنة النبوية في الغرس والتشجير وفلاحة الأرض، وجعلت ثواب ذلك أجرا عظيما، فكل ما يصاب من ثمار الأشجار والزروع هو صدقة ينميها الله عز وجل لصاحبها إلى يوم القيامة، بما في ذلك ما تصيبه أحياء البيئة من طير وسباع وحيوان ودواب وحشرات. فعن أنس (رضي الله عنه)، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما مِنْ مُسلمٍ يَغرِسُ غَرْساً، أو يَزْرَعُ زَرْعاً فيأكُلُ منه طَيْرٌ أو إنسانٌ أو بهيمةٌ، إلاَّ كان لهُ بهِ صَدَقَة)[1]. وعن خلاد بن السائب عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من زرع زرعاً فأكل منه الطير أو العافية كان له به صدقة)[2].

ومن الملاحظ أن هذه الأحاديث تحث المسلم – من طرف خفي – على أن يدع أحياء البيئة (من طير وحشرات وغيرها) تأكل من زرعه غير آسف على ذلك. فالله هو الرزاق، وهو يرزق كل ما خلق، وليس على الإنسان أن يمنع مخلوقات الله من أن تحصل على طعامها مما أنبته الله، وعليه أن يطمئن إلى عِظَم الجزاء الذي سيكون له عند مولاه نظير ما أخذته هذه المخلوقات من ثماره وحبوبه وزروعه.

ولما كان حفر الأنهار والقنوات من مستلزمات الزراعة حثت السنة النبوية على ذلك، وجعلت شق الأنهار من الأعمال التي يلحق ثوابها المؤمن بعد موته. فعَن أَبِي هُرَيْرَةَ؛ قَالَ: قَالَ رَسُول اللَّه صَلى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (أَن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بَعْد موته: علما علمه ونشره، وولدا صالحا

الرابع، صفحة ٦٣. والفسيلة: الصغيرة من النخل. والفسل: قضبان الكرم للغرس، وهو ما أخذ من أمهاته ثم غرس، حكاه أبو حنيفة. انظر: لسان العرب، ابن منظور، الجزء الحادي عشر، صفحة ٥١٩.

(١) رواه الشيخان. انظر: صحيح البخاري، الإمام الحافظ أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، مراجعة وضبط: الشيخ محمد علي القطب والشيخ هشام البخاري، المكتبة العصرية، صيدا/ بيروت، كتاب الحرث والمزارعة، باب: فضل الزرع والغرس إذا أكل منه، الحديث رقم ٢٣٢٠، صفحة ٣٩٧. وانظر: صحيح مسلم: صحيح مسلم بشرح النووي، يحيى بن شرف النووي، مكتبة الإيمان، المنصورة بمصر، كتاب المساقاة، باب: فضل الغرس والزرع، الحديث رقم ٨٩–(١٥٤٣)، الجزء الخامس، صفحة ٣٦٤.

(٢) مسند أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني، مسند سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، حديث السائب بن خلاد أبي سهلة رضي الله تعالى عنه، الحديث رقم ١٦٦٠٧، الجزء الرابع، صفحة ٥٥. وقال المنذري: "رواه أحمد والطبراني وإسناد أحمد حسن". انظر: الترغيب والترهيب، الحافظ المنذري، الحديث رقم ٣٩٢٧، الجزء الثالث، صفحة ٢٨٧. وقال الحافظ الهيثمي: "رواه أحمد والطبراني في الكبير، وإسناده حسن". انظر: مجمع الزوائد، باب اتخاذ الشجر وغير ذلك، نص رقم ٦٢٩٥، صفحة ١١٧. والعافية: طُلاَّبُ الرزقِ من الإنسِ والدوابِّ والطَّيْر. والواحدُ من العافية: عافٍ، وهو كلُّ من جاءَك يطلُب فضلاً أَو رزقاً. انظر: لسان العرب، ابن منظور، الجزء الخامس عشر، صفحة ٧٤.

تركه، ومصحفا ورثه، أو مسجدا بناه، أو بيتا لابن السبيل بناه، أو نهرا أجراه، أو صدقة أخرجها من ماله فِي صحته وحياته، تلحقه من بَعْد موته)[1].

وإذا عجز المرء عن زراعة أرضه لأي سبب كان (لعذر جسماني أو مادي مثلا) فإن عليه ألا يترك الأرض لتبور، بل عليه أن يعطيها للقادر على زراعتها. فعن جابر رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (مَنْ كَانَتْ لَهُ أَرْضٌ فَلْيَزْرَعْهَا، أو ليمنحها أخاه، فإن أبى فليمسك أرضه)[2]. وعن أبي النجاشي مولى رافع بن خديج، قال: سمعت رافع بن خديج بن رافع عن عمه ظهير بن رافع، قال ظهير: "لقد نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أمر كان بنا رافقا. قلت: ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو حق. قال: دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: (ما تصنعون بمحاقلكم؟) قلت: نؤاجرها على الربيع وعلى الأوسق من التمر والشعير. قال: (لا تفعلوا. ازرعوها، أو أزرعوها، أو أمسكوها). قال رافع: قلت سمعا وطاعة"[3].

---

(1) رواه ابن ماجه. وفي سند الحديث مرزوق بن الهذيل. ومرزوق مختلف فيه. ونُقِل عَن ابْن المنذر أَنَّهُ قَالَ: إِسْنَادُهُ حسن. وفِي الْزَوَائِدِ: إِسْنَادُهُ غريب. انظر: سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت، كتاب اتباع السنة، بَاب: ثواب معلم الناس الخير، الحديث رقم ٣٦٠٥، الجزء الأول، صفحة ٨٨. ورواه البيهقي عن أنس، وفي سنده محمد بن عبيد الله العزرمي. ومتن الحديث عند البيهقي هكذا: (سبعة يجري للعبد أجرهن وهو في قبره بعد موته: من علم علما، أو كرى نهرا، أو حفر بئرا، أو غرس نخلا، أو بنى مسجدا، أو ورّث مصحفا، أو ترك ولدا يستغفر له بعد موته). فجعل غرس النخل مما يستمر ثوابه وأجره بعد موت صاحبه. وقال البيهقي: "محمد بن عبد الله العزرمي ضعيف، غير أنه قد تقدمه ما يشهد لبعضه والله أعلم". انظر: شعب الإيمان، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، الباب الثاني والعشرين من شعب الإيمان وهو باب في الزكاة، فصل: في الاختيار في صدقة التطوع، الحديث رقم ٣٤٤٩، الجزء الثالث، صفحة ٢٤٨. وانظر أيضا: الترغيب والترهيب، الحافظ المنذري، المكتب الثقافي للنشر والتوزيع، القاهرة، الحديث رقم ٣٩٢٧، الجزء الثالث، صفحة ٢٨٧.

(2) رواه الشيخان. انظر: صحيح البخاري، كتاب الحرث والمزارعة، باب: ما كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يواسي بعضهم بعضا في الزراعة والثمرة، الحديث رقم: ٢٣٤٢، صفحة ٤٠١. وانظر: صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب البيوع، باب: كراء الأرض، الحديث رقم ١٢- (١٥٥٣)، الجزء الخامس، صفحة ٣٧٩.

(3) رواه الشيخان. انظر:

صحيح البخاري، كتاب الحرث والمزارعة، باب: ما كان من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يواسي بعضهم بعضا في الزراعة والثمرة، الحديث رقم ٢٣٣٩، صفحة ٤٠٠. وانظر: صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب البيوع، باب: كراء الأرض بالطعام، الحديث رقم ١١٤- (١٥٤٨)، الجزء الخامس، صفحة ٣٧٠: ٣٧١. وقوله: (رافقا) أي ذا رفق. وقوله: (بمحاقلكم) أي بمزارعكم. و(على الربيع): النهر الصغير. والمعنى أنهم كانوا يكرون الأرض ويشترطون لأنفسهم ما ينبت على الأنهار. قوله: (وعلى الأوسق) الواو بمعني أو. قوله: (ازرعوها أو أزرعوها) الأول بكسر الألف وهي ألف وصل والراء مفتوحة، والثاني بألف قطع والراء مكسورة وأو للتخيير لا للشك، والمراد ازرعوها أنتم أو أعطوها لغيركم يزرعها بغير أجرة. قوله: (أو أمسكوها) أي اتركوها معطلة. انظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر

بل إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ترك خيبر لليهود (قبل إجلائهم منها) ليزرعوا أرضها مقابل شطر ما تغله أرض تلك البلدة، وهذا يعني أنه "لا فرق في جواز هذه المعاملة بين المسلمين وأهل الذمة"[1]. فعن عبد الله بن عمر (رضي الله عنهما) (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطى خيبر اليهود، على أن يعملوها ويزرعوها، ولهم شطر ما خرج منها)[2]. وعن ابن عمر أن "عمر بن الخطاب (رضي الله عنهما) أجلى اليهود والنصارى من أرض الحجاز، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما ظهر على خيبر أراد إخراج اليهود منها، وكانت الأرض حين ظهر عليها لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم وللمسلمين، فسألت اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقرّهم بها أن يكفوا عملها ولهم نصف الثمر، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: (نقرّكم بها على ذلك) ما شئنا، فقرّوا بها حتى أجلاهم عمر إلى تيماء وأريحاء"[3].

٢- في مجال إحياء الأرض الموات[4] حثت السنة النبوية على إصلاح تلك الأرض وزراعتها وجلب الماء إليها. فعن عائشة (رضي الله عنها) عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (من أعمر أرضا

العسقلاني، رقّم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الريان للتراث، القاهرة، الجزء الخامس، صفحة ٢٩. وقال الإمام النووي: "قوله في هذا الحديث: (نؤاجرها يا رسول الله على الربيع أو الأوسق) هكذا هو في معظم النسخ. (الربيع) وهي الساقية والنهر الصغير، وحكى القاضي عن رواية ابن ماهان (الربع) بضم الراء وبحذف الياء، وهو أيضا صحيح". انظر: صحيح مسلم بشرح النووي، الجزء الخامس، صفحة ٣٧١. والأوسق: جمع وسْق. والوَسْقُ والوِسْقُ: مِكْيَلَة معلومة، وقيل: هو حمل بعير وهو ستُّون صاعاً بصاع النبي صلى الله عليه وسلم وهو خمسة أَرطال وثلث، فالوسْقُ على هذا الحساب مائة وستون مَناً. وفي التهذيب: الوَسْقُ، بالفتح، ستّون صاعاً وهو ثلاثمائة وعشرون رطلاً عند أَهل الحجاز، وأَربعمائة وثمانون رطلاً عند أَهل العِراق على اختلافهم في مقدار الصاع والمُدّ، والأَصل في الوَسْق الحَمْل؛ وكل شيء وَسَقْته، فقد حملته. وقال الخليل: الوَسْق هو حِمْل البعير، والوِقْرُ حمل البغل أَو الحمار. انظر: لسان العرب، ابن منظور، الجزء العاشر، صفحة ٣٧٨: ٣٧٩.

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، الجزء الخامس، صفحة ١٩.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الحرث والمزارعة، باب: المزارعة مع اليهود، الحديث رقم: ٢٣٣١، صفحة ٣٩٩.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الحرث والمزارعة، باب: إذا قال رب الأرض: اترك ما أقرك الله ولم يذكر أجلا معلوما فهما على تراضيهما، الحديث رقم: ٢٣٣٨، صفحة ٤٠٠. قال ابن حجر: "فقَرّوا (بفتح القاف) أي: سكنوا. وتيماء (بفتح المثناة وسكون التحتانية والمد)، وأريحاء (بفتح الهمزة وكسر الراء بعدها تحتانية ساكنة ثم مهملة وبالمد أيضا): هما موضعان مشهوران بقرب بلاد طيء على البحر في أول طريق الشام من المدينة". انظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، الجزء الخامس، صفحة ٢٦.

(٤) قال القزاز: "الموات الأرض التي لم تعمر، شبهت العمارة بالحياة وتعطيلها بفقد الحياة. وإحياء الموات أن يعمد الشخص لأرض لا يعلم تقدم مالك عليها لأحد فيحييها بالسقي أو الزرع أو الغرس أو البناء، فتصير بذلك ملكه، سواء

ليست لأحد فهو أحق)[1]، أي أحق بها[2]. وقال عمر (رضي الله عنه): (من أحيا أرضا ميتة فهي له)[3]. ولا يخفى أثر إحياء الأرض في زيادة الإنتاج الزراعي والحيواني، فضلا عن دوره في المحافظة على التربة ومنع تفكّكها وتعرضها للتصحر.

٣- في مجال العمل والصناعة[4]، حثت السنة على العمل اليدوي للاستغناء به عن سؤال الناس. فعن المقدام رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده)[5]. ومن المعروف أن نبي الله داود كان يصنع الحديد كما أخبرنا القرآن الكريم عنه في قوله تعالى: وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّن بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ{الانبياء :٨٠}، وقوله عز وجل: وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلاً يَا

أكانت فيما قرب من العمران أم بعد، سواء أذن له الإمام في ذلك أم لم يأذن، وهذا قول الجمهور". انظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، الجزء الخامس، صفحة ٢٣.

(١) صحيح البخاري، كتاب الحرث والمزارعة، باب: من أحيا أرضا مواتا، الحديث رقم: ٢٣٣٦، صفحة ٤٠٠.

(٢) قال ابن حجر: "قوله: (من أعمر) بفتح الهمزة والميم من الرباعي، قال عياض كذا وقع، والصواب: (عمر) ثلاثيا. قال تعالى: (وعمروها أكثر مما عمروها)، إلا أن يريد أنه جعل فيها عمارا، قال ابن بطال: ويمكن أن يكون أصله من اعتمر أرضا أي اتخذها، وسقطت التاء من الأصل، وقال غيره قد سمع فيه الرباعي، يقال أعمر الله بك منزلك. فالمراد من أعمر أرضا بالإحياء فهو أحق به من غيره، وحذف متعلق أحق للعلم به،... ووجه آخر عن يحيي بن بكير شيخ البخاري فيه. قوله: (فهو أحق) زاد الإسماعيلي: (فهو أحق بها) أي من غيره... انظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، الجزء الخامس، صفحة ٢٣.

(٣) رواه البخاري في عنوان باب: من أحيا أرضا مواتا، ولم يذكر سند الحديث، وإنما قال: "ويروى عن عمر وابن عوف عن النبي صلى الله عليه وسلم. ويروى فيه عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم". انظر: صحيح البخاري، كتاب الحرث والمزارعة، باب: من أحيا أرضا مواتا، صفحة ٤٠٠. وقال ابن حجر: "قوله – أي: البخاري–: (وقال عمر من أحيا أرضا ميتة فهي له) وصله مالك في (الموطأ) عن ابن شهاب عن سالم عن أبيه مثله. وروينا في (الخراج ليحيى بن آدم) سبب ذلك فقال: حدثنا سفيان عن الزهري عن سالم عن أبيه قال: كان الناس يتحجرون – يعني الأرض – على عهد عمر، قال: من أحيا أرضا فهي له. قال يحيى: كأنه لم يجعلها له بمجرد التحجير حتى يحييها". انظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، الجزء الخامس، صفحة ٢٣.

(٤) من الجدير بالذكر أن تعريف الصناعة عند العرب يختلف كثيرا عن تعريفنا لها، فقد جاء في (لسان العرب): "صنعه يصنعه صنعا، فهو مصنوع، وصُنْع: عَمِله... والصناعة: حرفة الصانع... والصناعة: ما تستصنع من أمر". انظر: لسان العرب، ابن منظور، الجزء الثامن، صفحة ٢٠٨: ٢٠٩. أما الصناعة في عالمنا المعاصر فتعني: "كل عمل من شأنه تحويل مادة خام، أو منتج نصف مصنوع إلى منتج آخر تتوافر فيه المواصفات الفنية التي تجعله صالحا للاستخدام، بواسطة المستهلك النهائي، أو لاستكماله بمرحلة أو بعدة مراحل إنتاجية بواسطة صناعة أو صناعات أخرى. انظر: عناية الاقتصاد الإسلامي بالصناعة على المستويين النظري والعملي، د. بيلي إبراهيم أحمد العليمي، بدون ناشر، صفحة ١١.

(٥) صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب: كسب الرجل وعمله بيده، الحديث رقم ٢٠٧٢، صفحة ٣٥٤.

جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ{سبأ:١٠} أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ{سبأ: ١١ }. فعن عبدِ الله بنِ عبدِ الرحمٰنِ بنِ أبي حُسَيْنٍ أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال: (إنَّ اللهَ ليُدخلُ بالسَّهمِ الواحدِ ثلاثةً الجنَّةَ: صَانِعَهُ يَحْتَسِبُ في صَنْعَتِهِ الْخَيْرَ، والرَّامِي بِهِ، والمُمِدَّ بِهِ...)[1].

وإذا لم يتمكن الإنسان من الحصول على عمل، فإن على أولي أمر المسلمين أن يهيئوا له عملا مناسبا. فعن أنس بن مالك (رضي الله عنه) أن رجلا من الأنصار أتى إلى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله، فقال: (أما في بيتك شيء؟). قال: بلى، حلس نلبس بعضه ونبسط بعضه، وقعب نشرب فيه من الماء. قال: (ائتني بهما). فأتاه بهما، فأخذهما رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده، وقال: (من يشتري هذين؟). قال رجل: أنا آخذهما بدرهم. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من يزيد على درهم؟) مرتين أو ثلاثا. قال رجل: أنا آخذهما بدرهمين. فأعطاهما إياه، وأخذ الدرهمين فأعطاهما الأنصاري، وقال: (اشترِ بأحدهما طعاما فانبذه إلى أهلك، واشتر بالآخر قدوماً فائتني به). فأتاه به،

---

(1) رواه الترمذي، وقال عنه أبو عيسى: هذا حَدِيثٌ حَسَنٌ. انظر: سنن الترمذي، الإمام الحافظ محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، ضبط وفهرسة: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، كتاب فضائل الجهاد عن رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وسَلَّم، باب: مَا جَاءَ في فضلِ الرَّمي في سبيلِ اللهِ، الحديث رقم ١٦٣٧، صفحة ٣٨٥. وقد ورد هذا الحديث في سنن أبي داود برواية أخرى عن طريق عقبة بن عامر، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إن الله عز وجل يدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة: صانعه يحتسب في صنعته الخير، والرامي به، ومنبله..) انظر: سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، ضبط وفهرسة: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، كتاب الجهاد، باب: في الرمي، الحديث رقم ٢٥١٣، صفحة ٣٨١: ٣٨٢. وقال الهيثمي: "رواه الطبراني في الأوسط، وفيه سويد بن عبد العزيز، قال أحمد: متروك، وضعفه الجمهور، ووثقه دحيم، وبقية رجاله ثقات". انظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، علي بن أبي بكر الهيثمي، الجزء الخامس، صفحة ٢٦٩. وجاء في تحفة الأحوذي: "قوله (أي: الترمذي): (هذا حديث حسن صحيح) الظاهر أن الترمذي أشار بقوله هذا إلى حديث عقبة بن عامر لا إلى حديث عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي حسين فإنه مرسل، وفي سنده محمد بن إسحاق وهو مدلس، ورواه عنه بالعنعنة. وأما حديث عقبة فرواه أبو داود والنسائي والحاكم، وقال: صحيح الإسناد، والبيهقي من طريق الحاكم وغيرها. وفي لفظ أبي داود: (ومنبله) مكان، (والممد به)... قال البغوي: هو الذي يناول الرامي النبل، وهو يكون على وجهين: أحدهما: أن يقوم بجنب الرامي أو خلفه يناوله النبل واحداً بعد واحد حتى يرمي. والآخر أن يرد عليه النبل المرمي به... قال المنذري: ويحتمل أن يكون المراد بقوله: (منبله) أي: الذي يعطيه للمجاهد، ويجهِّز به من ماله إمداداً له وتقوية. ورواية البيهقي تدل على هذا. انتهى". انظر: تحفة الأحوذي، المُبَارَكْفوري (أبو العلا)، دار الفكر، الجزء الخامس، صفحة ٢١٣. وجاء في (عون المعبود): "والسهم: واحد من النبل، وقيل: السهم نفس النصل... والنبل: السهام العربية". انظر: عون المعبود في شرح سنن أبي داود، العظيم آبادي (أبو الطيب)، دار الفكر، الجزء السابع، صفحة ١٨٩.

فشدّ فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم عودا بيده، ثم قال: (اذهب فاحتطب وبع، ولا أرينك خمسة عشر يوماً)، ففعل، فجاء وقد أصاب عشرة دراهم، فاشترى ببعضها ثوبا، وببعضها طعاما. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (هذا خير لك من أن تجيء المسألة نكتة في وجهك يوم القيامة. إن المسألة لا تصلح إلا لثلاث: لذي فقر مدقع، أو لذي غرم مفظع، أو لذي دم موجع)[1].

ويستفاد من هذا الحديث أن على صاحب الحاجة والمتعطل عن العمل مع قدرته عليه رفع شكواه إلى أولي الأمر لكي يدبروا له أمره، وعلى أولي الأمر العمل على توفير العمل المناسب للشاكي تبعا لظروف المجتمع واحتياجات المتعطلين فيه(٢). ولا يفهم مما سبق أن الإسلام ضد التكافل الاجتماعي وضد إعانة الفقراء والمساكين. فالإسلام هو الدين الوحيد الذي جعل أداء الزكاة ركنا من أركان العبادة، وجعل إطعام المسكين من لوازم الإيمان، فقال تعالى: كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ{٣٨} إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ{٣٩} فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءلُونَ{٤٠} عَنِ الْمُجْرِمِينَ{٤١} مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ{٤٢} قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ

---

(١) رواه أبو داود. انظر: سنن أبي داود، كتاب الزكاة، باب: ما تجوز فيه المسألة، الحديث رقم ١٦٤١، صفحة ٢٥٤. وفي سند الحديث الأخضر بن عجلان. جاء في (تاريخ أسماء الثقات) أن "عبد الله بن أحمد (بن حنبل) قال: قال أبي: الأخضر بن عجلان، ما أرى بأسا. وفي رواية العباس عن يحيى أخضر بن عجلان: ليس به بأس. وفي رواية إسحاق عنه: صالح". انظر: تاريخ أسماء الثقات، عمر بن أحمد أبو حفص الواعظ، تحقيق: صبحي السامرائي، الدار السلفية، الكويت، الجزء الأول، صفحة ٤٠. وجاء في (عون المعبود): "والأخضر بن عجلان، قال يحيى بن معين: صالح، وقال أبو حاتم الرازي: يكتب حديثه... والحلس: كساء غليظ يلي ظهر البعير تحت القتب. (نلبس): بفتح الباء (بعضه): أي بالتغطية لدفع البرد، (ونبسط بعضه): أي بالفرش. (والقعب): قدح ويستخدم للفرش والغطاء. والقعب: إناء من الفخار. (بأحدهما): أي أحد الدرهمين. (فانبذه): أي اطرحه. (إلى أهلك): أي ممن يلزمك مؤنته. (قدوماً): بفتح القاف وضم الدال أي فأساً. (فشدّ فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم عودا بيده) المعنى: أن النبي صلى الله عليه وسلم أحكم في القدوم مقبضاً من العود والخشب ليمسك به القدوم لأن القدوم بغير المقبض لا يستطيع الرجل به قطع الحطب وغيره بلا كلفة، فلذلك فعله صلى الله عليه وسلم تفضلا وامتناناً عليه. (فاحتطب): أي اطلب الحطب واجمع. (ولا أرينك خمسة عشر يوماً): أي لا تكن هنا هذه المدة حتى لا أراك... والمراد نهي الرجل عن ترك الاكتساب في هذه المدة لا نهي نفسه عن الرؤية. والنكتة: أثر كالنقطة، أي حال كونها علامة قبيحة أو أثراً من العيب. (لا تصلح): أي لا تحل ولا تجوز. (فقر مدقع): أي شديد يفضي بصاحبه إلى الدقعاء وهو التراب. (أو لذي غرم): أي غرامة أو دين. (مقطع): أي فظيع وثقيل وفضيح. (دم موجع): أي مؤلم، والمراد دم يوجع القاتل أو أولياءه بأن تلزمه الدية وليس لهم ما يؤدي به الدية، ويطلب أولياء المقتول منهم وتنبعث الفتنة والمخاصمة بينهم، وقيل هو أن يتحمل الدية فيسعى فيها ويسأل حتى يؤديها إلى أولياء المقتول لتنقطع الخصومة وليس له ولأوليائه مال، ولا يؤدي أيضاً من بيت المال فإن لم يؤدها قتلوا المتحمل عنه وهو أخوه أو حميمه فيوجعه قتله". انظر: عون المعبود في شرح سنن أبي داود، العظيم آبادي، الجزء الخامس، صفحة ٥١: ٥٤.

(٢) د. إسماعيل إبراهيم البدوي، عناصر الإنتاج في الاقتصاد الإسلامي والاقتصاد الوضعي: دراسة مقارنة، مجلس النشر العلمي بجامعة الكويت، الكويت، صفحة ١٨١: ١٨٢.

الْمُصَلِّينَ{٤٣} وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ{٤٤}(المدثر : ٣٨-٤٤).

ثانيا: الاهتمام بالإنسان

لما كان الإنسان هو أساس برامج التنمية المستدامة، وهو غايتها، والقائم بها، لذلك أعلت السنة النبوية قيمة الإنسان واهتمت به وبتنمية قدراته، باعتباره أهم عنصر من عناصر البيئة، بل إن البيئة نفسها مسخرة لخدمته، وهو خليفة الله في الأرض دون غيره من سائر المخلوقات.

١- ففي مجال المحافظة على النفس شددت السنة النبوية على حرمة الدماء حتى لغير المسلمين، فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ألا من قتل نفسا معاهدة له ذمة الله وذمة رسوله، فقد أخفر بذمة الله، فلا يُرَح رائحة الجنة، وإن ريحها ليوجد من مسيرة سبعين خريفا)[١]. وإذا كان الإسلام قد نهى عن قتل نفس الآخر إلا بحقها، فإنه نهى أيضا عن قتل الإنسان لنفسه. فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (من تردى من جبل فقتل نفسه، فهو في نار جهنم يتردى فيها خالدا مخلدا فيها أبدا، ومن تحسّى سما فقتل نفسه فسمه في يده يتحساه في نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا، ومن قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يجأ بها في بطنه في نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا)[٢]. وقد علل الفقهاء ذلك بأن النفس ملك لله عز وجل، فهو المالك الحقيقي لها وجودا وعدما وتصرفا، وليس الإنسان إلا حارسا وأمينا عليها، وهذه الأمانة تقتضي منه وجوب حفظها، ومن ذلك تناول الأكل والشرب لما فيه من قوامها. فعن سعد بن أبي وقاص (رضي الله عنه) عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "عجبت للمسلم إذا أصابه خير حمد الله وشكر، وإذا

(١) رواه الترمذي، وقال أبو عيسى: وفي الباب عن أبي بكرة. حديث أبي هريرة حديث حسن صحيح. انظر: سنن الترمذي، كتاب الديات عن رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وسَلَّم، باب: مَا جَاءَ فيمن يقتل نفسا معاهدة، الحديث رقم ١٤٠٣، صفحة ٣٣١. وجاء في تحفة الأحوذي: "قوله: (ألا): حرف التنبيه. (من قتل نفساً معاهدة): أي رجلاً معاهداً. (له ذمة الله وذمة رسوله): الذمة والذمام وهما بمعنى العهد والأمان والضمان والحرمة والحق. وسمي أهل الذمة لدخولهم في عهد المسلمين وأمانهم. (فقد أخفر بذمة الله): خفرته أجرته وحفظته، والخفارة بالكسر والضم الذمام، وأخفرته إذا أنقضت عهده وذمامه، وهمزته للسلب. (فلا يرح رائحة الجنة) أي لم يشم ريحها... (وإن ريحها لتوجد من مسيرة سبعين خريفاً) أي عاماً". انظر: تحفة الأحوذي، المُبَارَكْفوري، الجزء الرابع، صفحة ٥٥١: ٥٥٢.

(٢) رواه الشيخان. انظر: صحيح البخاري، كتاب الطب، باب: شرب السم والدواء به وبما يخاف منه والخبيث، الحديث رقم ٥٤٤٢، صفحة ١٠٥٢. وانظر: صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الإيمان، باب: غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه وأن من قتل نفسه بشيء عذب به في النار وأنه لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة، الحديث رقم ١٧٥-(١٠٩)، الجزء الأول، صفحة ٣١٧. تردّى، أي: رمى بنفسه من الجبل أو غيره فهلك. يجأ (وفي رواية مسلم: يتوجأ) أي: يضرب بها نفسه. ويتحساه: يشربه في تمهل ويتجرعه. انظر: صحيح مسلم بشرح النووي، الجزء الأول، صفحة ٣٢١. وانظر أيضا: الترغيب والترهيب، الحافظ المنذري، كتاب الحدود وغيرها، باب: الترهيب من قتل الإنسان نفسه، الحديث رقم ٣٦٩٧، الجزء الثالث، صفحة ٢٣٩.

أصابته مصيبة احتسب وصبر، المسلم يؤجر في كل شيء حتى في اللقمة يرفعها إلى فيه"[1]. وانظر إلى رحمة المصطفى صلى الله عليه وسلم بالمسلمين وأبنائهم، حتى ولو كان المسلم قد عصي ربه، وجاء ولده من حرام. فعن بريدة قال: جاءت الغامدية فقالت: يا رسول الله، إني قد زنيت فطهّرني، وأنه ردّها. فلما كان من الغد قالت يا رسول الله: لم تردني؟ لعلك أن تردّني كما رددت ماعزا؟ فوالله إني لحبلى. قال: "أما لا، فاذهبي حتى تلدي". فلما ولدت أتته بالصبي في خرقة. قالت: هذا قد ولدته. قال: "اذهبي فأرضعيه حتى تفطميه". فلما فطمته أتته بالصبي في يده كسرة خبز، فقالت: يا نبي الله قد فطمته، وقد أكل الطعام. فدفع الصبي إلى رجل من المسلمين... إلخ الحديث[2].

٢- في مجال توفير الأمن الغذائي والكسائي، حثت السنة النبوية على إطعام الجائع، وجعلت ذلك ركنا من أركان الإيمان. فعن أنس بن مالك (رضي الله عنه) قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "ما آمن بي من بات شبعان وجاره جائع إلى جنبه، وهو يعلم به"[3]. وجاء في الحديث القدسي ما يؤكد ذلك ويجعل ثواب هذا العمل عظيما، بما في ذلك كسوة العاري. فعن أبي ذر (رضي الله عنه) عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال: (يا عبادي: إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرما، فلا تظالموا. يا عبادي: كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم. يا عبادي: كلكم جائع إلا من أطعمته، فاستطعموني أطعمكم. يا عبادي: كلكم عارٍ إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم.... الحديث)[4]. فالإنسان الذي به عوز إلى الطعام والشراب والكساء لا يستطيع أن ينتج، وينعكس عجزه هذا على البيئة الطبيعية فتتدهور. وخير مثال على ذلك ما نراه في المجتمعات الفقيرة اليوم في إفريقيا. فالفقر يقف حجر عثرة أمام استغلال ثروات البيئة في هذه المجتمعات، في

---

(1) مسند أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني، مسند سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، الحديث رقم ١٥٣١، الجزء الأول، صفحة ١٧٧. وجاء في مجمع الزوائد: "رواه أحمد بأسانيد.... وأسانيد أحمد رجالها رجال الصحيح ". انظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، علي بن أبي بكر الهيثمي، الجزء العاشر، صفحة ٩٥.

(2) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الحدود، باب: من اعترف على نفسه بالزنى، الحديث رقم ٢٣- (١٦٩٥)، الجزء السادس، صفحة ١٧٤: ١٧٥.

(3) رواه الطبراني، انظر: المعجم الكبير، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، باب: ومما أسند أنس بن مالك رضي الله عنه، الجزء الأول، صفحة ٢٥٩. وقال عنه المنذري: "رواه الطبراني والبزار، وإسناده حسن". انظر: الترغيب والترهيب، الحافظ المنذري، كتاب البر والصلة وغيرهما، باب الترهيب من أذى الجار وما جاء في تأكيد حقه، الحديث رقم ٣٨٧٤، الجزء الثالث، صفحة ٢٧٦.

(4) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب البر والصلة والآداب، باب: تحريم الظلم، الحديث رقم ٥٥- (٢٥٧٧)، الجزء الثامن، صفحة ٣٠٨.

حين أن الدول الغنية تنتج ما يفيض عنها فتلجأ إلى إغراق فائض الحبوب في البحر، حفاظا على الأسعار.

٣- في مجال تحقيق الأمن النفسي نجد أن الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم يحرِّم ترويع المسلم، حتى لو كان ذلك مقصده المزح، كأن يجرّ أحدهم حبلا فوق نائم فيفزعه لاعتقاده أن الحبل أفعى. فعن عبد الرحمن بن أبي ليلى، قال: حدثنا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أنهم كانوا يسيرون مع النبي صلى الله عليه وسلم، فنام رجل منهم، فانطلق بعضهم إلى حبل معه فأخذه ففزع، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا يحلّ لمسلم أن يروّع مسلما"[١].

ويندرج تحت حماية الإنسان وعدم ترويعه أن يشير امرؤ إلى آخر بالسلاح. فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) عن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: "لا يشير أحدكم إلى أخيه بالسلاح، فإنه لا يدري لعل الشيطان ينزع في يده فيقع في حفرة من النار"[٢]. وقد اعتبرت الإشارة بحديدة أيضا من وسائل الترويع المنهي عنها. فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من أشار إلى أخيه بحديدة فإن الملائكة تلعنه حتى ينتهي، وإن كان أخاه لأبيه وأمه"[٣].

٤- وفي مجال المحافظة على سلامة عقل الإنسان، نهت السنة النبوية المسلم عن كل ما يذهب بالعقل أو يتسبب في تغييب الوعي وفتور البدن، بما في ذلك الخمور بمسمياتها المختلفة والمخدرات بأنواعها المتعددة. فعن النعمان بن بشير قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (إن الخمر من العصير والزبيب والتمر والحنطة والشعير والذرة، وإني أنهاكم عن كل مسكر)[٤]. وعن أم

---

(١) رواه أبو داود. انظر: سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب: من يأخذ الشيئ على المزاح، الحديث رقم ٥٠٠٤، صفحة ٧٤٩. وجاء في مجمع الزوائد: "رواه الطبراني في الكبير والأوسط. ورجال الكبير ثقات". انظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، علي بن أبي بكر الهيثمي، باب فيمن أخاف مسلما، الجزء السادس، صفحة ٢٥٦. وجاء في عون المعبود: "والحديث سكت عنه المنذري... (ففزع): من الفزع: الذعر والفرق. (يروع مسلماً): أي يخوفه". انظر: عون المعبود في شرح سنن أبي داود، العظيم آبادي، الجزء الثالث عشر، صفحة ٣٤٦.

(٢) رواه الشيخان. انظر: صحيح البخاري، كتاب الفتن، باب: قول النبي صلى الله عليه وسلم: (من حمل علينا السلاح فليس منا)، الحديث رقم ٧٠٧٢، صفحة ١٢٥٨. وقال النووي: "(لعل الشيطان ينزع) ومعناه: يرمي في يده ويحقق ضربته ورميته. انظر: صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب البر والصلة والآداب، باب: النهي عن الإشارة بالسلاح إلى مسلم، الحديث رقم ١٢٦ (٢٦١٧)، الجزء الثامن، صفحة ٣٤٢. و"نزع في القوس ينزع نزعا: مد بالوتر، وقيل: جذب الوتر بالسهم". انظر: لسان العرب، ابن منظور، الجزء الثامن، صفحة ٣٥١.

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب البر والصلة والآداب، باب: النهي عن الإشارة بالسلاح إلى مسلم، الحديث رقم ١٢٥ (٢٦١٦)، الجزء الثامن، صفحة ٣٤١.

(٤) رواه أبو داود. انظر: سنن أبي داود، كتاب الأشربة، باب: الخمر: ما هو؟، الحديث رقم ٣٦٧٧، صفحة ٥٥٦: ٥٥٧. جاء في (عون المعبود): "قال المنذري: في إسناده أبو حريز عبد الله بن الحسين الأزدي الكوفي قاضي

سلمة -رضي الله عنها – (أن رسول الله نهى عن كل مسكر ومفتِّر)[1]. ومن المعروف أن الإنسان المدمن لا يمكنه أن يشارك في الإنتاج وبرامج التنمية بالشكل المناسب.

٥- في مجال تغيير سلوكيات الناس وتحويل الأيدي العاطلة إلى أيدٍ عاملة، ثمة أحاديث كثيرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم عالجت مشكلة التكسب بسؤال الناس، عن طريق تحويل من يمارسون المسألة من عاطلين إلى عاملين. وهي أحاديث تقدم لنا نموذجا عمليا يمكننا الاقتداء به لتغيير سلوكيات هذه الفئة التي تستمرئ التسول والسؤال، وجعلها توظِّف طاقاتها وقدراتها لخدمة المجتمع وخدمة أهلها. ومن ذلك الحديث الذي رواه أبو هريرة (رضي الله عنه) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لأن يحتطب أحدكم حزمة على ظهره، خير من أن يسأل أحدا، فيعطيه أو يمنعه)[2]. وعن الزبير بن العوام (رضي الله عنه) قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (لأن يأخذ أحدكم أحبله خير له من أن يسأل الناس)[3]. وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (لأن يغدو أحدكم فيحطب على ظهره فيتصدق به، ويستغني به من الناس، خير له من أن يسأل رجلا أعطاه أو منعه ذلك، فإن اليد العليا أفضل من اليد السفلى، وابدأ بمن تعول)[4]. وعن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال – وهو على المنبر – وهو يذكر الصدقة والتعفف عن المسألة: (اليد العليا خير من اليد السفلى، واليد العليا المنفقة، والسفلى السائلة)[5].

سجستان، وثقه يحيى بن معين وأبو زرعة الرازي، واستشهد به البخاري، وتكلم فيه غير واحد". انظر: عون المعبود في شرح سنن أبي داود، العظيم آبادي، الجزء العاشر، صفحة ١١٤.

([1]) رواه أبو داود. انظر: سنن أبي داود، كتاب الأشربة، باب: النهي عن المسكر، الحديث رقم ٣٦٨٦، صفحة ٥٥٨. والحديث فيه شهر بن حوشب. جاء في (عون المعبود): "قال الإمام المنذري: فيه شهر بن حوشب، وثقه الإمام أحمد بن حنبل ويحيى بن معين، وتكلم فيه غير واحد، والترمذي يصحح حديثه. وقال الشوكاني في بعض فتاواه: هذا حديث صالح للاحتجاج به لأن أبا داود سكت عنه، وقد روي عنه أنه لا يسكت إلا عما هو صالح للاحتجاج به، وصرح بمثل ذلك جماعة من الحفاظ مثل ابن الصلاح، وزين الدين العراقي، والنووي وغيرهم. وإذا أردنا الكشف عن حقيقة رجال إسناده فليس منهم من هو متكلم فيه إلا شهر بن حوشب، وقد اختلف في شأنه أئمة الجرح والتعديل، فوثقه الإمام أحمد ويحيى بن معين وهما إماما الجرح والتعديل ما اجتمعا على توثيق رجل إلا وكان ثقة، ولا على تضعيف رجل إلا وكان ضعيفاً، فأقلّ أحوال حديث شهر المذكور أن يكون حسناً، والترمذي يصحح حديثه كما يعرف ذلك من له ممارسة بجامعه... والمفتر هو الذي إذا شرب أحمى الجسد وصار فيه فتور وهو ضعف وانكسار". انظر: عون المعبود، العظيم آبادي، الجزء العاشر، صفحة ١٢٣، ١٣٥، ١٣٦.

([2]) صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب: كسب الرجل وعمله بيده، الحديث رقم ٢٠٧٤، صفحة ٣٥٤.

([3]) صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب: كسب الرجل وعمله بيده، الحديث رقم ٢٠٧٥، صفحة ٣٥٤.

([4]) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الزكاة، باب: كراهة المسألة للناس، الحديث رقم ١٠٦ (١٠٤٢)، ج٤،ص ١٣٣.

([5]) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الزكاة، باب: بيان أن اليد العليا خير من اليد السفلى وأن اليد العليا هي المنفقة وأن اليد السفلى هي الآخذة، الحديث رقم ٩٤ (١٠٣٣)، الجزء الرابع، صفحة ١٢٧: ١٢٨.

وثمة أحاديث نبوية أخرى تنهي عن المسألة إلحافا، وتحذِّر من يفعل ذلك من فقدان البركة مما يُعطَى له. فعن معاوية (رضي الله عنه)، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا تلحفوا في المسألة فوالله لا يسألني أحد منكم شيئا فتخرج له مسألته مني شيئا وأنا له كاره فيبارك له فيما أعطيته)[1]. كما أن السنة النبوية تحذِّر من مغبة المسألة يوم القيامة. فعن حمزة بن عبد الله عن أبيه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لا تزال المسألة بأحدكم حتى يلقى الله وليس في وجهه مزعة لحم)[2].

وتنظر المجتمعات الغربية (ومن سار سيرها في المشرق) إلى العمل باعتباره قيمة اقتصادية في الزمن الحالي، حتى أننا نرى أن مقياس تقدم الفرد في الدول الكبرى حاليا هو: ماذا يعمل؟، وكم يكسب؟ ونرى في المقابل أن من لا يعمل يفقد احترامه كبشر، فإن لم يكن له مال تحول إلى إنسان بلا مأوى أو لص أو قاطع طريق. أما في الإسلام، فإنه عني برعاية الفقراء وذوي الحاجة والضعف، وطلب منا أن نعلمهم عملا يتكسبون به، أو نساعدهم في أدائه إذا كانت ملكاتهم الذهنية أو البدنية لا تمكنهم من ذلك، انطلاقا من مبدأ الأخوة الإسلامية التي يجسدها ما جاء في الحديث الذي رواه أبو هريرة (رضي الله عنه) أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (المسلم أخو المسلم...)[3]، والحديث الذي رواه أبو ذر (رضي الله عنه)، وفيه أنه قال: قلت: يا رسول الله، أي الأعمال أفضل؟ قال: (الإيمان بالله، والجهاد في سبيله). قال: قلت: أي الرقاب أفضل؟ قال: (أنفسها عند أهلها وأكثرها ثمنا). قال: قلت: فإن لم أفعل؟ قال: (تعين صانعا أو تصنع لأخرق...)[4].

٦- في مجال الحث على طلب العلم والأخذ به، عنيت السنة النبوية بهذا الموضوع. ولا يخفى دور العلم والتعلم في تنفيذ برامج التنمية المستدامة. فمن دون العلم لا يكون هناك بحث أو تطوير أو إدراك لأسس أداء العمل بشكل صحيح وبدون حدوث مشكلات تؤثر في مستوى السلامة الصناعية والصحة المهنية والبيئة. ونكتفي هنا بحديث نبوي في الدعوة إلى طلب العلم والتماس أي طريق له. فعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (من سلك طريقا يلتمس فيه

---

(1) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الزكاة، باب: النهي عن المسألة، الحديث رقم ٩٩ (١٠٣٨)، ج٤،ص ١٣٠.

(2) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الزكاة، باب: كراهة المسألة، الحديث رقم ١٠٣ (١٠٤٠)، ج٤ ،ص ١٣٢.

(3) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب البر والصلة والآداب، باب: تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله، الحديث رقم ٣٢ (٢٥٦٤)، الجزء الثامن، صفحة ٢٩٧.

(4) رواه الشيخان. انظر: صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الإيمان، باب: بيان كون الإيمان بالله أفضل الأعمال، الحديث رقم ١٣٦ (٨٤)، الجزء الأول، صفحة ٢٧٨. وانظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، كتاب العتق، باب: أي الرقاب أفضل، الحديث رقم ٢٥١٨، الجزء الخامس، صفحة ١٧٦. قوله: (وأنفسها عند أهلها) أي ما اغتباطهم بها أشد، فإن عتق مثل ذلك ما يقع غالبا إلا خالصا. الأخرق: هو الذي ليس بصانع ولا يحسن العمل... قال أهل اللغة: رجل أخرق لا صنعة له والجمع خرق بضم ثم سكون، وامرأة خرقاء كذلك. انظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، الجزء الخامس، صفحة ١٧٧: ١٧٨.

علما سهل الله له طريقا إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم، وإن طالب العلم يستغفر له من في السماء ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب. وإن العلماء ورثة الأنبياء. إن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما، إنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر)[1].

٧- في مجال مكافحة الفقر نجد أن الإسلام ينظر إلى الفقر فيراه خطرا على العقيدة والأخلاق والمجتمع والأسرة، ويعدّه بلاء يستعاذ منه. فعن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتعوذ، فيقول: (اللهم إني أعوذ بك من الكسل والهرم، والمأثم والمغرم، ومن فتنة القبر، وعذاب القبر، ومن فتنة النار وعذاب النار، ومن شر فتنة الغنى، وأعوذ بك من فتنة الفقر)[2]. وعن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول: (اللهم إني أسألك الهدى والتقى، والعفاف والغنى)[3].

ولما كان الفقر أحد أسباب التدهور البيئي، فالجائع لا يستطيع أن يفلح أرضا، وكانت مكافحة الفقر أحد عناصر برامج تحقيق التنمية المستدامة فقد دعا الرسول صلى الله عليه وسلم إلى مكافحة الفقر بتوفير أدوات الإنتاج وتحقيق التكافل الاجتماعي والإحسان إلى الفقراء. فعن عبد الله بن عمرو بن العاص (رضي الله عنهما) قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أربعون خصلة أعلاهن منيحة

---

(1) سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، باب: فضل العلماء والحث على طلب العلم، الحديث رقم ٢٢٣، الجزء الأول، صفحة ٨١. وقال المنذري: "رواه أبو داود والترمذي وابن ماجة وابن حبان في صحيحه والبيهقي، وقال الترمذي: لا يعرف إلا من حديث عاصم بن رجاء بن حيوة وليس إسناده عندي بمتصل، وإنما يروي عن عاصم بن رجاء بن حيوة عن داود بن جميل عن كثير بن قيس عن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم وهذا أصح. قال المملي رحمه الله: ومن هذه الطريق رواه أبو داود وابن ماجه وابن حبان في صحيحه والبيهقي في الشعب وغيرها. وقد روي عن الأوزاعي عن كثير بن قيس عن يزيد بن سمرة عنه وعن الأوزاعي عن عبد السلام بن سليم عن يزيد بن سمرة عن كثير بن قيس عنه... ورُوي غير ذلك. وقد اختلف في هذا الحديث اختلافا كثيرا...". انظر: الترغيب والترهيب، الحافظ المنذري، كتاب العلم، باب: الترغيب في العلم وطلبه وتعلمه وتعليمه وما جاء في فضل العلماء والمتعلمين، الحديث رقم ١٠٦، الجزء الأول، صفحة ٤٧.

(2) صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب: التعوذ من المأثم والمغرم، الحديث رقم ٦٣٨٦، صفحة ١١٣٩. والمأثم: الأمر الذي يأثم به به الإنسان، أو هو الإثم نفسه. انظر: لسان العرب، ابن منظور، الجزء الثاني عشر، صفحة ٦. والمغرم: الغرامة، وهي ما يلزم الشخص أداؤه كالدين. انظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، الجزء الحادي عشر، صفحة ١٨١.

(3) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل، الحديث رقم ٧٢ (٢٧٢١)، الجزء التاسع، صفحة ٣٥. وقال النووي: "العفاف والعفة: التنزه عما يباح، والكف عنه. والغنى هنا: غنى النفس، والاستغناء عن الناس، وعما في أيديهم". انظر: المرجع السابق، الجزء التاسع، صفحة ٣٨.

العنز، ما من عامل يعمل بخصلة منها رجاء ثوابها، وتصديق موعدها، إلا أدخله الله بها الجنة)[1]. وعن أبي هريرة (رضي الله عنه)، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (يا نساء المسلمات، لا تحقرن جارة لجارتها، ولو فرسن شاة)[2].

كما حث الرسول صلى الله عليه وسلم على الصدقة، ودفعها إلى الفقراء والمساكين، وبخاصة إلى المتعففين الذين لا يسألون الناس إلحافا. فعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (ليس المسكين بالذي ترده التمرة والتمرتان، ولا اللقمة واللقمتان، إنما المسكين المتعفف، اقرءوا إن شئتم: لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحصِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ ضَرْباً فِي الأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاء مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لاَ يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافاً وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللّهَ بِهِ عَلِيمٌ{البقرة :٢٧٣}")[3].

ولم يبح الإسلام المسألة إلا لمن هم في أمس الحاجة إلى المال، ويوضح ذلك الحديث الذي رواه قبيصة بن مخارق الهلالي، قال: تحملت حمالة، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أسأله فيها، فقال: (أقم حتى تأتينا الصدقة فنأمر لك بها). قال: ثم قال: (يا قبيصة: إن المسألة لا تحل إلا لأحد ثلاثة: رجل تحمل حمالة فحلت له المسألة حتى يصيبها ثم يمسك، ورجل أصابته جائحة اجتاحت ماله فحلت له المسألة حتى يصيب قواما من عيش أو قال سدادا من عيش، ورجل أصابته فاقة حتى يقول ثلاثة من ذوي الحجا من قومه: لقد أصابت فلانا فاقة فحلّت له المسألة حتى يصيب قواما من عيش أو قال سدادا من عيش، فما سواهن من المسألة يا قبيصة سحتا يأكلها صاحبها سحتا)[5].

---

(1) صحيح البخاري، كتاب الهبة وفضلها، باب: فضل المنيحة، الحديث رقم ٢٦٣١، صفحة ٤٥٣. والمنيحة: منحة اللبن كالناقة أو الشاة، تعطيها غيرك يحتلبها، ثم يردّها إليك. انظر: لسان العرب، ابن منظور، الجزء الثاني عشر، صفحة ٦٠٧.

(2) رواه الشيخان. انظر: صحيح البخاري، كتاب الهبة وفضلها، باب: فضلها والتحريض عليها، الحديث رقم ٢٥٦٦، صفحة ٤٤٣. وانظر: صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الزكاة، باب: الحث على الصدقة ولو بالقليل ولا تمتنع من القليل لاحتقاره، الحديث رقم ٩٠ (١٠٣٠)، الجزء الرابع، صفحة ١٢٣. والفِرسن من البعير: بمنزلة الحافر من الدابة، وربما استعير في الشاة. انظر: لسان العرب، ابن منظور، الجزء الثالث عشر، صفحة ٣٢٣.

(3) البقرة/ ٢٧٣. والإلحاف: شدة الإلحاح في المسألة. انظر: لسان العرب، الجزء التاسع، صفحة ٣١٤.

(4) صحيح مسلم بشرح النووي، الجزء الرابع، كتاب الزكاة، باب: المسكين الذي لا يجد غنى ولا يفطن له فيتصدق عليه، الحديث رقم ١٠١ (١٠٣٩)، صفحة ١٣١: ١٣٢.

(5) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الزكاة، باب: من تحل له المسألة، الحديث رقم ١٠٩ (١٠٤٤)، الجزء الرابع، صفحة ١٣٥. والحَمالة: الدية والغرامة التي يحملها قوم عن قوم. وتحمّل الحمالة أي: حملها. والجائحة: المصيبة تحل بالرجل في ماله فتجتاحه كله. والقوام من العيش: ما يقوم بحاجته الضرورية. وقوام العيش: عماده الذي يقوم به. والسداد: ما سُد به. وسداد من عيش: أي ما تسد به الحاجة. والسحت: كلُّ حرام قبيح الذِّكر؛ وقيل: هو ما خَبُثَ من المَكاسب

ثالثا: حماية الموارد الطبيعية وصيانتها وحماية البيئة

تحتاج التنمية المستدامة إلى حماية الموارد الطبيعية اللازمة لإنتاج المواد الغذائية وتوفير مصادر الطاقة ومواد البناء. وتتمثل هذه الموارد في التربة الصالحة للزراعة، ومصادر المياه اللازمة للري، والثروة الحيوانية (بما فيها مصائد الأسماك)، ومختلف أنواع الوقود، والمعادن.

والإخفاق في صيانة الموارد الطبيعية التي تعتمد عليها الزراعة كفيل بحدوث نقص في الأغذية في المستقبل. كما أن الإخفاق في صيانة الموارد اللازمة للصناعة كفيل بحدوث نقص في توفير متطلبات الحياة والحضارة من معدات وآلات وإنشاءات ... إلخ. ولهذا فإن ترشيد استهلاك الموارد والثروات الطبيعية يُعَدُّ إحدى الآليات الأساسية لتحقيق التنمية المستدامة. كما أن ترشيد استهلاك الموارد الطبيعية يُعَدّ من أهم الوسائل العملية لحماية البيئة، والمحافظة عليها.

وقد اهتم الإسلام بهذه القضية، فحثّ الأفراد على الاعتدال في شؤون الحياة كافة، فلا إفراط ولا تفريط، ولا إسراف ولا تقتير. وقد جعل الله عز وجل قضية الترشيد في الإنفاق والاستهلاك من صفات المؤمنين، فقال تعالى: وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً{الفرقان:٦٧} وقال تعالى أيضا:

يَا بَنِي آدَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ{الاعراف :٣١}.

ويكون الترشيد باستخدام أو استهلاك الموارد حسب الحاجة إليها وبشكل منظم ومخطط، إذ إن هناك ثروات وموارد غير متجددة (مثل مصادر الوقود الأحفوري من النفط والفحم) تنفد بالاستهلاك بشكل تدريجي، ولكي نستفيد من هذه الموارد أطول فترة ممكنة يجب علينا ترشيد استهلاكها.

والإسراف في استنزاف الموارد واستهلاكها يمثل نوعا من الأنانية المذمومة، إذ إنه يؤدى إلى حرمان الآخرين من هذه الموارد، كما أنه يؤدي إلى قصور وسائل الإنتاج بشتى صورها عن توفير المتطلبات الأساسية للمجتمع. وعلاوة على ذلك، فإن في الإسراف إهدارا لنعم الله عز وجل، ومضيعة لها، على النقيض من الترشيد والاعتدال، فهما يعنيان المحافظة على هذه النعم والعمل على استدامتها والانتفاع بها. ويندرج تحت هذه الركيزة أيضا عدم الفساد في الأرض بإهلاك الحرث والنسل، وتجنب الإسراف في استخدام الموارد، أو في استخدام المواد التي تؤثر في جودة هذه الموارد ونوعيتها، كالإسراف في استخدام الأسمدة الكيميائية والمبيدات، مما يؤدي إلى تدهور نوعية مياه الأنهر والبحيرات، وتهديد الحياة البرية، وتلويث غذاء الإنسان والحيوان والطيور.

وقد ربطت السنة النبوية الشريفة بين التنمية المستدامة والمحافظة على البيئة ورعايتها، كما ربطت بينهما وبين الإيمان، فجعلت إماطة الأذى من الطريق شعبة من شعب الإيمان، والإحسان إلى أحياء البيئة مدعاة إلى الفوز برضوان الله وجنته، والإساءة إليها توجب دخول المسيء النار.

وحَرُم فلَزِمَ عنه العارُ وقَبيحُ الذِّكر كَثَمن الكلب والخمر والخنزير. انظر: لسان العرب، ابن منظور، الجزء الحادي عشر، صفحة ١٨٠، والجزء الثاني، صفحة ٤٣١، والجزء الثاني عشر، صفحة ٥٠٤، والجزء الثالث، صفحة ٢٠٧.

وتحفل السنة النبوية بالعديد من النصوص التي تحث على حماية الموارد الطبيعية وصيانتها.

(١) ففي مجال المحافظة على الحياة الفطرية نجد أن السنة النبوية نهت عن قطع السدر. فعن عبد الله بن حُبشي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من قطع سدرة صوب الله رأسه في النار"[١]. ومِنَ المعروف أن السدر ينبت في الصحارى، ويصبر على العطش، ويقاوم الحر، وينتفع الناس بتفيؤ ظلاله والأكل من ثماره إذا اجتازوا الفيافي في سفر أو في رحلة أو في بحثهم عن الكلأ والمرعى. والوعيد بالنار لمن قطع سدرة يدلّ على تأكيد المحافظة على مقومات البيئة الطبيعية، لما توفِّره من حفظ التوازن بين المخلوقات، وما يمثّله الاعتداء عليها من فقدان بعض العناصر الضرورية لسلامة الحياة والإنسان.

ويتسع نطاق المحافظة على الحياة ليشمل أزمنة الحروب وأراضي الأعداء والخصوم. وإذا عدنا إلى غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم وسراياه نرى أنه كان حريصا على الرفق بالنساء والأطفال والشيوخ. فعن نافع أن عبد الله أخبره (أن امرأة وجدت في بعض مغازي النبي صلى الله عليه وسلم مقتولة، فأنكر رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل النساء والصبيان)[٢]. وعن بُريدة قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أمر أميرا على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيرا، ثم قال: (اغزوا باسم الله في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا، ولا

---

(١) رواه أبو داود في سننه. وقد سئل أبو داود عن معني هذا الحديث فقال: "هذا الحديث مختصر، يعني: من قطع سدرة في فلاة يستظل بها ابن السبيل والبهائم عبثا وظلما بغير حق يكون له فيها صوّب الله رأسه في النار". انظر: سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب: في قطع السدر، الحديث رقم ٥٢٣٩، صفحة ٧٨٤. وجاء في مجمع الزوائد: "رواه أبو داود خلا من قوله: من سدر الحرم. ورواه الطبراني في الأوسط، ورجاله ثقات". انظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، علي بن أبي بكر الهيثمي، باب: في حرمة مكة والنهي عن استحلالها، الجزء الثالث، صفحة ٢٨٤. وجاء في (عون المعبود): "قال المنذري: والحديث أخرجه النسائي وقال: فيه عبد الله الخثعمي... وقوله: (من قطع سدرة): أي شجرة نبق، زاد في رواية للطبراني (من سدر الحرم)... وقال في النهاية: قيل أراد به سدر مكة لأنها حرم. وقيل: سدر المدينة، نهى عن قطعه ليكون أنساً وظلاً لمن يهاجر إليها. وقيل: أراد السدر الذي يكون في الفلاة يستظل به أبناء السبيل والحيوان، أو في ملك إنسان فيتحامل عليه ظالم، فيقطعه بغير حق". انظر: عون المعبود في شرح سنن أبي داود، العظيم آبادي، الجزء الرابع عشر، صفحة ١٥٢: ١٥٣.

(٢) رواه الشيخان. انظر: صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب: قتل الصبيان في الحرب، الحديث رقم ٣٠١٤، صفحة ٥٢٨. وانظر: صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الجهاد والسير، باب: تحريم قتل النساء والصبيان في الحرب، الحديث رقم ٢٤ (١٧٤٤)، الجزء السادس، صفحة ٢٤٣. وقد جاء هذا الحديث برواية أخرى عند الشيخين أيضا. فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: (وُجِدَت امرأة مقتولة في بعض مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فنهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل النساء والصبيان). انظر: صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب: قتل النساء في الحرب، الحديث رقم ٣٠١٥، صفحة ٥٢٨. وانظر: صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الجهاد والسير، باب: تحريم قتل النساء والصبيان في الحرب، الحديث رقم ٢٥ (١٧٤٤)، الجزء السادس، صفحة ٢٤٣.

تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليدا)[1]. وعن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (انطلقوا باسم الله، وبالله، وعلى ملّة رسول الله، ولا تقتلوا شيخا فانيا، ولا طفلا، ولا صغيرا، ولا امرأة، ولا تغلوا، وضموا غنائمكم، وأصلحوا، وأحسنوا إن الله يحب المحسنين)[2].

(٢) في مجال المحافظة على المصادر المائية من التلوث، نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن التبول في الماء الراكد حفاظا على سلامة الماء من التلوث؛ حيث إن الماء النجس لا يستفاد منه في طهارة أو شرب أو غير ذلك. ومثل البول تلويث الماء بأي ملوث (من المخلفات الصناعية أو المواد الكيماوية مثلا). فعن جابر (رضي الله عنه) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه (نهى أن يُبال في الماء الراكد)[3]. وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا يبولن أحدكم في الماء الدائم الذي لا يجري، ثم يغتسل فيه)[4]. وعن معاذ بن جبل (رضي الله عنه) قال: لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (اتقوا الملاعن الثلاث: البراز في الموارد، وقارعة الطريق،

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الجهاد والسير، باب: تأمير الإمام الأمراء على البعوث ووصية إياهم بآداب الغزو وغيرها، الحديث رقم ٣- (١٧٣١)، الجزء السادس، صفحة ٢٣٣. والسرية: قطعة من الجيش تخرج منه تغير وترجع إليه. قال إبراهيم الحربي: هي الخيل تبلغ أربعمائة ونحوها. قالوا: سميت سرية لأنها تسري في الليل. انظر: المرجع السابق، الجزء السادس، صفحة ٢٣٤. وقوله: (باسم الله): أي مستعينين بذكر اسمه. (ولا تغدِروا): أي لا تنقضوا عهدكم. (ولا تغُلوا): أي لا تخونوا في الغنيمة. (ولا تمثلوا): من مثل به يمثل كقتل إذا قطع أطرافه. (وليداً): أي صبياً. انظر: عون المعبود في شرح سنن أبي داود، العظيم آبادي، الجزء السابع، صفحة ٢٧٢.

(٢) رواه أبو داود في سننه. انظر: سنن أبي داود، كتاب الجهاد، باب: في دعاء المشركين، الحديث رقم ٢٦١٤، صفحة ٣٩٦. والحديث فيه خالد بن الفزر، قال عنه يحيى ابن معين: "ليس بذاك". انظر: نصب الراية في تخريج أحاديث الهداية، جمال الدين عبد الله بن يوسف أبو محمد الزيلعي، تحقيق: محمد يوسف البنوري، دار الحديث، القاهرة، الجزء الثالث، صفحة ٣٨٦. وجاء في (تهذيب الكمال): "روى عنه الحسن بن صالح بن حي الهمداني. قال عباس الدوري: وسألته، يعني يحيى بن معين عن خالد بن الفزر فقال: يروي عنه حسن بن صالح، ما سمعت أحدا يروي عنه غيره، ولم أر له فيه رأيا. وقيل عن عباس عن يحيى: ليس بذاك. وقال أبو حاتم: شيخ روى له أبو داود حديثا واحدا". انظر: تهذيب الكمال في أسماء الرجال، يوسف بن الزكي عبد الرحمن أبو الحجاج المزي، تحقيق: د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، الجزء الثامن، صفحة ١٥٠: ١٥١. وقوله: (لا تقتلوا شيخاً فانياً): أي: إلا إذا كان مقاتلاً أو ذا رأي. (وضموا): أي اجمعوا. (وأصلحوا): أي أموركم. (وأحسنوا): أي فيما بينكم. انظر: عون المعبود في شرح سنن أبي داود، العظيم آبادي، الجزء السابع، صفحة ٢٧٢.

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الطهارة، باب النهي عن البول في الماء الراكد، الحديث رقم ٩٤ (٢٨١)ج٢ ص١٦٢.

(٤) رواه الشيخان. انظر: صحيح البخاري، كتاب الوضوء، باب: البول في الماء الدائم، الحديث رقم ٢٣٩، صفحة ٥٨: ٥٩. وانظر: صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الطهارة، باب النهي عن البول في الماء الراكد، الحديث رقم ٩٥ (٢٨٢)، الجزء الثاني، صفحة ١٦٢.

والظل)[1]. ولا يخفى وجه النهي في ذلك؛ حيث إن مثل هذه التصرفات تحرم الآخرين من الاستفادة من كميات كبيرة من الماء. كما أن ممارسة هذه السلوكيات (أي: التبول والتبرز في الموارد) تتسبب في إفساد تلك الموارد. فالتبول أو التبرز في الماء الراكد يجعله بيئة خصبة لتكاثر الميكروبات والفيروسات التي تساعد على انتشار الأمراض المعدية. ونحن نعلم حالياً أن هناك أمراضاً كثيرة تنتج من الاستحمام في الماء الراكد الذي سبق أن تبول فيه شخص ما، من ذلك: البلهارسيا البولية، والكوليرا، والسيلان، ومرض ريترز. كما أن الماء الراكد يعد وسطاً ملائماً لنمو الكثير من البكتيريا (مثل: السالمونيلا، والشيجلا، والليبتوسايرا، وغيرها). ويحتاج كثير من الديدان والطفيليات (مثل: الزحار الأميبي، والديدان المستديرة، والبلهارسيا) إلى إكمال دورة الحياة خارج جسم الإنسان. ويساعد التبول والتبرز على نمو هذه الديدان وسرعة تكاثرها وانتشارها[2]. ومما يؤسف له أن بعض مرافق الخدمات البلدية تقوم بتصريف مياه المجاري الصحية دون معالجة إلى البحار والأنهار والبحيرات. ومما يزيد من حجم الأذى الناتج عن هذا السلوك أن هذه المياه لا تحتوي على البراز فقط، بل تحتوي أيضا على كميات كبيرة من المواد الكيميائية والعضوية والجراثيم الضارة. وتمارس الشركات الصناعية سلوكا يضر بالبيئة والبشر والأحياء المائية عندما تقوم بضخ مخلفاتها من المياه العادمة الناتجة من الصناعات المختلفة في المسطحات المائية، متجاهلة أخطارها.

(٣) في مجال المحافظة على المصادر المائية من الهدر؛ لنا في رسول الله صلى الله عليه وسلم خير قدوة يحتذى بها في هذا المجال. فعن ابن جبر قال: سمعت أنسا يقول: (كان النبي صلى الله عليه وسلم يغسل – أو كان يغتسل – بالصاع إلى خمسة أمداد، ويتوضأ بالمدّ)[3]. فهذا الحديث يدل على

---

(1) رواه أبو داود، وقال: هذا مرسل. انظر: سنن أبي داود، كتاب الطهارة، باب: المواضع التي نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن البول فيها، الحديث رقم ٢٦، صفحة ٩. و(الملاعن): جمع ملعنة، وهي مواضع اللعن. والمراد بالموارد: المجاري، والطرق إلى الماء، واحدها مورد، يقال: وردت الماء إذا حضرته لتشرب. والورد: الماء الذي ترد عليه. (وقارعة الطريق): أي الطريقة التي يقرعها الناس بأرجلهم ونعالهم، أي يدقونها ويمرون عليها... وهي وسط الطريق. (والظل): أي ظل الشجرة وغيرها. انظر: عون المعبود في شرح سنن أبي داود، العظيم آبادي، الجزء الأول ، صفحة ٤٧.

(2) المبادئ الإسلامية المتعلقة بالتحكم في الأمراض السارية وأثرها في الوقاية من هذه الأمراض، د. عدنان أحمد البار و د. جنق ليو، مجلة البحوث الفقهية المعاصرة، العدد الحادي عشر، السنة الثالثة، ربيع الآخر – جمادى الأولى – جمادى الآخرة ١٤١٢هـ / أكتوبر – نوفمبر – ديسمبر ١٩٩١م، صفحة ١٠٤: ١٠٥.

(3) صحيح البخاري، كتاب الوضوء، باب: الوضوء بالمد، الحديث رقم ٢٠١، صفحة ٥٤. والصاع: مِكْيالٌ لأَهل المدينة يأْخذ أَربعة أَمدادٍ، يذكر ويؤنث... وصاعُ النبيّ صلى الله عليه وسلم الذي بالمدينة أَربعةُ أَمْدادٍ بمُدِّهم المعروفِ عندهم... وأَهلُ الكوفة يقولون عِيارُ الصاعِ عندهم أَربعة أَمْناءٍ، والمُدُّ رُبعُه. وصاعُهم هذا هو القَفِيزُ الحجازي، ولا يعرفه أَهل المدينة. قال ابن الأَثير: والمُدُّ مُخْتَلف فيه، فقيل: هو رِطْل وثلث بالعِراقيّ، وبه يقول الشافعي وفقهاء الحجاز، فيكون الصاع خمسة أَرْطال وثلثاً على رأْيهم. وقيل: هو رطلان، وبه أَخذ أَبو حنيفة وفقهاء العراق، فيكون الصاع ثمانية

كراهة الإسراف في الماء للغسل والوضوء، واستحباب الاقتصاد. وقد علّم الرسول صلى الله عليه وسلم أتباعه هذا اللون من الاقتصاد في استخدام الماء. فعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله: كيف الطُّهور؟ فدعا بماء في إناء، فغسل كفيه ثلاثاً، ثم غسل وجهه ثلاثاً، ثم غسل ذراعيه ثلاثاً، ثم مسح برأسه، فأدخل إصبعيه السباحتين في أذنيه، ومسح بإبهاميه على ظاهر أذنيه، وبالسباحتين باطن أذنيه، ثم غسل رجليه ثلاثاً ثلاثاً، ثم قال: (هكذا الوضوء، فمن زاد على هذا أو نقص، فقد أساء وظلم)، أو (ظلم وأساء)[1].

ومن خلال الفهم الواعي لمقاصد الأحاديث النبوية التي تتعلق باستخدام الماء أجمع علماء الفقه على ضرورة الاقتصاد في الماء، وعدم الإسراف في استهلاكه، ولو كان المرء على شاطئ النهر. وقال بعض أصحاب الشافعي: إن هذا الإسراف حرام، وقال بعضهم: إنه مكروه كراهة تنزيه[2].

(٤) في مجال المحافظة على الموارد الطبيعية الأساسية (مثل المياه والمراعي) نهت السنة النبوية عن الاحتكار، فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لا يمنع فضل

أَرطال على رأيهم. انظر: لسان العرب، ابن منظور، الجزء الثامن، صفحة ٢١٥. وجاء في فتح الباري: "الصاع: إناء يسع خمسة أرطال وثلثاً بالبغدادي، وقال بعض الحنفية ثمانية". انظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، الجزء الأول، صفحة ٣٦٥. وجاء في الموسوعة الفقهية: "والمد: كيل مقداره رطل وثلث عند أهل الحجاز، وهو ربع صاع". انظر: الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، الكويت، الجزء السادس والثلاثون، صفحة ٢٨٤.

(١) رواه أبو داود. انظر: سنن أبي داود، كتاب الطهارة، باب: الوضوء ثلاثاً ثلاثاً، الحديث رقم ١٣٥، صفحة ٢٥. والحديث فيه عمرو بن شعيب. جاء في (عون المعبود): "قال المنذري: وعمرو بن شعيب ترك الاحتجاج بحديثه جماعة من الأئمة، ووثقه بعضهم. وقال القطان: إذا روى عن الثقات فهو ثقة حجة يحتج به. وقال الترمذي في جامعه: ومن تكلم في حديث عمرو بن شعيب إنما ضعفه لأنه يحدث عن صحيفة جده، كأنهم رأوا أنه لم يسمع هذه الأحاديث من جده... وفي شرح ألفية العراقي للمصنف: وقد اختلف في الاحتجاج برواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، وأصح الأقوال أنها حجة مطلقاً إذا صح السند إليه... ومحصل الكلام أن الأكثر على توثيقه وعلى الاحتجاج بروايته عن أبيه عن جده... و(الطُّهور): – بضم الطاء – لفعل التطهر، وبفتح الطاء للماء. (فدعا): أي النبي صلى الله عليه وسلم. و(السباحتين): تثنية سباحة، وأراد بهما مسبحتي اليد اليمنى واليسرى، وسميت سباحة لأنه يشار بها عند التسبيح. (على هذا): أي على الثلاث. (أو نقص): عن الثلاث. (فقد أساء وظلم): أي على نفسه بترك متابعة صلى الله عليه وسلم أو بمخالفته، أو لأنه أتعب نفسه فيما زاد على الثلاثة من غير حصول ثواب له، أو لأنه أتلف الماء بلا فائدة. وأما في النقص فأساء الأدب بترك السنة، وظلم نفسه بنقص ثوابها بتزداد المرات في الوضوء". انظر: عون المعبود في شرح سنن أبي داود، العظيم آبادي، الجزء الأول، صفحة ٢٢٥: ٢٢٨.

(٢) نيل الأوطار، محمد بن علي الشوكاني، دار الجيل، بيروت، الجزء الأول، صفحة ٢٥٠.

الماء ليمنع به الكلأ"[1]. كما نهت السنة النبوية عن بيع الموارد المائية. فعَنْ إِيَاسِ بْنِ عَبْدٍ الْمُزَنِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: "نَهَى النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم عَنْ بَيْعِ الْمَاءِ"[2]. وقال أبو يوسف: "وتفسير هذا عندنا، والله أعلم، أنه نهى عن بيعه قبل أن يحرز. والإحراز لا يكون إلا في الأوعية والآنية، فأما الآبار والأحواض فلا"[3]. وفي حديث آخر عن جابر بن عبد الله (رضي الله عنه) قال: "نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بيع فضل الماء"[4].

(٥) في مجال المحافظة على سلامة الطرق وأماكن الظل (بما فيها الحدائق والمنتزهات العامة وما يماثلها)، روى أبو هريرة (رضي الله عنه) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (اتقوا اللعانين). قالوا: وما اللعانان يا رسول الله؟ قال: (الذي يتخلى في طريق الناس أو في ظلهم)[5].

(٦) في مجال زرع السلوكيات الإيجابية المسئولة لدى الأفراد تجاه حماية الموارد وصيانتها نجد أن السنة النبوية جعلت كل فرد في الأمة مسئولا عن رعيته، وهذا يعني أن يكون قدوة لغيره في أعماله. فعن عبد الله بن عمر (رضي الله عنهما) أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (كلكم راع، ومسؤول عن رعيته...)[6].

(٧) في مجال الإحسان إلى البيئة، نجد أن السنة النبوية جعلت ذلك الإحسان مدعاة إلى اكتساب الثواب. فقد جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم تنظيف الشوارع من القاذورات والقمامة (وما يشابهها

---

(١) صحيح البخاري، كتاب المساقاة (الشرب)، باب: من قال: إن صاحب الماء أحق بالماء حتى يروى، لقول النبي صلى الله عليه وسلم: (لا يمنع فضل الماء)، الحديث رقم ٢٢٥٣، صفحة ٤٠٣.

(٢) رواه الترمذي، وقَالَ أبو عيسى: "قَالَ أَبُو عِيسَى: حَدِيثُ إِيَاسٍ حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ". انظر: سنن الترمذي، كتاب البيوع عن رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وسَلَّم، باب: مَا جَاءَ في بيع فضل الماء، الحديث رقم ١٢٧١، صفحة ٣٠٢. وجاء في تحفة الأحوذي: "وقوله: (نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن بيع الماء) وفي رواية غير الترمذي عن بيع فضل الماء، وفيه دليل على تحريم بيع فضل الماء، والظاهر أنه لا فرق بين الماء الكائن في أرض مباحة أو في أرض مملوكة، وسواء كان للشرب أو لغيره، وسواء كان لحاجة الماشية أو الزرع، وسواء كان في فلاة أو في غيرها. وقد خصص من عموم أحاديث المنع من البيع للماء ما كان منه محرزاً في الآنية لأنه يجوز بيعه قياساً". انظر: تحفة الأحوذي، المُبَارَكْفوري، الجزء الرابع، صفحة ٤٠١: ٤٠٢.

(٣) الخراج، أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم، تحقيق: د. محمد إبراهيم البنا، دار الاعتصام، القاهرة، صفحة ٩٧.

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب المساقاة، باب تحريم فضل بيع الماء الذي يكون بالفلاة ويحتاج إليه لرعي الكلأ وتحريم منع بذله وتحريم بيع ضراب الفحل، الحديث رقم ٣٤ (١٥٦٥)، الجزء الخامس، صفحة ٣٩٠.

(٥) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الطهارة، باب النهي عن التخلي في الطرق والظلال، الحديث رقم ٦٨ (٢٦٩)، الجزء الثاني، صفحة ١٤٠.

(٦) صحيح البخاري، كتاب الاستقراض وأداء الديون والحجر والتفليس، باب: العبد راعٍ في مال سيده، ولا يعمل إلا بإذنه، الحديث رقم ٢٤٠٩، صفحة ٤١٢.

مثل: عوادم وسائل النقل الضارة)، وإماطة الأذى عنها، مما يحصل به الثواب، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (يميط الأذى عن الطريق صدقة)[1]. وإماطة الأذى كلمة جامعة لكل ما فيه إيذاء الناس ممن يستعملون الشوارع والطرقات. وقد أوضحت السنة النبوية ذلك. فعن المستنير بن أخضر قال: حدثني معاوية بن قرة قال: "كنت مع معقل المزني، فأماط أذى عن الطريق، فرأيت شيئا فبادرته، فقال: ما حملك على ما صنعت يا ابن أخي؟ قال: رأيتك تصنع شيئا فصنعته. فقال: أحسنت يا ابن أخي! سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (من أماط أذى عن طريق المسلمين كتبت له حسنة، ومن تقبلت له حسنة دخل الجنة)[2]. بل إن الرسول صلى الله عليه وسلم جعل إماطة الأذى شعبة من شعب الإيمان، فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان)[3]. والإحسان إلى البيئة أيضا وسيلة لنوال مغفرة الله والفوز بالجنة. فقد روى أبو هريرة (رضي الله عنه) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (بينا رجل بطريق، اشتد عليه العطش، فوجد بئرا فنزل فيها، فشرب ثم خرج، فإذا كلب يلهث، يأكل الثرى من العطش، فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ مني، فنزل البئر فملأ خفه ماء، فسقى الكلب، فشكر الله له فغفر له). قالوا: يا رسول الله، وإن لنا في البهائم لأجرا؟ فقال: (في كل ذات كبد رطبة أجرا)[4]. وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (بينما كلب يطيف بركية، كاد يقتله العطش، إذ رأته بغي من بغايا بني إسرائيل، فنزعت

([1]) صحيح البخاري، كتاب المظالم، باب: إماطة الأذى، الحديث رقم ٢٨٢٧، صفحة ٤٢٣.

([2]) رواه البخاري في الأدب المفرد، والطبراني في الكبير. انظر: الأدب المفرد، الحافظ محمد بن إسماعيل البخاري، (باب البغي، الحديث رقم ٥٩٣)، الجزء الأول، صفحة ٣٠٦. وانظر أيضا: المعجم الكبير، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني، باب: ما أسند معقل بن يسار الحسن بن أبي الحسن، الحديث رقم ٥٠٢، الجزء العشرون، صفحة ٢١٦. وجاء في مجمع الزوائد: "رواه الطبراني في الكبير. وقال المزي صوابه عن المستنير بن أخضر بن معاوية بن قرة عن جده كما رواه البخاري في كتاب الأدب، فإن كان كما قال المزي فإسناده حسن إن شاء الله، وإن كان فيه عن أبيه أخضر فلم أجد من ذكر أخضر. والله أعلم". انظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، علي بن أبي بكر الهيثمي، باب: عزل الأذى عن الطريق، الجزء الثالث، صفحة ١٣٦.

([3]) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الإيمان، باب: بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها وفضيلة الحياء وكونه من الإيمان، الحديث رقم ٥٨ (٣٥)، الجزء الأول، صفحة ٢١٨.

([4]) رواه الشيخان. انظر: صحيح البخاري، كتاب المظالم، باب: الآبار على الطرق إذا لم يتأذ بها، الحديث رقم ٢٤٦٦، صفحة ٤٢٣. وانظر: صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب السلام، باب: فضل ساقي البهائم المحترمة وإطعامها، الحديث رقم ١٥٣(٢٢٤٤)، الجزء السابع، صفحة ٤٠٨.

موقها، فسقته فغفر لها به)[1]. وفي مقابل ذلك فإن الإساءة إلى البيئة وما فيها من أحياء مدعاة إلى التعذيب في نار جهنم والعياذ بالله. فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (عُذِّبت امرأة في هرة، سجنتها حتى ماتت، فدخلت فيها النار، لا هي أطعمتها ولا سقتها إذ حبستها، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض)[2].

وما من شك في أن تحقيق مبدأ التنمية المستدامة يتطلب من الإنسان أن يتعامل مع البيئة برفق وإحسان، فيأخذ منها ويعطيها، ويرعى لها حقها لتؤتي له حقه. فعن شداد بن أوس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله كتب الإحسان على كل شيء...) [3]. والإحسان يعني: الإحكام والإتقان، والرفق والإشفاق. ويتضمن ذلك الإحسان: المحافظة على الموارد الزراعية والبيئة الطبيعية وبخاصة أن في ذلك منافع اقتصادية ضخمة للإنسان. فعلى سبيل المثال، فإن المحافظة طويلة الأمد على الغابات، أو السياحة البيئية بشكل عام، تتفوق على أي مكسب قصير الأجل ينتج من استغلال الحياة البرية والموارد الطبيعية. والحفاظ على الشعاب المرجانية يمكن أن يجلب المزيد من السياحة أكثر مما يجلبه الصيد على مستوى واسع في مثل هذه الأماكن البيئية الهشة.

(٨) في مجال حماية البيئة والأماكن العامة من الروائح الكريهة نجد أن السنة النبوية نهت من أكل ثوما عن مجرد الاقتراب من المسجد حتى لا يؤذي المصلين برائحة الثوم التي تنبعث من فمه. فعن ابْن عُمَرَ – رضي الله عنهما – أَنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قَالَ فِي غَزْوَةِ خَيْبَرَ: (مَنْ أَكَلَ مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ – يَعْنِي الثُّومَ – فَلاَ يَقْرَبَنَّ مَسْجِدَنَا)[4]. وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه)، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ

(1) رواه الشيخان. انظر: صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب: (أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم) الكهف/ ٩، الحديث رقم ٣٢٦٧، صفحة ٦١٦. وانظر: صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب السلام، باب: فضل ساقي البهائم المحترمة وإطعامها، الحديث رقم ١٥٤(٢٢٤٥)، الجزء السابع، صفحة ٤٠٨. وجاء في رواية أن المرأة كانت بغيا. فعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم "أن امرأة بغيًا رأت كلبا في يوم حار يطيف ببئر، قد ادّلع لسانه من العطش، فنزعت له موقها فسقته، فغفر لها به". وانظر: صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب السلام، باب: فضل ساقي البهائم المحترمة وإطعامها، الحديث رقم ١٥٥(٢٢٤٥)، الجزء السابع، صفحة ٤٠٨.

(2) رواه الشيخان. انظر: صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، الباب رقم ٥٤، الحديث رقم ٣٤٨٢، صفحة ٦١٦: ٦١٧. وانظر: صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب السلام، باب: تحريم قتل الهرة، الحديث رقم ١٥١(٢٢٤٢)، ج٧، صفحة ٤٠٦.

(3) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان، باب: الأمر بإحسان الذبح والقتل وتحديد الشفرة، الحديث رقم ٥٧ (١٩٥٥)، الجزء السابع، صفحة ٩٤.

(4) صحيح البخاري، كتاب صفة الصلاة، باب: ما جاء في الثوم النيء والبصل والكراث، الحديث رقم ٨٥٣، صفحة ١٥٣.

صلى الله عليه وسلم: (مَنْ أَكَلَ مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ فَلاَ يَقْرَبَنَّ مَسْجِدَنَا، وَلاَ يُؤْذِينَّا بِرِيحِ الثُّومِ)[1]. وتندرج تحت قائمة الروائح الكريهة أية روائح مماثلة لرائحة الثوم (مثل رائحة البصل والكراث، أو رائحة حرق التبغ، أو روائح الغازات الكبريتية المنبعثة من محطات معالجة مياه المجاري، ومن المصافي النفطية)، أو تلك الروائح التي تسبب ضررا للإنسان كما تفعله رائحة الثوم.

(٩) في مجال الصحة الوقائية نهت السنة النبوية عن مخالطة الإنسان المريض بمرض معدٍ لآخر صحيح، وذلك درءا للضرر الذي قد يلحق الإنسان الصحيح من هذا المصاب. فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا يوردن ممرض على مصح)[2]. وإذا كان ورود الصحيح ممنوعا على المريض، فكيف الأمر بمن يتسبب، بغيا وعدوانا، في نشر التلوث الكيميائي أو الإشعاعي أو الميكروبي. إن دفع مثل هذا الأذى له أولية وأولوية. فعن إبراهيم بن سعد قال: سمعت أسامة بن زيد يحدث سعدا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوها، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها)[3]. ويفهم من هذا الحديث الشريف أنه إذا ظهر مرض معدٍ في بلد ما، فيجب أن يضرب حوله حصار شديد، فيمنع الدخول إليه والخروج منه، وذلك حتى تنكمش رقعة الداء في أضيق نطاق. وقياسا على ذلك، إذا حدث طاعون بيئي معاصر (مثل: انفجار معمل للغازات السامة، أو مفاعل نووي) فيجب حظر الدخول إلى منطقة هذا الطاعون، ولا يسمح بذلك إلا بعد تبدُّد أثر الملوثات، أو اتخاذ الاحتياطات الكفيلة بعدم تعرض الداخلين للأذى (مثل: ارتداء معدات الوقاية الشخصية، واستعمال الأقنعة الواقية من الغازات السامة...، إلخ).

(١٠) في مجال تنظيم استخدام الموارد الطبيعية كان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو أول من قضى بين المتخاصمين في حقوق استغلال الماء في دولة الإسلام. فعن عروة بن الزبير أن عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما أنه حدثه أن رجلا من الأنصار خاصم الزبير عند النبي صلى الله عليه وسلم في شراج الحرة التي يسقون بها النخل، فقال الأنصاري: سرّح الماء يمر. فأبى عليه. فاختصما عند النبي صلى الله عليه وسلم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للزبير: "اسْقِ يا زبير، ثم أرسل الماء إلى جارك"، فغضب الأنصاري، فقال: أن كان ابن عمتك؟، فتلوّن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم قال: "اسق يا زبير، ثم احبس الماء حتى يرجع إلى الجدر". فقال الزبير: والله إني لأحسب أن

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب: نهي من أكل ثوما أو بصلا أو كراثا أو نحوها، الحديث رقم ٧١ (٥٦٢)، الجزء السابع، صفحة ٤٢.

(٢) رواه الشيخان. انظر: صحيح البخاري، كتاب الطب، باب: لا هامة، الحديث رقم ٥٧٧٠، صفحة ١٠٥١. وانظر: صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب السلام، باب: لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر، ولا نوء ولا غول، ولا يورد ممرض على مصح، الحديث رقم ١٠٤ (٢٢٢١)، الجزء السابع، صفحة ٣٨٤.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الطب، باب: ما يذكر في الطاعون، الحديث رقم ٥٧٢٨، صفحة ١٠٤٤.

هذه الآية نزلت في ذلك: فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيماً{النساء :٦٥} [1].

(١١) في مجال المحافظة على التوازن البيئي، دعا الإسلام إلى المحافظة على هذا التوازن. ومن المعروف أن الله خلق كل شيء بقدر، وجعل التوازن ينتظم كل شيء، قال تعالى: وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ{الحجر:١٩}. وقال عز وجل: اللّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَى وَمَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ{الرعد :٨}. وقال تعالى: إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ{القمر :٤٩}.

ولتحقيق مقصد المحافظة على التوازن البيئي دعت الشريعة الإسلامية إلى نبذ الإسراف بشتى صوره، بمعنى أن تستغل النظم البيئية استغلالا علميا رشيدا ومستداما، وفقا لمنهج "الوسطية"، فلا إفراط أو تفريط. فعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كلوا واشربوا وتصدقوا والبسوا، ما لم يخالطه إسراف أو مخيلة)[2].

---

(1) رواه الشيخان. انظر: صحيح البخاري، كتاب المساقاة، باب: سكر الأنهار، الحديث رقم ٢٣٥٩– ٢٣٦٠، صفحة ٤٠٤. وانظر: صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الفضائل، باب: وجوب اتباعه صلى الله عليه وسلم، الحديث رقم ١٢٩ (٢٣٥٧)، الجزء الثامن، صفحة ٩٥: ٩٦. وجاء في فتح الباري: "قوله: (في شِراج الحرة) جمع شَرْج، وحكى القرطبي: شرجة، والمراد بها هنا مسيل الماء، وإنما أضيفت إلى الحرة لكونها فيها، والحرة موضع معروف بالمدينة ...، وهي في خمسة مواضع: المشهور منها اثنتان: حرة واقم، وحرة ليلى... (سرح) فعل أمر من التسريح أي أطلقه... قوله: (أن كان ابن عمتك) بفتح همزة أن وهي للتعليل، كأنه قال: حكمت له بالتقديم لأجل أنه ابن عمتك... قوله: (فتلون) أي تغير، وهو كناية عن الغضب... قوله: (حتى يرجع إلى الجدر) أي يصير إليه، والجَدْر هو المسناة، وهو ما وضع بين شربات النخل كالجدار، وقيل: المراد الحواجز التي تحبس الماء، وجزم به السهيلي. ويروى الجدار بضم الدال، حكاه أبو موسى، وهو جمع جدار. وقال ابن التين: ضبط في أكثر الروايات بفتح الدال وفي بعضها بالسكون، وهو الذي في اللغة، وهو أصل الحائط. وقال القرطبي: لم يقع في الرواية إلا بالسكون، والمعنى أن يصل الماء إلى أصول النخل، قال: ويروى بكسر الجيم، وهو الجدار والمراد به جدران الشربات التي في أصول النخل فإنها ترفع حتى تصير تشبه الجدار. والشربات بمعجمة وفتحات هي الحفر التي تحفر في أصول النخل. وحكى الخطابي: الجذر بسكون الذال المعجمة، وهو جذر الحساب، والمعنى حتى يبلغ تمام الشرب. قال الكرماني: المراد بقوله (أمسك) أي أمسك نفسك عن السقي، ولو كان المراد أمسك الماء لقال بعد ذلك أرسل الماء إلى جارك". انظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، الجزء الخامس، صفحة ٤٤: ٤٦.

(2) سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، كتاب اللباس، باب: الصفرة للرجال، الحديث رقم ٣٦٠٥، الجزء الثاني، صفحة ١١٩٢. والمخِيلة: الكبر. انظر: لسان العرب، ابن منظور، الجزء الحادي عشر، صفحة ٢٢٨. وقال المنذري: "ورواته إلى عُمر ثقات يحتج بهم في الصحيح". انظر: الترغيب والترهيب، الحافظ المنذري، كتاب الطعام وغيره، باب الترهيب من الإمعان في الشبع والتوسع في المآكل والمشارب بطرا، الجزء الثالث، صفحة ١٤٧.

(١٢) في مجال المحافظة على التنوع الحيوي دعت السنة النبوية إلى عدم إفناء أمم الطير والحيوان، نظرا لأهمية ذلك في تحقيق التوازن البيئي، إذ إن التنوع الحيوي يوفِّر القاعدة الأساسية للحياة على الأرض. وتُعَدّ الحياة الفطرية مصدرا رئيسيا لتزويد الإنسان بالغذاء والمواد الخام اللازمة لصناعة ملابسه، وتتيح له المجال لممارسة هواياته في الصيد أو في التريض والترويح عن النفس. ولعل ما هو أهمّ من ذلك أن لكثير من الأنواع الحية دوراً أساسيا في استقرار المناخ وحماية موارد المياه والتربة. كما أن كثرة الأنواع الحية توفر مخزونا غنيا للمعلومات عن السمات الوراثية (الشيفرات) التي ترشدنا إلى اختيار محاصيل جديدة وتساعدنا على تحسين الأنواع الموجودة حاليا. وتُفقَد بعض هذه المعلومات نهائيا عندما يختفي نوع رئيسي أو فرعي من أنواع الكائنات الفطرية[١]، حتى لو كان هذا النوع من الكلاب أو النمل. فعن عبد الله بن مغفل قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (لولا أن الكلاب أمة من الأمم لأمرت بقتلها كلها، فاقتلوا منها كل أسود بهيم)[٢]. وعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (نزل نبي من الأنبياء تحت شجرة، فلدغته نملة، فأمر بجهازه فأخرج من تحتها ثم أمر ببيتها فأحرق بالنار، فأوحى الله إليه: فهلا نملة واحدة؟)[٣]. وما ينطبق على أمتيّ الكلاب والنمل ينطبق على سائر أمم الحيوان والطير والحشرات.

(١٣) في مجال المحميات الطبيعية ألغى رسول الله صلى الله عليه وسلم نظام المحميات القبلية التي كانت مصدرا للحروب والنزاعات البيئية في الجاهلية. فقد كانت ندرة الموارد الطبيعية بسبب ظروف الجفاف وقِلّة المسطحات الخُضْر سببا في نشأة نظام المحميات في بلاد العرب وشيوعه في الجاهلية. وكان الشريف من العرب إذا نزل بلدا في عشيرته استعوى كلبا، فحمى لخاصته مدى عواء الكلب، فلا يرعى في هذه المنطقة أحد غيره. وعلى الرغم من الفوائد التي جناها أصحاب هذه المحميات منها، فإن

(١) التنوع الأحيائي، د. عبد الحكيم بدران، صفحة ١٠: ١١.

(٢) رواه الترمذي، وقَالَ أبو عيسى: حَدِيثٌ عبد الله بن مغفل حديث حَسَنٌ صَحِيحٌ. انظر: سنن الترمذي، كتاب الصيد عن رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وسَلَّم، باب: مَا جَاءَ في قتل الكلاب، الحديث رقم ١٤٨٦، صفحة ٣٥٢. وجاء في تحفة الأحوذي: "وقوله: (لولا أن الكلاب) أي جنسها. (أمة) أي جماعة. (بهيم) أي خالص السواد. قال الخطابي: معنى هذا الكلام أنه صلى الله عليه وسلم كره إفناء أمة من الأمم وإعدام جيل من الخلق، لأنه ما من خلق لله إلا وفيه نوع من الحكمة وضرب من المصلحة. يقول: إذا كان الأمر على هذا ولا سبيل إلى قتلهن، فاقتلوا شرارهن، وهي السود البهم ". انظر: تحفة الأحوذي، المُبَارَكْفوري، الجزء الخامس، صفحة ٣١، ٣٣: ٣٤.

(٣) رواه الشيخان. انظر: صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب: خمس من الدواب فواسق يقتلن في الحرم، الحديث رقم ٣٣١٩، صفحة ٥٨١. وانظر: صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الفضائل، باب وجوب اتباعه صلى الله عليه وسلم، الأحاديث أرقام ١٤٨(٢٢٤١)، ١٤٩(٢٢٤٢)، ١٥٠(٢٢٤٣)، الجزء السابع، صفحة ٤٠٥. وجاء في فتح الباري: "قوله: (فأمر بجهازه) أي متاعه. قوله: (ثم أمر ببيتها فأحرق) أي بيت النمل". انظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، الجزء السادس، صفحة ٤١٢.

محمياتهم كانت سببا في العديد من النزاعات البيئية التي احتدمت حدّتها بينهم وبين الآخرين. فكان من الطبيعي أن تحدث تجاوزات لنظام الحِمَى في الجاهلية، إذ كانت المحميات عرضة للمطامع دائماً، ومحلاً للصراع بين القبائل. وجاء الإسلام فوضع حدا لهذه النزاعات من خلال ما سنته الشريعة الإسلامية من قواعد تنظم أسس التعامل مع البيئة، وتحفظ حقوقها، وتمنع الاعتداء عليها. كما وضع الإسلام حداً للحروب التي كانت تقوم بين القبائل بسبب المراعي وآبار المياه. فعن الصعب بن جَثّامة قال: "إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لا حمى إلا لله ولرسوله)، وقال: بلغنا أن النبي صلى الله عليه وسلم حمى النقيع، وأن عمر حمى الشرف والربذة"[1]. ويرى السمهودي أن قوله صلى الله عليه وسلم: (لا حمى إلا لله ورسوله) يعني: أنه لا حمى على هذا المعنى الخاص، ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما كان يحمي لمصالح عامة المسلمين، لا لما حمَى له غيره من خاصة نفسه، وذلك أنه لم يملك إلا ما لا غِنى به ويعياله عنه ... وقال: "وقد حمى بعده (عمر) رضي الله عنه أرضا لم يعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حماها"[2]. وعن ابن عمر – رضي الله عنهما – (أن النبي صلى الله عليه وسلم حمى النقيع لخيله)[3]. وقد حمى رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة المنورة كما حمى إبراهيم عليه الصلاة والسلام منطقة الحرم في مكة، فلا يمس فيهما حيوان إلا المؤذي، ولا نبات إلا ما اقتضته الضرورة. وحدّدت السنة النبوية حمى كل من المدينة المنورة ومكة المكرمة الذي لا يجوز انتهاكه عن طريق العدوان على الإنسان أو صيد الحيوان أو قطع الأشجار. فعن إبراهيم التيمي، عن أبيه قال: قال علي رضي الله عنه: ما عندنا كتاب نقرؤه إلا كتابُ الله غير هذه الصحيفة، قال: فأخرجها، فإذا فيها أشياء من الجراحات وأسنان الإبل. قال: وفيها: "المدينة حرم ما بين عير إلى

(1) صحيح البخاري، كتاب المساقاة، باب: لا حمى إلا لله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، الحديث رقم ٢٣٧٠، صفحة ٤٠٥: ٤٠٦. و(النقيع): هو بالنون موضع قريب من المدينة كان يستنقع فيه الماء، أي يجتمع. انظر: عون المعبود في شرح سنن أبي داود، العظيم آبادي، الجزء الثامن، صفحة ٣٣٩. و(الشرف): كبد نجد. و(الربذة): من قرى المدينة على ثلاثة أيام من ذات عرق على طريق الحجاز إذا رحلت من فيد تريد مكة، وبهذا الموضع قبر أبي ذر الغفاري رضي الله عنه. والربذة: هي الحمى الأيمن. انظر: معجم البلدان، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي، دار الفكر، بيروت، الجزء الثالث، صفحة ٢٤.

(2) وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، السمهودي (نور الدين علي بن أحمد)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، الجزء الثالث، صفحة ١٠٨٦: ١٠٨٧.

(3) مسند أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل، مسند عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، الحديث رقم ٥٦٥٥، الجزء الثاني، صفحة ٩١. وثمة رواية أخرى في (مسند أحمد) أيضا توضح ملكية الخيل التي خُصِّص حمى النقيع لها. فعن ابن عمر رضي الله عنهما (أن النبي صلى الله عليه وسلم حمى النقيع للخيل. قال حماد: فقلت له: لخيله؟ قال: لا، لخيل المسلمين). انظر: مسند أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل، مسند عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، الحديث رقم ٦٢٣٨ج٢، صفحة ١٥٥.

ثور، فمن أحدث فيها حدثا، أو آوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين..."[1]. وعن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طلع له أُحُد فقال: (هذا جبل يحبنا ونحبه. اللهم إن إبراهيم حرَّم مكة، وإني أحرِّم ما بين لابتيها)[2]. وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) أنه كان يقول: لو رأيت الظباء بالمدينة ترتع ما ذعرتها، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما بين لابيتها حرام)، وزاد في رواية بعد قول أبي هريرة: ما ذعرتها: "وجعل اثني عشر ميلا حول المدينة حمى"[3]. وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة: (إن هذا البلد حرّمه الله يوم خلق السماوات والأرض، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة، وإنه لم يحلّ القتال فيه لأحد قبلي، ولم يحلّ لي إلا ساعة من نهار، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة، لا يعضَد شوكه، ولا ينفر صيده، ولا يلتقط لقطته إلا من عرفها، ولا يختلى خلاه). فقال العباس: يا رسول الله، إلا الإذخر، فإنه لقينهم ولبيوتهم، قال: (إلا الإذخر)[4].

---

(1) رواه الشيخان. انظر: صحيح البخاري، كتاب الفرائض، باب: إثم من تبرأ من مواليه، الحديث رقم ٦٣٧٤، صفحة ١٢٠٢. وانظر: صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الحج، باب: فضل المدينة ودعاء النبي صلى الله عليه وسلم فيها بالبركة وبيان تحريمها وتحريم صيدها وشجرها، وبيان حدود حرمها، الحديث رقم ٤٦٧ – (١٣٧٠)، الجزء الخامس، صفحة ١١٤: ١١٥. وعير وثور: جبلان بالمدينة. انظر: لسان العرب، ابن منظور، الجزء الرابع، صفحة ٦٢٦.

(2) رواه الترمذي. وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح. انظر: سنن الترمذي، كتاب المناقب عن رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وسَلَّم، باب: مَا جَاءَ في فضل المدينة، الحديث رقم ٣٩٢٢، صفحة ٨٨٠. وجاء في تحفة الأحوذي: " قوله: (طلع له أحد) أي ظهر. (هذا جبل يحبنا) قال النووي: الصحيح المختار أن معناه أن أحداً يحبنا حقيقة، جعل الله فيه تمييزاً يحب به كما قال سبحانه وتعالى: (وإن منها لما يهبط من خشية الله) (البقرة/ ٧٤)، وكما حن الجذع اليابس، وكما سبح الحصى... وقيل المراد: يحبنا أهله فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه. انتهى". انظر: تحفة الأحوذي، المُبَارَكْفوري، الجزء العاشر، صفحة ٣٢٠. و(لابتيها) مشى لابتها. واللابة: الحرة. وقال الأصمعي: هي الأرض التي قد ألبستها حجارة سود. ولابتا المدينة: حرتان تكتنفانها. انظر: لسان العرب، ابن منظور، الجزء الأول، صفحة ٧٤٥: ٧٤٦.

(3) رواه الشيخان. انظر: صحيح البخاري، كتاب أبواب فضائل المدينة، باب: لابتي المدينة، الحديث رقم ١٨٧٣، صفحة ٣٢١: ٣٢٢. وانظر: صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الفضائل، باب: وجوب اتباعه صلى الله عليه وسلم، الأحاديث أرقام ٤٧٢ (١٣٧٢)، الجزء السابع، صفحة ٤٠٥.

(4) رواه الشيخان. انظر: صحيح البخاري، كتاب أبواب الجزية والموادعة، باب: إثم الغادر للبر والفاجر، الحديث رقم ٣١٨٩، صفحة ٥٦١. وانظر: صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الحج، باب: تحريم مكة وصيدها وخلاها وشجرها ولقطتها إلا لمنشد على الدوام، الأحاديث أرقام ٤٤٥ (١٣٥٣)، ٤٤٦ (١٣٥٤)، ٤٤٧ (١٣٥٥)، ٤٤٥ (١٣٥٥)، الجزء الخامس، صفحة ١٠٣: ١٠٤. و(يعضد): يقطع. ولا يختلى خلاها: أي: لا يحتش حشيشها. والخلى: الرطب من الحشيش. والقين: الحداد، وقيل: كل صانع قين. والإذخر: حشيشة طيبة الرائحة يسقف بها البيوت

وحظرت الشريعة الإسلامية على كل من أحرم بالحج أو العمرة أن يقتل صيدا أو يقطع شجرة في الحرم أو يكسرها أو يحرقها، أو يزيل نباتا إلا ما كان منه يابسا ولحاجته. ولو تصورنا أن الأعداد الكبيرة من الحجيج سُمِح لها بقطع الأشجار في موسم الحج وحده (الذي يتغير موعده عاما بعد عام) فإن النتيجة النهائية لذلك هي استئصال مظاهر الحياة النباتية جميعها في مكة المكرمة، وستختفي مع ذلك الأحياء الحيوانية التي تعتمد على هذه النباتات في غذائها ومأواها.

(١٤) في مجال القدوة الحسنة في السلوكيات الإيجابية المرتبطة بالتنمية المستدامة ورعاية البيئة كانت أفعال الرسول صلى الله عليه وسلم نفسه خير مثال يحتذى بها في هذا المضمار. ففي الاقتصاد في استخدام الماء حتى في غرض ديني مثل الوضوء، قال أنس (رضي الله عنه): (كان النبي صلى الله عليه وسلم يغسل – أو كان يغتسل – بالصاع إلى خمسة أمداد ويتوضأ بالمد)[١]. وعن عائشة (رضي الله عنها) أنها (كانت تغتسل هي والنبي صلى الله عليه وسلم من إناء واحد يسع ثلاثة أمداد، أو قريبا من ذلك)[٢]. وكان أبو جعفر عند جابر بن عبد الله هو وأبوه وعنده قوم فسألوه عن الغسل، فقال: يكفيك صاع، فقال رجل: ما يكفيني. فقال جابر: (كان يكفي من هو أوفى منك شعرا، وخير منك)[٣]، يعني النبي صلى الله عليه وسلم.

وفي تحمل الجوع والاقتصاد في تناول الطعام، قال جابر (رضي الله عنه): "إنا يوم الخندق نحفر، فعرضت كيدة شديدة، فجاءوا النبي صلى الله عليه وسلم، فقالوا: هذه كدية عرضت في الخندق، فقال: (أنا نازل). ثم قام وبطنه معصوب بحجر، ولبثنا ثلاثة أيام لا نذوق ذواقا... الحديث"[٤]. وقالت عائشة

فوق الخشب. انظر: لسان العرب، ابن منظور، الجزء الرابع عشر، صفحة ٢٤٢، ٢٤٣، ج١٣، صفحة ٣٥٠، وج٣، صفحة ٢٩٤، وج٤، صفحة ٣٠٣.

(١) رواه الشيخان. انظر: صحيح البخاري، كتاب الوضوء، باب: الوضوء بالمد، الحديث رقم ٢٠١، صفحة ٥٤. وانظر: صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الحيض، باب: القدر المستحب من الماء في غسل الجنابة، وغسل الرجل والمرأة في إناء واحد في حالة واحدة، وغسل أحدهما بفضل الآخر، الأحاديث أرقام ٥١ (٣٢٥)، ٥٢ (٣٢٦)، ٥٣ (٣٢٦)، الجزء الثاني، صفحة ٢٠٣. وجاء في فتح الباري: "قوله: (بالصاع) هو إناء يسع خمسة أرطال وثلثا بالبغدادي، وقال بعض الحنفية ثمانية. قوله: (إلى خمسة أمداد) أي كان ربما اقتصر على الصاع وهو أربعة أمداد، وربما زاد عليها إلى خمسة". انظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، الجزء الأول، صفحة ٣٦٥.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الحيض، باب: القدر المستحب من الماء في غسل الجنابة، وغسل الرجل والمرأة في إناء واحد في حالة واحدة، وغسل أحدهما بفضل الآخر، الحديث رقم ٤٤ (٣٢١)، الجزء الثاني، صفحة ٢٠٢.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الغسل، باب الغسل بالصاع ونحوه، الحديث رقم ٢٥٢، صفحة ٦١: ٦٢. وجاء في فتح الباري: "قوله: (أوفى) يحتمل الصفة والمقدار، أي أطول وأكثر". انظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، الجزء الأول، صفحة ٤٣٦.

(٤) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب: غزوة الخندق وهي الأحزاب، الحديث رقم ٤١٠٢، صفحة ٧١٨. وجاء في فتح الباري: "قوله: (فعرضت كيدة)... قيل: هي القطعة الشديدة الصلبة من الأرض... وفي رواية الإسماعيلي

(رضي الله عنها): (ما شبع آل محمد صلى الله عليه وسلم منذ قدم المدينة من طعام بر ثلاث ليال تباعا حتى قبض)[1] وفي رواية لمسلم عن عائشة (رضي الله عنها) أنها قالت: (ما شبع آل محمد صلى الله عليه وسلم من خبز شعير، يومين متتابعين، حتى قُبض)[2]. وعن عروة عن عائشة أنها قالت لعروة: (والله يا ابن أختي: إن كنا لننظر إلى الهلال، ثم الهلال، ثم الهلال: ثلاثة أهلة في شهرين، وما أوقد في أبيات رسول الله صلى الله عليه وسلم نار. قال: قلت: يا خالة: فما كان يعيشكم؟ قالت: الأسودان: التمر والماء، إلا أنه قد كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم جيران من الأنصار، وكانت لهم منائح، فكانوا يرسلون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من ألبانها، فيسقيناه)[3]. وقالت عائشة (رضي الله عنها) أيضا: (ما أكل آل محمد صلى الله عليه وسلم أكلتين في يوم إلا إحداهما تمر)[4]. وعن أبي سعيد المقبري عن أبي هريرة (رضي الله عنه) أنه مر بقوم بين أيديهم شاة مصلية، فدعوه، فأبى أن يأكل. وقال: (خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من الدنيا، ولم يشبع من خبز الشعير)[5]. وكان صلى الله عليه وسلم يكثر من الصيام في غير رمضان، فعن عائشة (رضي الله عنها) أنها قالت: (كان النبي صلى الله عليه وسلم يتحرى صوم الاثنين والخميس)[6]. وعن معاذة

(فعرضت كدية)... وهي القطعة الصلبة الصماء ... قوله: (ولبثنا ثلاثة أيام لا نذوق ذواقا) هي جملة معترضة أوردها لبيان السبب في ربطه صلى الله عليه وسلم الحجر على بطنه". انظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، ج٧، صفحة ٤٥٧: ٤٥٨.

(١) صحيح البخاري، كتاب الرقائق، باب: كيف كان عيش النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وتخليهم من الدنيا، الحديث رقم ٦٤٥٤، صفحة ١١٥٤. والبُر: الحنطة. انظر: لسان العرب، الجزء الرابع، صفحة ٥٥.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الزهد والرقائق، باب: شدة عيش النبي صلى الله عليه وسلم، الحديث رقم ٢٢ – (٢٩٧٠)، الجزء التاسع، صفحة ٢٥٨.

(٣) رواه الشيخان. انظر: صحيح البخاري، كتاب الرقائق، باب: كيف كان عيش النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وتخليهم من الدنيا، الحديث رقم ٦٠٥٩، صفحة ١١٥٤. وانظر: صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الزهد والرقائق، الحديث رقم ٢٨ – (٢٩٧٢)، الجزء التاسع، صفحة ٢٦٠: ٢٦١.

(٤) صحيح البخاري، كتاب الرقائق، باب: كيف كان عيش النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وتخليهم من الدنيا، الحديث رقم ٦٤٥٥، صفحة ١١٥٤.

(٥) صحيح البخاري، كتاب الأطعمة، باب: ما كان النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه يأكلون، الحديث رقم ٥٤١٤، صفحة ٩٩٤. وقوله (مصلية) أي: مشوية. والصلاء بالمد والكسر: الشواء لأنه يصلى بالنار. انظر: لسان العرب، ابن منظور، الجزء الرابع عشر، صفحة ٤٦٧.

(٦) رواه الترمذي، وقال أَبُو عِيسَى: حديثُ عائِشةَ حديثٌ حسنٌ غريبٌ من هَذَا الوجهِ. انظر: سنن الترمذي، كتاب الصوم عن رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وسَلَّم، باب: مَا جَاءَ في صوم يوم الاثنين والخميس، الحديث رقم ٧٤٥، صفحة ١٨٤: ١٨٥. وفي الحديث ربيعة الجُرَشي. جاء في تحفة الأحوذي: "قوله: (عن ربيعة الجرشي) مختلف في صحبته، وثقه الدارقطني وغيره كذا في التقريب. وقوله: (يتحرى صوم الاثنين والخميس) أي: يقصده ويطلبه. والتحري طلب الأحرى

العدوية أنها سألت عائشة: (أكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم من كل شهر ثلاثة أيام؟ قالت: نعم. فقلت: من أي الشهر كان يصوم؟ قالت: لم يكن يبالي من أي الشهر يصوم)[1].

وفي الرفق بالحيوان روى ابن عباس (رضي الله عنهما) أن النبي صلى الله عليه وسلم مر عليه حمار قد وُسِم في وجهه، فقال: لعن الله الذي وسمه)[2]. وعن عبد الله بن جعفر (رضي الله عنهما) قال : أردفني رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفه ذات يوم، فأسرّ إلي حديثا لا أحدث به أحدا من الناس، وكان أحب ما استتر به رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجته هدف أو حائش النخل، فدخل حائطا لرجل من الأنصار فإذا جمل، فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم حن وذرفت عيناه، فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم فمسح ذفراه فسكن، فقال: من رب هذا الجمل؟ لمن هذا الجمل؟ فجاء فتى من الأنصار فقال: لي يا رسول الله، فقال: (أفلا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملكك الله إياها؟! فإنه شكا إلي أنك تجيعه وتدئبه)[3]. وعن سهل بن الحنظلية قال: مر رسول الله صلى الله عليه وسلم ببعير قد لحق ظهره ببطنه فقال: (اتقوا الله في هذه البهائم المعجمة فاركبوها صالحة، وكلوها صالحة)[4].

والأولى، وقيل التحري طلب الثواب والمبالغة في طلب شيء ... وقوله: (حديث عائشة حديث حسن غريب من هذا الوجه) وأعله ابن القطان بالراوي عنها وأنه مجهول، وأخطأ في ذلك فهو صحابي، كذا في التلخيص". انظر: تحفة الأحوذي، المُبَارَكفوري، الجزء الثالث، صفحة ٣٨٩.

(١) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الصيام، باب: استحباب ثلاثة أيام من كل شهر وصوم يوم عرفة وعاشوراء والاثنين والخميس، الحديث رقم ١٩٤ – (١١٦٠)، الجزء الرابع، صفحة ٢٦٣.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب اللباس والزينة، باب: النهي عن ضرب الحيوان في وجهه، ووسمه فيه، الحديث رقم ١٠٧ – (٢١١٧)، الجزء السابع، صفحة ٢٨١. وقوله (وُسِم) أي: أُثّر فيه بسمة وكيّ. انظر: لسان العرب، ابن منظور، الجزء الثاني عشر، صفحة ٦٣٥.

(٣) رواه أبو داود. انظر: سنن أبي داود، كتاب الجهاد، باب: ما يؤمر به من القيام على الدواب والبهائم، الحديث رقم ٢٥٤٩، صفحة ٣٨٧. جاء في (عون المعبود): "قال المنذري: وأخرجه مسلم وابن ماجه وليس في حديثهما قصة الجمل... (فأسرّ): من إسرار أي الكلام على وجه لا يطلع عليه غيره. (لحاجته): أي الحاجة الإنسانية. (هدفاً): كل بناء مرتفع مشرف. (حائش نخل): هو النخل الملتف. (حائطاً): أي بستاناً. (حن): أي رجع صوته وبكى. (وذرفت عيناه): جرت. (ذفراه): الذفرى من البعير مؤخر رأسه وهو الموضع الذي يعرف من قفاه، وهما ذفريان. (وتدئبه): أي تكرهه وتتعبه. انظر: عون المعبود في شرح سنن أبي داود، الجزء السابع، صفحة ٢٢٠.

(٤) رواه أبو داود. انظر: سنن أبي داود، كتاب الجهاد، باب: ما يؤمر به من القيام على الدواب والبهائم، الحديث رقم ٢٥٤٨، صفحة ٣٨٧. جاء في (عون المعبود): والحديث سكت عنه المنذري... (قد لحق ظهره ببطنه): أي من الجوع. (البهائم): جمع بهيمة وهي كل ذات أربع قوائم ولو في الماء، وكل حي لا يميز. (المعجمة): أي التي لا تقدر

المبحث السادس: القواعد الفقهية المتعلقة برعاية البيئة:

ثمة قواعد فقهية عامة استنبطها علماء المسلمين من القرآن الكريم والسنة النبوية، وهي قواعد تعدّ مفخرة للمسلمين، لكونها قد سبقت التشريعات البيئية المعاصرة وتفوقت عليها. وعلينا أن نسعى إلى تفعيلها في مجال دفع الضرر بكل صوره وألوانه، بما في ذلك الضرر الذي قد يحيق بالبيئة من جراء تصرفات الإنسان وسلوكياته غير الحميدة. وعلينا أيضا أن نعمل على إحيائها والاحتكام إليها لحل النزاعات البيئية التي تواجهها البشرية حاليا، سواء على المستوى الدولي أو الإقليمي أو الأفراد.

وهذه القواعد هي:

(أ) قاعدة (الضرر يزال). وتستند هذه القاعدة إلى الحديث الذي رواه عبادة بن الصامت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى أن (لا ضرر ولا ضرار)[1]. وتعني هذه القاعدة أن لكل فرد مطلق الحرية في أن يتصرف فيما يملك إذا انعدم الضرر، فإذا حدث ضرر للغير فلولي الأمر الحق في التدخل واتخاذ كل ما من شأنه أن يحول دون وقوع الضرر الذي قد يلحق ببعض مكونات البيئة أو التخفيف منه أو حتى إزالة مصدر هذا الضرر، لسد الذرائع المؤدية إلى الفساد. وعلى سبيل المثال، من غير الجائز لأحد أن يفسد على الجماعة حقها في الانتفاع بأحد مواردها. كما أنه ليس من حق أحد أن يسيء استخدام ممتلكاته بحيث يلحق الضرر بالآخرين. "فإذا وضع رجل في بيته آلة تصدر اهتزازات تؤثر في سلامة حائط الجار، كان للقاضي أن يحكم بإزالة هذه الآلة، وكان على السلطة التنفيذية تحقيق ذلك"[2]. وما ينطبق على الفرد ينطبق على الدول أيضا، فليس من حق دولة أن تتصرف في مياهها الإقليمية بالشكل الذي يلحق أضرارا بيئية بجاراتها أو بدول أخرى يمكن أن ينتقل إليها التلوث البحري الذي يتصف بأنه لا يعترف بالحدود الجغرافية. ويمتد دفع الضر ليشمل الطير والحيوان. فعن عبد الرحمن بن عبد الله عن أبيه قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر، فانطلق لحاجته،

على النطق... (وكلوها صالحة): أي حال كونها صالحة للأكل، أي سمينة. انظر: عون المعبود في شرح سنن أبي داود، العظيم آبادي، ج٧

([1]) سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، كتاب الأحكام، باب: من بنى في حقه ما يضرّ بجاره، الحديث رقم ٢٣٤٠، الجزء الثاني، صفحة ٧٤٨. وانظر أيضا: موطأ مالك، مالك بن أنس أبو عبد الله الأصبحي، كتاب الأقضية، باب القضاء في أمهات الأولاد، الحديث رقم ١٤٢٩، دار إحياء التراث العربي، القاهرة، الجزء الثاني، صفحة ٧٤٥. وجاء في مجمع الزوائد: "عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا ضرر ولا ضرار في الإسلام) رواه الطبراني في الأوسط، وفيه ابن إسحاق وهو ثقة ولكنه مدلس. وعن عائشة (رضي الله عنها) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لا ضرر ولا ضرار) رواه الطبراني في الأوسط، وسمر بن أحمد بن رشدين، وهو ابن محمد بن الحجاج بن رشدين، وقال ابن عدي: كذبوه". انظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، علي بن أبي بكر الهيثمي، باب لا ضرر ولا ضرار، الجزء الرابع، صفحة ١١٠.

([2]) عمارة الأرض في الإسلام، جميل أكبر، دار القبلة للثقافة الإسلامية ومؤسسة علوم القرآن، صفحة ٢٠١.

فرأينا حمرة معها فرخان، فأخذنا فرخيها، فجاءت الحمرة فجعلت تفرش، فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فقال: (من فجع هذه بولدها؟ ردوا ولدها إليها). ورأى قرية نمل قد حرقناها فقال: (من حرق هذه؟) قلنا: نحن. قال: (إنه لا ينبغي أن يعذب بالنار إلا رب النار)[1].

(ب) قاعدة درء المفاسد مقدم على جلب المصالح: وقد استنبط الفقهاء هذه القاعدة من الحديث الذي رواه أبو هريرة أن رسول صلى الله عليه وسلم قال: (ما نهيتكم عنه فاجتنبوه. وما أمرتكم به فافعلوا منه ما استطعتم. فإنما أهلك الذين من قبلكم كثرة مسائلهم، واختلافهم على أنبيائهم)[2]. فإذا كان استغلال موارد البيئة لتحقيق منفعة ذاتية ومؤقتة سوف يتسبب في الإضرار بهذه الموارد وإفسادها، ويتسبب في استنزافها، فلا يُسمَح بها، إذ إن منع الضرر والفساد يجب أن يقدم على أي منفعة عند استغلال البيئة.

(ج) قاعدة الضرر يزال بقدر الإمكان (ولاسيما الضرر الفاحش). ولولاة الأمور الحق في إجبار من يحدث ضررا في البيوت أو الشوارع أو الأسواق أو البيئة بوجه عام بإزالة الأضرار الناتجة عن أعمالهم وتصرفاتهم، والتي قد يترتب عليها الإضرار بالناس أو بالحيوانات أو بجودة البيئة.

(د) قاعدة الضرر لا يزال بضرر مثله (بله بما هو أكبر منه). فإذا تساوى الضرر الذي يلحق بالبيئة بالضرر الذي ينتج منه حرمان صاحب حق الملكية لمشروع ما من استعمال حقه، فإنه لا يجوز لإزالة الضرر الذي يلحق بالبيئة حرمان صاحب الحق من استعمال حقه. وإذا كان هناك مصدر لتلويث الهواء في منطقة معينة (مصنع مثلا)، فلا يزال المصنع لتنشأ مكانه محرقة قمامة.

(هـ) قاعدة الضرر الأشد يزال بالأخف: حينما تتعارض المصالح المتعلقة بالبيئة مع مصالح الفرد تطبق هذه القاعدة. ويتفرع من هذه القاعدة قاعدتان أخريان هما:

١- يتحمل الضرر الخاص لدفع ضرر عام: ومثال ذلك: تقييد استعمال حق المالك في إقامة فرن خبز في سوق البزازين[3]؛ حتى لا يتسبب الشرر الناتج من الفرن في احتراق المنتجات الحريرية المعروضة

---

(١) سنن أبي داود، كتاب الجهاد، باب: في كراهية حرق العدو بالنار، الحديث رقم ٢٦٧٥، صفحة ٤٠٥. وجاء في (عون المعبود): "قال المنذري: ذكر البخاري وعبدالرحمن بن أبي حاتم الرازي أن عبدالرحمن بن عبد الله بن مسعود سمع من أبيه، وصحح الترمذي حديث عبدالرحمن عن أبيه في جامعه. (حمرة): طائر صغير كالعصفور. (فرخان): تثنية الفرخ. والفرخ ولد الطائر. (تفرش): بفتح التاء وضم الراء من فرش الطائر إذا فرش جناحيه، وبفتحها وتشديد الراء أي تفرش فحذف إحدى التائين أي ترفرفت بجناحيها وتقربت من الأرض انتهى. (فجَّع): أوجعه... (قرية نمل): أي موضع نمل". انظر: عون المعبود في شرح سنن أبي داود، العظيم آبادي، الجزء السابع، صفحة ٢٢٠.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الفضائل، باب: توفيره صلى الله عليه وسلم وترك إكثار سؤاله عما لا ضرورة إليه أو لا يتعلق به تكليف وما لا يقع ونحو ذلك، الحديث رقم ١٣٠ – (٢٣٥٧)، الجزء الثامن، صفحة ٩٧.

(٣) غمز عيون البصائر على الأشباه والنظائر لابن نجيم الحنفي، الحموي (أبو العباس، شهاب الدين أحمد بن محمد مكي الحسيني)، دار الطباعة العامرة، الأستانة، الجزء الثاني، صفحة ١٢٢.

في السوق. وانطلاقا من هذه القاعدة نجد الكثير من الفقهاء يجيزون انتزاع ملكية عقار خاص إذا ضاق الطريق على المارة[1]. وقياسا على ذلك، يمنع إقامة مصنع للأسمنت مثلا وسط حي سكني، منعا للضرر الذي يعود على أهل هذا الحي[2].

٢- يختار أهون الشرين أو أخف الضررين. فمثلا إذا تعذر نقل النفايات المنزلية إلى مناطق غير مأهولة بالسكان، وأريد حرقها للتخلص منها، فيمكن أن يجرى ذلك قرب المناطق البعيدة نسبيا ذات التعدد السكاني الأقل، بدلا من حرقها في المناطق ذات الكثافة السكانية العالية[3].

(و) قاعدة الموازنة بين المصالح: وتعني هذه القاعدة أن المصالح إذا تعددت وتعارضت فإنه يعمل بالترجيح بينها، وتغليب الأهم منها على ما دونها. ومثال ذلك أن يقدم المرء شراء المنتجات الصديقة للبيئة على المواد الضارة بها أو المستنزفة لطبقة الأوزون مثلا.

(ز) ما جاز بعذر بطل بزواله: من حق ولي الأمر وقف بعض الأعمال إذا كان ضررها على بيئة الإنسان أكثر من نفعها، لأن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح. وإذا كانت الجماعة تحتاج إلى الأعمال التي يترتب عليها ضرر فإن حاجتها تنزل منزلة الضرورة في إباحة المحظور، على أن يدفع الضرر بقدر الإمكان، وأن تقدر الضرورة بقدرها. وبمجرد زوال الحاجة إلى تلك الأعمال، فعلي ولي الأمر وقفها لأن ما جاز بعذر بطل بزواله.

(ح) ما يؤدي إلى الحرام فهو حرام: يقع تحت طائلة الحرام كل ما يضر الناس، فإن أي مصدر يضر الناس في صحتهم أو راحتهم، مثل ابتعاث غازات تؤذيهم، أو إحداث ضوضاء تقلق راحتهم، يعدّ أمرا غير مقبول.

(ط) ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب: من مقتضيات الحد من تلوث البيئة في بلد ما ضرورة استصدار مرسوم أو وضع معايير تحدد مواصفات الملوثات التي تقذف بها عوادم المصانع والسيارات في اى بلد، فإن استصدار مثل هذا المرسوم يصبح واجبا، لأن الواجب الأصلي لا يتم إلا به[4].

(ي) ولي الأمر في خدمة الرعية: وهذا يقتضي أن تعمل السلطات جميعها بما يحمي المجتمع من خطر يحدق به أو يتهدده، أي التوقي من الضرر حتى لا يقع، واتخاذ الإجراءات التصحيحية لعلاج هذا

---

(١) عمارة الأرض في الإسلام، جميل أكبر، صفحة ٢٠١.

(٢) الإسلام وحماية البيئة، ،محمود صالح العادلي، مجلة البحوث الفقهية المعاصرة، الرياض، العدد٢٣، السنة السادسة، ص ٣٤.

(٣) منهج الإسلام في الحفاظ على البيئة من التلوث، د. عدنان أحمد الصمادي، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، السنة السابعة عشرة، العدد الحادي والخمسون، صفحة ٣٣١.

(٤) تلوث الهواء: المشكلة والحل، د. صبري الدمرداش، الأمانة العامة للأوقاف، الصندوق الوقفي للمحافظة على البيئة، الكويت، ٢٠٠٠م، صفحة ٩٣.

الخطر في حالة وقوعه. فمثلا، إذا تعرض الناس لخطر تلوث الهواء في منطقة معينة بسبب سوء الصيانة في مصنع معين فيها، فعلى ولي الأمر العمل على إزالة مصدر هذا الخطر.

(ك) تدخل ولي الأمر منوط بالمصلحة: من واجب ولي الأمر رعاية مصالح الرعية والمحافظة على تنفيذ الأحكام. وولي الأمر نائب عن الأمة في تنفيذ شرع الله ، ولهذا فتدخله في شئون الرعية منوط بتحقيق مصالحهم ورعاية شئونهم[1]. فإذا وقعت مفسدة كان على ولي الأمر التدخل لدرئها، ولكن هذا التدخل ليس مطلقا، وإنما هو مقيد – فقط – في حدود ما يجلب النفع ويبعد الضرر.

<u>الخاتمة</u>:من استقراء السنة النبوية يجد الباحث أنها وضعت قواعد وقيما عظمى لتحقيق التنمية المستدامة وحماية البيئة، وأنها حثت على العمل وتحقيق التنمية المتكاملة بمختلف صورها، وعملت على حماية المخلوقات التي تعيش على الأرض والإحسان إليها، بما في ذلك حماية الإنسان من شرور نفسه ومن ظلم أخيه الإنسان، مع الاستفادة مما في الأرض من موارد ومقدرات وفق ضوابط خاصة من غير إفراط ولا تفريط. ولم تقتصر السنة النبوية في هذا المجال على تحديد أساليب الثواب للمحسنين للبيئة والعقاب للمسيئين لها، بل تعدّت ذلك إلى جعل أخلاقيات التعامل مع البيئة سلوكا حميدا يجب أن يلتزم به المسلم ويراقب في أدائه ربه.

---

(1) الأشباه والنظائر، السبكي (تاج الدين عبد الوهاب بن علي)، دار الكتب العلمية، بيروت، الجزء الأول، صفحة ٤١. وانظر أيضا: الأشباه والنظائر في قواعد وفروع الشافعية، السيوطي (جلال الدين بن عبد الرحمن)، دار الباز للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، بدون تاريخ، صفحة ٨٦.

الفصل السادس

أزمة البيئة المعاصرة : أزمة روحانية وأخلاقية

إصلاح البيئة من إصلاح الإنسان:

ولا أعتقد أننا نبالغ بالقول: إن جلّ المخاطر التي تتعرض لها البيئة هي نتاج طبيعي لضعف الوازع الأخلاقي لدى الإنسان، لأنّ الأخلاق ليست هي الحصن المنيع التي تمنح الإنسان معنى إنسانيته وتؤمن له الاستقرار الداخلي وتنظم علاقاته بالآخرين فحسب، وإنما هي أيضاً عنصر الحماية الرئيسي للبيئة ومواردها ومكوناتها، وكلما سما الإنسان أخلاقياً وروحياً كان ذلك أدعى للاستقرار البيئي فضلاً عن الاستقرار الاجتماعي... وكلما تداعت أو تصدّعت المنظومة الأخلاقية وتردّى الإنسان روحياً كان ذلك مؤشراً على ازدياد المخاطر البيئية، فضلاً عن الأزمات الاجتماعية، ولذا فإن إصلاح البيئة يبدأ من إصلاح الإنسان، وإصلاح الإنسان لن يكون ميسوراً إلا بإعادة الإعتبار إلى القيم الأخلاقية السامية، وذلك لأنه عندما تسود مبادئ النفعية والأنانية ويغدو الطمع والجشع والاحتكار... دليل النجاح و"الشطارة"، وفي المقابل تصبح قيم الرفق والإحسان والاقتصاد، دليل السذاجة والفشل عندما يسود هذا "المنطق" بموازينه المغلوطة ومفاهيمه المعكوسة فعلى الإنسانية السلام، وعلى البيئة ألف سلام.

في ضوء ما تقدم لا يعود مستغرباً هذا الاهتمام الديني بموضوع النظام الأخلاقي، لدرجة أن رسول الله محمد(ص) لخّص هدف بعثته بأنه العمل علىٍ تشييد صرح الأخلاق وإكمال مكارمه، قال(ص) ـ فيما روي عنه .: "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق"(السنن الكبرى للبيهقي١٠/١٩٢، بحار الأنوار:١٦/٢١٠)، ولا يخفى ما تختزنه كلمة "أتمم" من اعترافٍ بجهود السابقين من الأنبياء والحكماء على صعيد البناء الأخلاقي.

والحقيقة أن الإرشادات والوصايا والتعاليم الأخلاقية التي جاءت بها الرسالة الإسلامية تطبيقاً وتأكيداً لمقولة رسول الله(ص) الآنفة حول مكارم الأخلاق تحتلّ حيزاً كبيراً من التراث الإسلامي الخالد الذي تركه رسول الله(ص) وأهل بيته(ع)، وما علينا إلا أن نعمل على نشر هذه التعاليم والتبشير بها سواء في وسط المسلمين أو غيرهم.

وفيما يتصل بموضوعنا فإن الإرشادات التي تساهم في حماية البيئة وفيرة ومتنوعة، وبعضها يعتبر إرشادات عامة تصلح للتوجيه في حماية البيئة بكافة عناصرها، وبعضها تمثل إرشادات خاصة

تنفع للتوجيه في مجالات محددة، ونعرض فيما يلي إلى بعض المفاهيم الأخلاقية العامة، على أن نعرض للوصايا والإرشادات الخاصة في سياقها.

١ . الزهد

لا ريب أن لجشع الإنسان وطمعه الذي لا حدّ له تأثيراً سلبياً على البيئة، إمّا بشكل مباشر، لأن زيادة استهلاك الإنسان للمنتجات على اختلاف أنواعها الغذائية أو الصناعية أو غيرها تستتبع زيادة الإنتاج مع ما يستلزمه ذلك من استنزاف الموارد الطبيعية، وإما بشكل غير مباشر لأن الطمع والجشع يجرّ في كثير من الحالات إلى التقاتل ونشوب الحروب والصراعات وهي بطبيعة الحال تدمر الكثير من مظاهر البيئة وعناصرها، ومن هنا فإنّ مفهوم الزهد يمكنه أن يلعب دوراً كبيراً في حماية البيئة، لإنه يروّض الإنسان على القناعة، ويحدّ من نزعة الجشع والطمع لديه.

وإن بعض مظاهر الطمع يمكن الحكم بحرمتها لكونها إسرافاً أو احتكاراً أو لانطباق عنوان محرم آخر عليها، ولكن بعض مظاهره قد يصعب الحكم بمنعها وتحريمها بالعنوان الأولي، ولكن لا ريب في كونها مذمومة للشارع الأقدس من خلال الكثير من الروايات التي تتحدث عن ذم الطمع وتحذر منه، وإليك بعض هذه الروايات:

عن أمير المؤمنين (ع): "الطمع أول الشر"(الحكم من كلام أمير المؤمنين (ع) ١/ ٥٧٦). وعن رسول الله (ص):" إنَّ صلاح أول هذه الأمة بالزهد واليقين وهلاك آخرها بالشح والأمل"(الخصال: الشيخ الصدوق . تحقيق علي أكبر الغفاري . طبع جامعة المدرسين / قم ص ٧٩ ، والأمالي له أيضاً الطبعة الأولى ١٤١٧هـ، وعن الإمام الصادق (ع): "إن فيما نزل به الوحي من السماء: لو أن لإبن آدم واديين يسيلان ذهباً وفضة لابتغى إليهما ثالثاً، يابن آدم إن بطنك بحر من البحور ووادٍ من الأودية لا يملؤها شيء إلا التراب"(من لا يحضره الفقيه: تحقيق الشيخ علي أكبر الغفاري/ الناشر جامعة المدرسين إيران قم ١٤٠٤هـ ج٤ / ٤١٨ و٢ / ١٩٤ ، علل الشرايع ج ٢/ ٤٠٨، وسائل الشيعة الباب ٢٤ من أبواب مقدمات الطواف / الحديث ٢ ج ١٣ / ٢٥٦).

ونجد في الروايات ربطاً ملفتاً بين الحرص والفقر أو بين الطمع والفقر ، فعن أمير المؤمنين(ع)"الحرص مفقرة"(راجع: الحكم من كلام أمير المؤمنين(ع) ١/ ٥٧٦). وعنه(ع) " الحرص رأس الفقر ورأس الشر"(م.ن)، وهكذا قوله:"الطمع فقر ظاهر "(م.ن)، أو" الطمع فقر"(م.ن).

وهذا وتجدر الإشارة إلى أن مفهوم الزهد ربما يفسّر تفسيراً خاطئاً بما يجعله مساوياً لإهمال الحياة بكل عناصرها أو باعثاً على ترك العناية والاهتمام بالبيئة ومكوناتها، إنّ هذا التفسير أو الفهم الخاطئ للزهد سينعكس بشكل سلبي على البيئة، لكنه . كما قلنا . تفسير خاطئ ولا يمت إلى الإسلام بصلة، وهو مجافٍ لكل التعاليم الإسلامية التي تؤكد على ضرورة الاهتمام بالحياة والعمل على تطويرها نحو الأفضل ٢. الاقتصاد:

"اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً"، والخلاصة: إن المطلوب هو الزهد في الحياة لا الزهد بالحياه، والزهد كما قيل: ليس أن لا تملك شيء، بل أن لا يملكك شيء.

من المفاهيم والتعاليم الإسلامية التي لها دور هام في التخفيف من استنزاف مصادر الطبيعة وطاقاتها مفهوم الاقتصاد في الصرف والإنفاق، ومما جاء في الحث على الاقتصاد: ما روي عن النبي(ص) "إياكم والسرف في المال والنفقة، وعليكم بالاقتصاد، فما افتقر قوم قط اقتصدوا "(كنز العمال ج ٣/٥٣، تفسير مجمع البيان ج ٨ / ٢٢٢، الناشر مؤسسة الأعلمي/بيروت ١٤١٥هـ)، وعن أمير المؤمنين (ع) "الإقتصاد ينمي اليسير "أو القليل"(مستدرك الوسائل ح ١٣ الباب ١٩ من أبواب مقدمات التجارة). وعن الإمام الصادق (ع) "إن السرف يورث الفقر وإن القصد يورث الغنى" (الكافي ٥٣/٤من لا يحضره الفيه ١٧٤/٣). وعنه(ع) "ضمنت لمن اقتصد أن لا يفقر"(وسائل الشيعة ح ٢ باب ٢٢ من مقدمات التجارة)، وعن أمير المؤمنين (ع) "الاقتصاد نصف المؤونة"(مستدرك الوسائل ح ١٣ الباب ١٩ من أبواب مقدمات التجارة)، وعنه (ع) " لن يهلك من اقتصد"(م.ن)، وعنه(ع) "من لم يحسن الاقتصاد أهلكه الإسراف"(م.ن).

٣. الرفق:

إن مفهوم الرفق من المفاهيم الإسلامية التي تساهم في حماية البيئة، لأنه لا ينحصر بالرفق بالإنسان، بل يتسع ليشمل الرفق بالحيوان والطبيعة أيضاً، ففي الحديث عن أبي عبد الله(ع) قال: قال رسول الله (ص): "إنَّ الله يحب الرفق ويعين عليه، فإذا ركبتم الدواب العجف، فانزلوها منازلها فإن كانت الأرض مجدبة فانجوا عنها وإن كانت مخصبة فانزلوها منازلها"(الكافي:٢/١٢٠، العجف: الهزال، وقوله: "فانجوا عنها" أي أسرعوا بها). وعن أبي جعفر(ع): "إذا سرت في أرض خصبة فارفق بالسير وإذا سرت بأرضٍ مجدبة فعجّل بالسير"(من لا يحضره الفقيه: ٢/ ٢٩٠) ، وعن أبي جعفر الباقر (ع) قال: "قال رسول الله(ص) لو كان الرفق خلقاً يرى ما كان مما خَلق الله شيء أحسن منه" (الكافي: /١٢)، وعن الباقر (ع) أيضاً:"إن الله عزَّ وجل رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف"(الكافي:٢/ ١١٩).

وعنه(ع) قال: "قال رسول الله(ص) إن الرفق لم يوضع على شيء إلاّ زانه، ولا نزع عن شيء إلاّ شانه"(الكافي٢/١١٩)، إلى غير ذلك من الأحاديث التي تؤكد على أن الرفق خلق إسلامي رفيع، ينبغي التخلق به ومراعاته في التعاطي مع الإنسان أو الحيوان أو الطبيعة(راجع بحار الأنوار:١/١٥١) .

وقد بالغ بعض الشعراء المسلمين في دعوته إلى العطف على الكائنات جميعها بما في ذلك النبات، مقدماً صورة بليغة ومعبرة عن إحساس النبات وشكواه إلى الله من عنف الإنسان وقسوته، قال:

إرحم الغصن لا تنله بسوءٍ قد يحسّ النبات كالإنسان

الأصول الإسلامية للبيئة

يمكن حوصلة موضوع البيئة في الإسلام في ثلاثة أصول رئيسة هي:

الإنسان : الماء : الهواء

الأصل الأول : الإنسان

فالإنسان الذي هو محور الرسالة الإسلامية قد وضح القرآن أموراً كثيرة تتعلق به يمكن أن تصاغ كلها في أمرين رئيسيين هما:

- أنه مستخلف في الأرض .
- أن الكون كله مسخر له.

وناتج الربط بين هاتين الحقيقتين هو إعمار الكون وصلاحيته للحياة واستمراريتها فوق هذا الكوكب ، ولتوضيح هذه القضية المحورية في موضوع البيئة نذكر نظرة القرآن إلى هذين العنصرين وهما :

خلافة الإنسان في الأرض :

استخلف الله الإنسان في الكون ليدير موارده ويعمره ويظهر أسرار الله وقدرته في خلقه، وهي مهمة عظيمة أرادت الملائكة أن تختص بها وأرادها الله للإنسان تكريماً له " وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ "(البقرة :٣٠) "وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ "(الانعام :١٦٥) ، وقد ذكر صاحب التحرير والتنوير أن :" المراد من الخليفة المعني المجازي وهو الذي يتولى عملا يريده المستخلف مثل الوكيل والوصي أي جاعل في

الأرض مدبراً يعمل ما نريده في الأرض فهو استعارة أو مجاز مرسل وليس بحقيقة لأن الله تعالى لم يكن حالاً في الأرض ولا عاملا فيها العمل الذي أودعه في الإنسان وهو السلطة على موجودات الأرض، ولأن الله تعالى لم يترك عملا كان يعمله فوكله إلى الإنسان بل التدبير الأعظم لم يزل لله تعالى فالإنسان هو الموجود الوحيد الذي استطاع بما أودع الله في خلقه أن يتصرف في مخلوقات الأرض بوجوه عظيمة لا تنتهي خلاف غيره من الحيوان "[1] ومن هنا فإن الخلافة هي تكليف بمهمة الانتفاع بموجودات الكون يكون الإنسان فيها سيدا في الكون لا سيدا للكون فسيد الكون وحاكمه ومالك أمره هو الله سبحانه وتعالي، ولأن الإنسان هو أحد مخلوقاته قد تميز بالعقل فقد كرمه الله وأنعم عليه بنعمة الاستخلاف تمييزاً له عن غيره من المخلوقات :" وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا"(الإسراء :٧٠) فالاستخلاف معناه أن الإنسان وصى على هذه الأرض بكل ما فيها وليس مالكاً لها فهو مدبر لمواردها ومستغل لخيراتها " هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا "(هود:٦١) .

وقد أثارت مسألة الخلافة قضية مهمة تتعلق بملكية الإنسان للموارد الطبيعية هل هي ملكية رقبة أم ملكية انتفاع ودارت مناقشات كثيرة مال فيها الكثير من الباحثين إلى أنها ملكية انتفاع وذلك للأسباب التالية :

١- أن كثيراً من نصوص القرآن الكريم تضيف الملكية إلى الله سبحانه وتعالى :" آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ "(الحديد:٧) "وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ "(النور:٣٣) " لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى "(طه:٦) " لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ "(المائدة :١٢٠) .

يقول الشيخ شلتوت :" إذا كان المال مال الله، وكان الناس جميعاً عباد الله، وكانت الحياة التي يعملون فيها ويعمرونها بمال الله وهي لله، كان من الضروري أن يكون المال – وإن ربط باسم شخص معين – لجميع عباد الله، يحافظ عليه الجميع وينتفع به المجتمع"[2] .

٢- أن وجود الإنسان في هذه الحياة مؤقت واستخلافه فيها مؤقت أيضاً ولذلك كان انتفاعه بمواردها مؤقت " وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ "(البقرة:٣٦) وهذا التحديد الزمني للبقاء يترتب عليه تحديد للاستخلاف والانتفاع ومن هنا تبرز أحقية الأجيال المتعددة في الانتفاع بالموارد الطبيعية

1 محمد الطاهر بن عاشور / التحرير والتنوير / ج١/ص ٣٩٨ /الدار التونسية للنشر / ١٩٨٤.
2 محمود شلتوت/الإسلام عقيدة وشريعة/ص٢٥٧.

وضرورة أن يعي الإنسان هذه الحقيقة لكي يحفظ للأجيال التي بعده حقها في الانتفاع بما خلق الله في هذا الكون .

٣- أن شعور الإنسان بملكيته الدائمة للموارد يثير فيه نوازع الأنانية ويدفعه إلى الفساد المؤدي إلى نضوب الموارد البيئية أو تدميرها وهو ما تشهده بيئتنا المعاصرة، ولذلك كانت تعاليم القرآن واضحة في النهي عن الفساد في الأرض" وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّـهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ "(القصص:٧٧) " وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا "(الأعراف :٥٦) " وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّـهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ "(الأعراف: ٧٤).

من أجل ذلك عبر أحد الباحثين بقوله :" ولا نتجاوز روح التشريع الإسلامي إذا قلنا : إن القواعد والمبادئ الإسلامية المنظمة لاستخلاف الإنسان في الأرض ومضمونها، تنزل " حق الإنسان " على موارد الطبيعة من " حق الملكية" " إلى مرتبة" حق الانتفاع" فقط، والذي تقل فيه سلطات صاحبه عن سلطات المالك، ولا يبدو هذا القول غريباً إذا عرفنا أن بعض فقهاء المذهب المالكي يرون أن الملكية بوجه عام لا ترد إلا على المنافع فقط، أما الأعيان، أي موارد وثروات البيئة والكون الذي خلقه الله فملكيتها لله سبحانه وتعالي ولا ملك للإنسان فيها في الحقيقة والواقع فهم يقولون أن سلطان الإنسان لا يكون على المادة، وإنما محله منافعها فقط وفكرة حق الانتفاع تبدو أكثر ملاءمة إذا روعيت القواعد الشرعية في أعماله، حيث تؤكد من ناحية أن موارد البيئة وثرواتها هي عطاء من الله للبشر وفضل، وبالتالي لن يكون الانتفاع قاصراً على شخص دون آخر ومن ناحية أن المنتفع لا يجوز له إهدار أو تدمير أصل أو عين المال الذي ينتفع به، لأن سلطة التصرف الشرعي في المادة لا تكون للمنتفع بل لمالك العين أو الرقبة "[1] .

تسخير الكون للإنسان

تشير آيات كثيرة في القرآن الكريم إلى أن الكون قد سخره الله سبحانه للإنسان أي طوعه وذلله ليستطيع الانتفاع به والتصرف فيه والسيطرة على موارده ليحقق من خلاله الخلافة التي خلقه الله من أجلها، يقول الله تعالى:" هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ (١٠) يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (١١) وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (١٢) وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ (١٣) وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا

[1] أحمد سلامة / حماية البيئة في الفقه الإسلامي / مجلة الاحمدية / مايو ١٩٩٨ / دبي / ص ٢٩٥.

مِنْـهُ لَحْمًـا طَرِيًّـا وَتَسْـتَخْرِجُوا مِنْـهُ حِلْيَـةً تَلْبَسُـونَهَا وَتَرَى الْفُلْـكَ مَـوَاخِرَ فِيـهِ وَلِتَبْتَغُوا مِـنْ فَضْـلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ "(النحل :١٠-١٤). "أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِـهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ (الحـج:٦٥) "إِنَّ فِـي خَلْـقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِـهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ"(البقرة :١٦٤) وهكذا تتوالى آيات القرآن الكريم في ذكر ما سخره الله للإنسان في الكون حتى تكاد تذكر كل شئ فيه عدا ما اختص الله به مخلوقات أخرى ليس للإنسان سيطرة عليها، وهذا التسخير نعمة من نعم الله على الإنسان إذ لولاه لما استطاع أن يستفيد من كثير مما خلقه الله على هذه الأرض، يقول صاحب الظلال " إن الأرض كلها لا تبلغ أن تكون ذرة صغيرة في بناء الكون والإنسان في هذه الأرض خليقة صغيرة هزيلة ضعيفة بالقياس إلى حجم هذه الأرض وبالقياس إلى ما فيها من قوى ومن خلائق حية وغير حية لا يعد الإنسان من ناحية حجمه ووزنه وقدرته المادية شيئاً إلى جوارها ولكن فضل الله على هذا الإنسان ونفخته فيه من روحه وتكريمه له على كثير من خلقه هذا الفضل وحده قد اقتضى أن يكون لهذا المخلوق وزن في نظام الكون وحساب ، وأن يهيئ الله له القدرة على استخدام الكثير من طاقات هذا الكون وقواه ومن ذخائره وخيراته وهذا هو التسخير المشار إليه في الآية[1] .

ولبيان كيفية التسخير التي هيأها الله للإنسان يذكر الإمام الرازي أنه لكي يستطيع الإنسان استعمال البحر واستغلاله لابد له من ثلاثة أشياء لم تكن لتحصل لولا تسخير الله سبحانه وتعالى لها : الأولى الرياح التي تجري على وفق المراد، والثانية : خلق وجه الماء على الملامسة التي تجري عليها الفلك والثالثة : خلق الخشبة على وجه تبقي طافية على وجه الماء ولا تغوص فيه، وهذه الأحوال الثلاثة ليس لها من موجد إلا الله سبحانه وتعالى[2]

إن نظرة في آيات التسخير الواردة في القرآن الكريم عامة كانت أو مفصلة تنبؤنا بأمور عدة منها :

١- أن هذا التسخير المذكور في الآيات محدود بإرادة الله ولا يستطيع الإنسان مهما أوتى من قوة مادية أو علمية وتقنية أن يصل إلى الاستفادة منها إلا إذا أراد الله له ذلك:" يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ "(الرحمن :٣٣) " اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيـهِ بِأَمْرِهِ "(الجاثية :١٢). وإدراك هذا المعنى يحد من أنانية الإنسان واستكباره في الأرض وادعائه التأله فيها، وكثير من أمور الحياة يقف الإنسان عاجزاً عن حل

[1] سيد قطب : في ظلال القرآن / ط ٦ / مج ٥ / ص ٢٢٣.
[2] تفسير الفخر الرازي : محمد بن عمر الرازي / دار إحياء التراث العربي / ج ١ / ص ٤٠٢٣ .

معضلاتها ومن ذلك الماء مثلا الذي أصبح مشكلة العالم المستقبلية نظراً لنضوب موارده وعدم قدرة الإنسان على صنعه، ولذلك يستخدمه الله سبحانه وتعالى في تحدى الإنسان إذا أمعن في كفره وعناده :" أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ "(الواقعة :٦٨-٧٠) ، وذلك بعد أن جعل الله الماء نعمة مسخرة للإنسان " وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ "(ق:٩-١٠) .

٢- أنه على الرغم من التسخير الذي حفلت به آيات القرآن الكريم إلا أن الإنسان يجب أن يدرك أن هناك عوالم في هذا الكون ليس له سبيل إلى معرفتها وتظل مخفية عنه وخارجة عن سيطرته كالجن وغيرها من المخلوقات التي لا يستطيع الإنسان إدراكها وكذلك بعض الفيروسات والظواهر الطبيعية التي لم يسخر الله للإنسان طريقاً للتعامل معها ، وهنا نشير إلى أن مسألة التسخير فضل من الله سبحانه وتعالى على الإنسان فما سخره له استطاع أن يستفيد منه وأن يعمر الكون من خلاله وما لم يسخر له كان عليه أن يقف أمامه مؤمناً بقدرة الله وعظيم صنعه .

٣- إذا كان التسخير الإلهي لمظاهر الكون للإنسان نعمة فهي إذا حق من حقوقه التي منحه الله إياها يستطيع من خلاله الانتفاع بكل ما فيها لصالح بناء مجتمعه ويعمر من خلالها الكون الذي يعيش فيه ويفيد الإنسان والمخلوقات التي تعيش معه على هذا الكون، كما أن هذا الحق يمتد ليشمل البحث العلمي عن خواصها وأسرارها وكل ما يستطيعه لتطوير مواردها لخدمة الإنسان ولعل النظر في آيات التسخير التفصيلية توضح هذه الحقوق بجلاء إذ يقول الحق تبارك وتعالى :" فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا وَعِنَبًا وَقَضْبًا وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا وَحَدَائِقَ غُلْبًا وَفَاكِهَةً وَأَبًّا مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ "(عبس:٢٤-٣٠) "وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ "(ق:٨-٩) " وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ "(البقرة :١٦٤) " أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ "(الزمر:٢١) .

الأصل الثاني : الماء

وهو معجزة إلهية عجز البشر حتى هذه اللحظة عن الوصول إلى صنعها على الرغم من أنها أساس الحياة في كل شئ " وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍ "(الأنبياء :٣٠) ولأهميته في الحياة ودوره في كافة مكونات البيئة فقد استخدمه القرآن أداة في المحاورة العقدية فقال:" الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ "(البقرة:٢٢) كما استخدمه القرآن في تحدى البشر وردعهم عن تجاوز قدرة الله وعدم الاعتراف بنعمته

فقال :" قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ "(الملك:٣٠) " أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ "(الواقعة٦٨) ولأنه أساس الحياة فقد منع الإسلام احتكاره وجعله مشاعاً بين الناس ففي السنة :" الناس شركاء في ثلاث الماء والكلأ والنار "[1] كما نهى الإسلام عن تلويثه والأضرار بموارده ، روى ابن ماجه أن النبي ﷺ مر بسعد بن أبي وقاص وهو يتوضأ فقال له : لا تسرف، فقال: أو في الماء إسراف ؟! قال : نعم وإن كنت على نهر جار "[2] ونهى رسول الله ﷺ " أن يبال في الماء الجاري "[3].

وقد أشار القرآن الكريم إلى كثير من القضايا التي تتعلق بالماء والتي لها ارتباط بحياة الإنسان وخلافته في الأرض نذكر منها ما يلي :

١- أنه أساس في حياة كل كائن حي :" وجعلنا من الماء كل شئ حي أفلا يؤمنون "(الأنبياء:٣٠) تقول الدراسات " أن نسبته في أجسام الأحياء النشطة تصل إلى ٩٠% فهو الذي يحمل الغذاء والهواء إلى هذه الأجسام وهو في ذات الوقت المخلص لها من النفايات الضارة "[4] .

٢- أن نزوله إنما يكون بقدر بحيث يحدث التوازن الذي لا يضر الكائنات الحية فلو زاد نزوله لغرقت الأرض وأتلفت النباتات وصار مشهد الحياة مضطربا كما هو الحال في الفيضانات والأعاصير المدمرة التي يشهدها العالم الآن، ولو قل نزوله لشحب وجه الأرض وتشقق وماتت النباتات والحيوانات كما يحدث في المناطق التي تصاب بالجفاف والتصحر ولذلك فحكمة الله وإرادته اقتضت أن يكون نزوله بقدر حيث قال:" وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ(المؤمنون:١٨)" أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا "(الرعد:١٧) " " وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا "(الزخرف:١١) .

٣- يشير القرآن إلى أن الماء قد يكون عقوبة لمن كفر بآيات الله وأعرض عن إيمانه وتحدى قدرته :" فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ "(القمر:١٢)

1 رواه ابوداوود/ج٢/ص٥٣.
2 رواه ابن ماجه.
3 رواه الطبراني بإسناد حسن.
4 د.محمد منير حجاب /قضايا البيئة من منظور اسلامي / دار الفجر/ القاهرة/ص٥٧.

وقد يكون مكافأة للإنسان إذا التزم بأوامر الله واتبع تعاليمه . " وَأَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا "(الجن:١٦) .

٤- يذكر القرآن الماء كأحد المعجزات الكبرى التي خلقها الله سبحانه وتعالى ويقرنها مع دلائل أخرى تشير إلى عظيم صنعه فيقول :" خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ "(لقمان:١٠) .

الأصل الثالث : الهواء

لا نريد التعرض للتركيبة العلمية للهواء وما يتضح فيها من دقة في الخلق وتوازن في العناصر تدل على عظمة الخالق وعظيم صنعه، ولا نريد التحدث عن الغازات والعناصر والمركبات الكيميائية وكيفية تناغمها حتى تنتج هواء نقياً لا تستقيم الحياة ولا توجد بدونه في كل مكونات البيئة " صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ "(النمل :٨٨) ولكن الذي تجب الإشارة إليه هو أن المخلوط الغازي المسمى بالهواء عنصر أساس في حياة الكائن الحي كالماء لا يمكن أن يحيا الإنسان أو الحيوان أو النبات بدونه، وهو عرضة للتلوث بفعل التعامل البشري الخاطئ بما يستعمله الإنسان أو ينتجه من غازات وأبخرة تجعله غير صالح للحياة ومؤثر فيها سلباً وهو ما يهدد الحياة على وجه الأرض، ويشهد العالم المعاصر مشكلات كبرى ناتجة عن تلوث الهواء بسبب عدم قدرة الإنسان على ضبط تعامله مع محيطه وهو ما أشار إليه القرآن حين قال :" ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ"(الروم:٤١) ولذلك وحماية من الإسلام للبيئة فقد أمر بالاعتدال في السلوك حين التعامل مع الطبيعة خاصة "كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ "(البقرة:٦٠) .

عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ "(الأنبياء:٣٢) فالله سبحانه وتعالى خلق لهذا الكوكب ما يحفظه من المؤثرات التي لو أصابته لانتهت الحياة فوقه " خلق كل شئ فقدره تقديراً "(الفرقان:٢) " رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ "(آل عمران:١٩١) وما يشهده عالمنا من أخطار طبقة الأوزون دليل على ذلك، والتي يلعب الإنسان دوراً رئيساً فيها بما يحدثه من تدمير للبيئة وتلويث لمكوناتها مما يتسبب عن تصاعد أبخرة ودخان يدمر توازنات العناصر الهوائية، ولذلك جعل القرآن الدخان من العذاب الأليم حين قال :" فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ "(الدخان :١٠-١١) .وهكذا نجد أن البيئة بأصولها ومكوناتها المختلفة حاضرة في القرآن الكريم للدلالة على قدرة الخالق وبديع صنعه ولإثبات ضعف المخلوق وعدم قدرته حتى على المحافظة عليها، وحاضرة في صون القرآن لها بالأوامر والنواهي التي تحفظها من أنانية الإنسان واستغلاله السيئ لها، ومن هنا يتبين أن الإسلام قد اهتم بالبيئة من خلال منظومة فكرية متكاملة تجمع مختلف الجوانب العقدية والاقتصادية والاجتماعية.

خاتمة :

مما سبق يتضح أن :

١) أصلاح البيئة وتحسينها نتيجة مباشرة لأصلاح الإنسان والتزامه الصحيح بمنهج الله والسنة النبوية الشريفة التى تجعله موقنا بأن الحفاظ على البيئة وحمايتها واجب دينى مقدس .

٢) إن القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة كلاهما أوضحا أهتماما بالغا بالبيئة وصونها والخفاظ عليها من خلال الأوامر والنواهى التى تحفظ البيئة من أنانية الإنسان واستغلاله السيء لها .

٣) إن الأزمة البيئية الراهنة دالة على ضعف الإنسان المعاصر وعدم التزامه بمنهج الله مما يدل أنها فى الأساس " أزمة روحانية وأخلاقية " .

الباب الرابع

الإسلام المشروع الحضاري البديل لمواجهة أزمة البيئة المعاصرة

- **الفصل السابع :حماية البيئة فى الإسلام فريضة شرعية**
- **الفصل الثامن : تجديد الفقه الدينى ضرورة دينية وعصرية**

الباب الرابع

الإسلام المشروع الحضاري البديل لمواجهة أزمة البيئة المعاصرة

الفصل السابع

حماية البيئة فى الإسلام فريضة شرعية

أولا :الإسلام في مواجهة مشكلة العصر:

١) التلوث

لعلني قد أشرت في ثنايا هذا البحث إلى نعم الله سبحانه وتعالى على الإنسان بتكريمه له وجعله خليفته في الأرض وتسخير الله كل ما في هذا الكون ليستغله ويستفيد منه في تحقيق خلافته وفي العمل على ضمان حياة أخروية سعيدة ، وقد تناولت آيات القرآن الكريم شرحاً مفصلاً لمخلوقات الله الكثيرة والعظيمة التي سخرها لخدمة الإنسان وتكفلت سنة الرسول ﷺ شرح وتفصيل الكثير من هذه النعم ، ونبه القرآن الكريم والرسول ﷺ على أن هذا الاستغلال الإنساني لمصادر الطبيعة ومكوناتها قد يتحول الى تدمير لهذه المصادر وإفساد لها إن لم يراع الإنسان فيها أوامر الله ونواهيه وذلك حين تتحكم فيه الغرائز والشهوات ويضعف الإيمان في قلبه وتهتز المعايير الأخلاقية والإنسانية التي أمر الإنسان بمراعاتها : " ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ"(الروم:٤١) ولقد تنبأت الملائكة بإمكانية إفساد الإنسان حين قالت " وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ "(البقرة:٣٠) ولكن إرادة الله سبحانه وتعالى اقتضت ذلك لحكمة يعلمها حيث قال تعالى " إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ "(البقرة:٣٠) .

لقد بدأ الإنسان في استغلال المصادر الطبيعية منذ بدء الخليقة وحاول أن يسخرها لمعيشته بدرجات تتناسب وطبيعة الظروف التي عاش فيها ، وتوسعت طموحاته في اكتشاف هذا الكون براً وبحراً وجواً بمرور الزمن وبتقدم العلم لديه حتى وصلنا إلى عالم اليوم الذي استطاع فيه الإنسان استغلال كل شيء في أعماق البحار أو في مجاهل الفضاء أو في باطن الأرض ، ووصلنا إلى هذه الحالة والإنسان قد تحرر كثيراً من سيطرة النزعة الإنسانية واستسلم لنوازعه الفردية ، وتحرر من قيود الضوابط الأخلاقية وتحول إلى عبد للشهوات والمصالح الإنسانية ، وتحرر من كثير من الالتزام بالتوجيهات الإلهية في تمرد واضح على الرسالات وتوجيهاتها وأصبح عبداً للمذاهب المادية والإلحادية ، وظهر

أثر ذلك واضحاً في مظاهر البيئة ومكوناتها مما جعل العالم المعاصر يواجه مشكلات التلوث التي تهدد مستقبل الحياة البشرية بأسرها .

لقد عرف التلوث بتعريفات كثيرة تشير معظمها إلى انه التغير الذي يحدثه الإنسان في المكونات البيئية فيحولها من مكونات مفيدة إلى أخرى ضارة مما يفقدها خاصيتها الطبيعية ويحرم الإنسان من الاستمتاع بها ويجعلها تهدد وجوده ، ويحدث ذلك في الماء والهواء والتربة والنبات وفي أعماق البحار وفي طبقات الجو العليا .....الخ ، ولقد تكفلت كتب وأبحاث كثيرة تناولت أنواع التلوث ونتائجه وأقيمت مؤتمرات محلية ودولية لمعالجة آثاره بل وتكونت جمعيات ومنظمات دولية لمحاربته وتحذير البشرية من خطورته .

ولعل سعة البحث في هذه المشكلة وشدة تعقيداتها وضخامة ما كتب حولها ، وكثرة المهتمين بها وتوزعهم في كل مكان من العالم ، يجعلني أقفز فوق كل ذلك لأبين أن التلوث نتج عن سببين رئيسيين كما أتصور :

الأول : الأنانية الفردية للإنسان وجهله بما ينتج عن تصرفاته ، وهذه ربما تكون مضارها أقل خطورة من السبب الثاني ، فالإنسان في سبيل تحقيق معاشه اليومي اضطر أحيانا إلى قطع الأشجار وحرقها ، والى صيد الحيوانات والاستمتاع بها ، والى استغلال مصادر المياه سقاية ونظافة له ولحيواناته إلى غير ذلك من الأعمال التي كانت سبباً في إهدار الكثير من الموارد الطبيعية ولكنه كان جزئياً وبسيطاً لم يصل إلى مستوى التلوث الحقيقي الذي أحدثته مجتمعات بكاملها في عصور متأخرة.

الثاني : ظهور النزعات التسلطية لدى بعض المجتمعات البشرية مما أدى بها إلى غزو مجتمعات أخرى بحروب مدمرة نتج عنها الكثير من الملوثات البيئية سواء كان بتدمير موارد بيئية أو استغلالها استغلالاً سيئاً ولعلي هنا سأركز على ظاهرة الحروب في تاريخ البشرية وما نتج عنها من مضار بيئية كان الإنسان فيها متحرراً من إنسانيته ومنفلتاً من كل القيود الدينية والأخلاقية فأضر بالبيئة والكون وما عليه من إنسان وحيوان ونبات ومن ذلك الأمثلة التالية :

١- في مواجهة الانجليز مع روسيا استخدموا طريقة إلقاء الجثث في الآبار لتتلوث وتتحول إلى مصادر فناء للجيش المضاد .
٢- استخدم الفرنسيون في احتلالهم لأمريكا الشمالية وكندا وسيلة توزيع الأغطية الملوثة بداء الجدري لإفناء الهنود الجمر .
٣- استخدم الألمان نشر حمى الكربون في الحرب العالمية الأولى في قطعان الماشية في الأرجنتين لتحويلها إلى مصادر لنشر داء الجمرة الخبيثة في الأعداء .

٤- ألقت القاذفات البريطانية سنة ١٩٤٣مسيحي ٢٤١٧ طناً من القنابل المحرقة على مدينة هامبرغ بألمانيا مما سبب في حرائق غطت مساحات شاسعة وأدت إلى ارتفاع الحرارة إلى ١٤٥٠ درجة فهرنهايت .

٥- ألقت القاذفات الأمريكية قنابلها النووية على هيروشيما وناجازاكي فخلفت دماراً بشرياً وبيئياً لازالت آثاره حتى الآن .

٦- العدوان الإسرائيلي المستمر على الشعب الفلسطيني أدى إلى دمار بيئي لا مثيل له حيث يعمل الصهاينة ليل نهار على تلويث مصادر المياه وحقنها بأمراض فيروسية ذات أثر كبير في نمو الأجيال القادمة .

٧- ما شهدته الساحتين العراقية والأفغانية من تدمير بشري وبيئي كبير في الحروب التي مارستها ولا تزال الولايات المتحدة الأمريكية وحلفاؤها والتي أدت إلى قطع ملايين الأشجار مما أدى إلى تدمير ثروة النخيل العراقية وتلويث مياه الأنهار وقذف البشر باليورانيوم المخصب والذي سيصيب الأجيال القادمة بتشوهات يصعب تصورها.إن هذه الأمثلة وغيرها من الأمثلة الكثيرة التي تعمدت عدم الخوض في تفصيلاتها خشية الإطالة إنما تدل على وجود انحراف في مسيرة البشرية أدى إلى طغيان وفساد كبير مارسته كثير من المجتمعات البشرية بحجج مختلفة أدت بها إلى التخلي عن إنسانيتها وأخلاقياتها في مقابل إرضاء النزعات السلطوية وتحقيق المصالح الاقتصادية من اجل سلب خيرات الشعوب والاعتداء على ثرواتها .

وهنا يجب أن نذكر أن عظمة مبادئ الإسلام ، التي استطاعت أن تضبط سلوك المسلمين حتى في حالة الحرب التي مارسها المسلمون لأسباب تتعلق بالمحافظة على الإنسان والدفاع عن دينه وقيمه وحضارته ، فها هو ابوبكر الصديق ﷺ يوجه جنده إلى أخلاقيات الحرب وهو يجهزهم الى مواجهة عدوهم في إحدى المعارك فيقول :" يأيها الناس قفوا أوصيكم بعشر فاحفظوها عني : لا تخونوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا طفلاً صغيراً ولا شيخاً كبيراً ولا امرأة ولا تعقروا نخلاً ولا تحرقوه ، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيراً إلا لمأكلة وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له "[1] هذه هي أخلاق الإسلام في الحرب نهى عن الإفساد في الأرض تطبيقاً لقوله تعالى : " وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (القصص:٧٧) .

أما في حالة السلم فلا ضرر ولا ضرار ، والضرر يزال ، والنهي عن الإيذاء للغير وإتباع الهوى ، والنهي عن الغلو والإسراف في استعمال الماء والنهي عن تلويثه ، والنهي عن إيذاء الحيوان إلا

[1] محمد بن جرير / تاريخ الطبري / تحقيق محمد أبو الفضل / ط٢ ج٢/ دار المعارف / ص ٢٢٦-٢٢٧.

لمنفعة أحلها الله ، والنظافة مظهر يتجلى في كل يوم خمس مرات جسداً وثوباً ومسكناً وشارعاً ، وقد قدمت الدلائل الكثيرة من النصوص قرآناً وسنة ما يؤكد ذلك ، ومن هذا المنطلق فإني أقول باعتزاز إن الإسلام هو الرسالة التي تصلح أن تكون دواء لأمراض العصر المختلفة وفي مقدمتها المشكلات البيئية ، فمتى ما عرف العالم هذه المعالجات القرآنية استطاع أن يتعرف على حقيقة الإسلام وصلاحيته للحياة البشرية ديناً يخلصها من جميع أمراضها ومشكلاتها.

إن العالم المعاصر وهو يواجه خطر التلوث البيئي والتدمير المتعمد المعاصر للمصادر الطبيعية قد اتجه إلى سن القوانين والمعاهدات الإقليمية والدولية التي تجرم وتحرم الإضرار بالبيئة في شتى مكوناتها وتدعوا الدول إلى التكاتف من اجل حماية البيئة والموارد الطبيعية ، ولكن ذلك غير مفيد في كثير من الأحيان نظراً لاصطدامه بمصالح الدول والأفراد التي لا تقيم وزناً لهذه المعاهدات إما بتجاهلها أو الانسحاب منها كما فعلت أمريكا بمعاهدة كيوتو ، وهذا الأمر أدى إلى تفاقم وأخطار التلوث وتدمير المصادر الطبيعية ، وكذلك فعلت كثير من الدول الغربية وامتنعت بعضها عن التوقيع على تلك الاتفاقات الدولية ، الأمر الذى يؤكد أهمية وخطورة العامل الدينى الذى يضبط سلوك الإنسان نحو بيئته .

٢) اهتمام المسلمين بالبيئة منذ القدم

- الجاحظ (ت ٢٥٥هـ): أثبت في كتابه "الحيوان" التأقلم الحيواني بالبيئة، وأشار إلى نظرية المكافحة الحيوية باستعمال بعض الحيوانات في القضاء على بعض.
- زكريا بن محمد القزويني (ت ٦٨٢هـ): لاحظ في كتابيه "عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات" و"آثار البلاد وأخبار العباد" تأثير البيئة على الحيوان ودرس العلاقات بين الحيوانات، وأثبت فكرة المشاركة والتكافل بينها، هذه الفكرة دعمها:
- محمد بن موسى الدميري (ت ٨٠٨ هـ): في كتابه "حياة الحيوان".
- مسلمة بن أحمد المجريطي (ت ٣٩٨ هـ): أول من استعمل كلمة البيئة بالمعنى الاصطلاحي وأثبت تأثيرها في الأحياء في كتابه: "في الطبيعيات وتأثير النشأة والبيئة على الكائنات الحية".
- أبوحنيفة الدينوري (ت ٢٨٢هـ): صنف النباتات في كتابه "النبات" وشرح علاقاتها ببيئتها.
- عبد الله بن أحمد بن البيطار (ت ٦٤٦ هـ): درس في كتابه " الجامع لمفردات الأدوية والأغذية" النباتات في مختلف البلاد ووصفها بما يهيئ لتصنيفها بدقة.
- ناهيك عن اهتمام الفقهاء بالتلوث البيئي والأبنية الفوضوية، والأدخنة والفضلات، والمياه القذرة...

٣) حماية بيئة الإنسان في التراث العلمي العربي الإسلامي

لامراء في أن سلامة الإنسان تعد جزءاً مهماً من حماية البيئة الطبيعية . ولقد يكون معلوماً أن عناية الإسلام بسلامة الإنسان وحماية بيئته بدأت منذ عهد الرسول "صلى الله عليه وسلم "واستمر اهتمام الدولة الإسلامية بعد ذلك بها طيلة فترة ازدهار الحضارة العربية الإسلامية وما تلاها من عصور أيضاً. إذ كانت تعنى عناية خاصة بإجراءات السلامة العامة وحفظ العمال من إصابات العمل من خلال أعمال المحتسب ومراقباته اليومية لأحوال السوق. فقد أوكلت إليه مهمة تفقد شؤون الأسواق والمحلات ومراقبة أصحاب التجارة والصناعة ؛ والعاملين فيها ، وكذا الإعتناء بسلامة الناس من الزبائن والمتعاطين لتلك الأعمال. ولاشك أن وظيفة المحتسب في الحضارة العربية الإسلامية قد أوجدت لأول مرة ولم يكن لها شبيه إطلاقاً في الحضارات العالمية السابقة . وفوق هذا فقد أوكلت إليه مهام واسعة شملت كل مناحي الحياة اليومية مهما صغرت أو كبرت واعتمدت الدولة في ذلك على ثقتها بكفاءة المحتسب وتقواه وأمانته وحزمه وسعة إطلاعه على كل شاردة وواردة في حياة الناس.

هذا ويزخر التراث العلمي العربي الإسلامي بتعاليم وضوابط تثير الدهشة والإعجاب والإحترام بعمق مدلولاتها وتفاصيلها الدقيقة وآثارها الإيجابية الطيبة المنسحبة على حياة الناس عموماً . إذ لم تترك تلك القواعد الفقهية صغيرة ولا كبيرة في مجال السلامة العامة للناس إلا وضبطتها ضبطاً حكيماً ، ثم قام الأسلاف بتطبيق تلك الإجراءات تطبيقاً رشيداً مع تقدم العلوم وتنوع الحرف وتباين المهن الصناعية والتجارية والزراعية وازدهارها في أصقاع الحضارة العربية الإسلامية . ولاشك أن الشريعة الإسلامية ضمنت حقوق السكان المجاورين لأماكن الحرف والصناعات وفرضت على أصحابها واجبات وألزمتهم بتطبيق إجراءات السلامة أثناء العمل وخلال اليوم كله حفظاً للمجتمع وأفراده من الأضرار والأذيات والمشاكل التي هم في غنىً عنها.

التوقي من الحرائق :فقد بدأ تنبيه المسلمين على الوقاية من الحريق واتخاذ الإجراءات اللازمة لمكافحة النيران منذ زمن الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم ، ثم سار المسلمون فيما بعد على نهجه القويم وتطبيق سنته الشريفة المطهرة . وفيما يلي شذرات مضيئة من سنته الشريفة وما سُجل بعد ذلك من أعمال وردت في التراث العلمي في هذا المجال:

- إذ ورد أن بيتاً في المدينة المنورة احترق على أهله في الليل فقال الرسول صلى الله عليه وسلم لأصحابه معلماً:" أن هذه النار عدو لكم فإذا نمتم فأطفئوها. "

- وكذلك منع الخبازين والحدادين من ممارسة أعمالهم في الليل وقبل طلوع الفجر .وطلب من الحدادين اتخاذ حاجز بين دكاكينهم وبين الشارع كيلا يتطاير الشرر من النار إليه لما في مهنتهم وحرفتهم وأنشطتهم اليومية المختلفة من مواد قابلة للإشتعال.
- وكذلك منع الرسول صلى الله عليه وسلم الفرانين والزجّاجين من وضع الأحطاب على مقربة من النار حتى لا تنتشر من الهشيم ويتطاير الشرر إلى المكان كله..
- ولقد جرى تخطيط المدينة الإسلامية تخطيطاً سليماً بحيث تم ترتيب مواقع الحرف في السوق بما يشبه المناطق الصناعية اليوم. فقد وضعت الفعاليات الصناعية التي تستخدم مواقد النار في منطقة بعيدة ومغايرة لمناطق الحرف الصناعية التي تستخدم مواد قابلة للإشتعال والمهن اليدوية التي تتطلب مواد سهلة الإحتراق بسرعة ، مثل مهن الصوف والقطن والقماش والألبسة وغيرها. ومن هذا القبيل فقد هدم الخليفة الراشد عمر ابن الخطاب رضي الله عنه كير حداد كان يقع في وسط الطريق وبين فعاليات السوق.

فرق الإطفاء :لقد ورد في التراث العلمي الإسلامي أن صاحب الشرطة ونوابه ومساعديه كانوا مسؤولين عن إعداد فرق إطفاء مجهزة بالوسائل اللازمة لإطفاء النار ، كما سُجل ذلك في التراث العلمي وما اتخذ من إجراءات في مدن كثيرة في أصقاع الحضارة العربية الإسلامية مثل القاهرة وبغداد ودمشق وغيرها من مدن ازدهرت زمن إشعاع الحضارة الإسلامية . فقد كان يتم توفير الماء اللازم لإطفاء الحرائق فوق أسطحة المنازل أو في حياض مخصصة لهذا الغرض في دروب وطرقات بغداد. ومن أجل هذه الغاية نفسها كان السقاؤون يؤمرون بالمبيت على أبواب مخافر الشرطة استعداداً لأي طارىء ولتنفيذ مهامهم بالسرعة القصوى. وكذلك كان يؤمر أصحاب الحوانيت باتخاذ زير مملوء دائماً بالماء من أجل الغرض نفسه وعند الحاجة والضرورة.وهكذا يتبين أن إطفاء الحرائق في الأسواق والبيوت والمدارس والمساجد ودور الصناعة كانت من مهام صاحب الشرطة ومن واجبات مساعديه، إضافة إلى مهمته في القبض على مدبري الحرائق المفتعلة وهدم البيوت المحترقة. وكان يستعين أيضاً بالسقائين والحمالين والنجارين وعمال الحفر والهدم.

التهوية وسلامة الهواء وأثرها في صحة الناس :كان من واجبات المحتسب في الحضارة العربية الإسلامية أن يأمر القائمين على أمور الحمامات العامة في المدن أن تُبخر مرتين في اليوم ، وأن تُطرد مياه الغسيل إلى الخارج وتُنظف الحمام جيداً ، ويُمنع أصحابها من استخدامها لمهن تسبب الضرر للناس سواء بالرائحة أو بالزيوت أو الشحوم أو من أجل دباغة الجلود . وكذلك فقد كان يراعى في تصميم الشوارع والطرقات وتخطيط الأسواق ألا يسد الهواء فيها بناء خارج عن صف الأبنية كالفواصل والأجنحة والشرفات المنخفضة . كما كان يُراعى ألا يضيق الشارع والطريق شجر ملتف

كثيف ، لأن الشوارع والطرقات مشتركة بين الناس ، ولايجوز تضييقها وإلقاء الزبالة والنفايات على جوانبها. وكذلك كانت تُعزل الصناعات والحرف التي تنفث الدخان عن فعاليات السوق والمحلات والمتاجر لئلا يضر الدخان بأصحاب المحلات والزبائن والمرتادين لتلك الأسواق . ويؤمر أصحاب التنانير والأفران والحمامات والحدادون أن يُجنبوا منشآتهم المناطق السكنية. ولاشك أن هذه الإجراءات قد اتخذت بصرامة كيلا تضر بصحة الناس ولاتسبب تلوث الهواء وإفساد البيئة. وكذلك كان يُلزم الخبازون بوضع مداخن واسعة لتصريف الدخان وكنس بيت النار بعد كل استعمال لأن ذلك يخفف حتماً من أضرار الدخان على صحة الناس وإبقاء هواء المدينة نظيفاً خالياً من كل أشكال التلوث.وكذلك كان يُلزم المشتغلون بصناعات استخلاص المعادن الثمينة كالذهب والفضة وكذا المعادن الخسيسة كالحديد والرصاص والنحاس بعمل جدار يحجز مابين النفّاخين وبخار التنور الذي يعملون عليه وذلك بوضع كمامات على أنوفهم. وكذلك روعيت سلامة الغواصين الذين يقومون باستخراج الجواهر الثمينة من قيعان البحار كاللؤلؤ والمرجان والأصداف وغيرها. إذ صممت من أجل هذا الغرض أجهزة شبيهة بالأجهزة الحالية المخصصة للتنفس الإصطناعي. ففي كتاب الحيل لبني موسى بن شاكر صممت ملاقط كبيرة موصوفة بالتفصيل في هذا الكتاب. فهذه الأجهزة تخفف كثيراً من مخاطر الغوص العميق في أعماق البحار. وكذلك استخدم بعض الغواصين أداة تفيد في التنفس الإصطناعي وتزيد فترة حبس التنفس وتطيل فترة الغوص من الضحى إلى العصر لمن يشاء . وهي موصوفة عند البيروني)ت ١٠٠٤٨)م ولم تكن معروفة قبله .

استخلاص المعادن وحفر الآبار : لقد ألزم العمال الذين يعملون في استخلاص المعادن وحفر الآبار بمراعاة السلامة العامة وألا يخاطروا بحياتهم . وكانوا يستدلون على وجود الغازات الخانقة في تلك الأماكن بإشعال فتيل سراج فيه دهن حيواني .فإذا انطفأت فتيلة السراج دل ذلك على نقص الأوكسجين في المغارة أو النفق أو المنجم أو البئر. وذكر ابن عبد ربه (ت٩٤٠)م فكرة صحيحة تماماً تدل على فهمه الصائب لدور الأوكسجين في حياة الناس وأنه سبب الحياة. إذ قال: " أنه يعيش الإنسان حيث تعيش النار ". وقد وصف بنو موسى بن شاكر (٨١٥-٨٧٤)م آلة التنفس الإصطناعي واستحسنوا أن يستخدم العمال هذه الآلة في الآبار تفادياً للإختناق والهلاك في الجباب العميقة والأنفاق الخطرة . وكل ذلك ورد في الكتب التي تتحدث عن استخلاص الجواهر والأحجار الثمينة وطرق تعدينها بأساليب مختلفة تقي العمال من أخطار العمل خلال حصولهم على هذه الجواهر والأحجار الكريمة وتبقي صحتهم بعيدة عن الأذى وتحفظ لهم السلامة والأمان.

سلامة المباني :لقد فصلت كتب الحسبة والمقاييس والمواصفات كل ما يتعلق بالشروط الواجب مراعاتها عند بناء البيوت الجديدة في المدن الإسلامية كيلا تسقط وتتهاوى، لأنها مأوى الأنفس

والمهج والأبدان فيجب تحصينها وبناؤها بناءً سليماً. ووُضعت شروط واضحة لتنفيذها في كل ما يحتاجه البناء من المواد والعُدد وأصول المهنة. وقد ألزمت تلك القواعد والمواصفات أصحاب المباني بتحقيقها ، وجعلتهم مسؤولين جزائياً عن أي تجاوز أو خرق لتلك الشروط والمواصفات.

وقد كتب ابن سينا في موسوعته " القانون "فصلاً عن تهوية البيوت ودرجة الحرارة اللازمة وكمية الإشعاع الشمسي في المساكن ووصف حال ساكنيها من الناحية الصحية وسبب اختلاف نوعية الجو والهواء فيها ، وأكد على وجوب التدقيق في الشروط الواجب توفرها في المساكن والبيوت كي تجعلها صالحة لسكنى الناس أو غير صالحة على الإطلاق عند الإخلال ببعض هذه المواصفات.

الترتيب والنظافة في الأسواق والشوارع : لقد كان من مهام المحتسب أيضاً أن يراعي سلامة الناس في الأسواق والشوارع ، وأن يتفقد أحوال النظافة ويمنع انبعاث الروائح الكريهة ويأمر بإزالة النفايات . وقد وردت في كتب الحسبة قواعد وإرشادات بهذا الخصوص نجملها فيما يلي:

- إزالة الأجزاء الزائدة من البيوت والمنازل على السكة النافذة ووضع حد أدنى لعرض الشارع وهو/ ٧ / أذرع. أي حوالي(٣,٥)م. وكذلك إضاءة كثير من الشوارع والطرقات والأزقة في المدن الإسلامية بالقناديل المسرجة بالفتيل والدهن أو الزيت.
- منع أصحاب البيوت وأرباب الصناعات والمتاجر من تلويث الشارع بالنفايات والقمامة والزبالة ، أو قذف مياه المجاري إلى الشارع . حتى أن المحتسب كان يأمر أصحاب البيوت والمتاجر أن يجعلوا ميازيب الأمطار عبارة عن مسيل محفور في الحائط ومكلس ليجري الماء فيه من الأسطحة عوضاً عن أن ينزل إلى الشارع فوق رؤوس المارين من الناس والدواب ، وكل من كان في داره مخرج للمياه الملوثة وما تحمله من فضلات كان يُكلف بسده في الصيف وأن يحفر له حفرة خلف داره أو داخلها ليجتمع إليها الماء الملوث وما فيه من نفايات ، وكذا الماء الزائد عن حاجة أهل البيت أو المتجر أو المصنع.
- وكذلك فقد بُلطت كثير من الشوارع والطرقات في المدن الإسلامية وعملت لها الأرصفة في بعض الأحيان . وفي بعض المدن التي تسقط فيها الأمطار بغزارة رصفت الشوارع من أجل تجنب الأوحال مثل مدينة صنعاء التي اشتملت شوارعها على مجاري لتصريف مياه الأمطار ، كما منعت مسببات الإنزلاق في الشوارع والطرقات كالطين وقشور الفواكه وبقايا الخضروات.

كما أوجب المحتسب على أصحاب المتاجر وأهل الصناعات والحوانيت لف البضائع ذات الأطراف الحادة والمدببة كالحطب والأشواك والرماح والقضبان الحديدية عند نقلها من مكان لآخر حتى لاتجرح الناس بها ولاتؤذي المارة ولاتخدشهم ولا تعلق بثيابهم.

- إلزام أهل السوق وأصحاب الحوانيت والمتاجر بتنظيف الأرصفة أمام محلاتهم ومنع الدواب من الدخول إلى السوق المخصصة للمشاة فقط.
- الإحتياط في نقل الأشياء الملوثة كالسمك واللحم والقاذورات والسماد البلدي والزبالة وذلك بوضعها في أوعية محكمة الإغلاق. وكذلك فقد أُمر الحمالون بتعليق جرس على دوابهم عند نقل القمامة من مكان لآخر من أجل تنبيه الناس إلى مرور الدواب المحملة بهذه النفايات كي لايتأذوا منها.

أعمال رجال الدولة الإسلامية في مجال صحة البيئة ومكافحة التلوث :من المعلوم أن من وصايا الرسول الكريمصلى الله عليه وسلم الحث على نظافة البيوت والأسواق وكل مرافق المجتمع من أجل حفظ الصحة العامة للناس وأوصى بتطبيق مبدأ الحجر الصحي وحصر الوباء العام في منطقة واحدة وعدم انتشاره إلى المناطق الأخرى من خلال أحاديث نبوية معروفة ومشهورة في الطب النبوي.

وكما ذكرنا أعلاه من أن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه أمر بهدم كير حداد كان قد بني وسط الطريق من أجل حماية أهل السوق من أضرار الدخان وروائحه الكريهة ومن احتمالات خطر الحريق.

وفي عهد الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك تم عزل المصابين بالأوبئة الخطرة في مصحات خاصة أعدت لهذا الغرض وأجريت عليهم الأرزاق والمعاشات.

مساهمات العلماء العرب المسلمين ومؤلفاتهم :لقد ظهرت في بدايات النهضة العلمية عند العرب المسلمين كتب ومؤلفات تهتم بمكافحة التلوث وحفظ الصحة العامة وحماية بيئة المجتمع مثل مقالتين للكندي ألفهما عام (٨٧٠)م بعنوان " رسالة في الأبخرة المصلحة للجو من الوباء " والثانية " رسالة في الأدوية المشفية من الروائحالمؤذية."

وكذلك فقد ساهمت كتب الحسبة على مر العصور المتوالية في المحافظة على صحة الناس وحماية البيئة من التلوث من خلال ذكر إجراءات لابد من القيام بها في هذا المجال مثل:

- التركيز على نظافة المنتوجات كافة وخاصة المأكولات الطازجة والأطعمة المطبوخة والصناعات الغذائية واللبنية والتأكيد على نظافة العمال الذين يعملون في كل صناعة من هذه الصناعات.
- الحرص على سلامة الأبنية والأسواق وتأمين التهوية الجيدة فيها.
- تنقية المياه لجعلها صالحة للشرب والإستخدام اليومي من قبل الناس وغسيل أرضية الحمامات مرتين في اليوم من اجل النظافة والطهارة.

- الوقاية الطبية من التلوث وتطهير الجو من عوامل انتقال العدوى ومسببات الأمراض والأوبئة والجائحات المهلكة.
- استخدام وسائل كثيرة تحمي العمال من الإصابات بحوادث العمل وتفادي الأضرار الناشئة عن الإهمال غير المبرر وغير المسؤول.
- التنبيه على حظر تحميل الحمالين أشياء وأحمال فوق طاقتهم وأكثر من احتمالهم الجسدي وعدم تحميل المراكب أكثر من حمولتها حتى لاتتعرض لاحتمالات الغرق وموت الركاب ، وكذلك تجنب إحداث تفاعلات كيماوية خطرة وضارة بصحة الناس.
- التنبيه على أن يلبس حفارو الآبار وعمال المناجم أقمصة جلدية تغطي أجسامهم حتى الرأس لتوقي المياه الباردة التي قد تقتل الحفار وتصيبه بأذيات بالغة.
- استعمال اللبود المبللة بالماء في الأماكن الحارة مثل المغارات الناشئة عن انفجارات الجبال البركانية والتي يستخرج منها النشادر كما في آسيا الوسطى.
- استخدام حبال معينة مخصصة لحماية الغواصين في البحر وطرد الأسماك الخطرة والحيوانات المؤذية والمرعبة تحت الماء.
- مراعاة السلامة في كل المصنوعات التي يستعملها الناس لئلا تؤدي رداءتها إلى الإصابة بأمراض مختلفة أو حصول حوادث خطرة قد تؤدي إلى مآسٍ مؤسفة ، مثل إتقان صنع السلالم من الخشب القوي والمسامير الصلبة المتينة لئلا تنكسر.

وهكذا يلاحظ أن الأسلاف ماتركوا مجالاً من مجالات السلامة الصناعية إلا وأسهموا فيها بنصيب وافر من العقلانية الرشيدة والقواعد الضابطة مع الحزم في تنفيذها وتطبيق إجراءاتها تطبيقاً صارماً. فهم عرفوا التوقي من الحرائق بأساليب متعددة ، وفهموا أهمية التهوية وأجهزة التنفس الصناعي واستخدام الحيل المتنوعة في التعدين واستخراج الجواهر وراعوا السلامة في المباني بوضع مواصفات معينة لقوة تحمل الجدران ومقاييس محددة لسمك الجدران في البيوت والمنازل وجودة البناء وابتكروا أجهزة الوقاية الشخصية في الأعمال الشاقة ودونوا الإشارات المتباينة من أجل سلامة العمال في مختلف الصناعات . وراعوا الترتيب والنظافة والتهوية في المحلات والمتاجر في الأسواق من أجل صحة العاملين فيها والمرتادين لها وكذا في البيوت والمنازل لكي تكون الصحة العامة لساكنيها على أحسن مايرام ، واهتموا بصحة البيئة ومكافحة التلوث الذي يحصل نتيجة الروائح الكريهة كالعرق والبول والنفايات ورائحة البصل والثوم وكل هذه الأمور كانت من مهام المحتسب وواجبات مساعديه ونوابه.

ومما يجدر ذكره أن تلك الإجراءات والوسائل من تقنيات وأجهزة قد استحدثت إبان ازدهار الحضارة العربية الإسلامية وخلال عصورها الزاهرة واستخدمت استخداماً عملياً نافعاً ، ولم يكن لغيرهم فضل السبق أو الريادة أو الإبداع والإبتكار.

التلوث بالضوضاء والأصوات العالية :لقد نهى الإسلام من خلال آيات القرآن الكريم وأحاديث النبي الكريم صلى الله عليه وسلم وأفعاله عن رفع الأصوات وإحداث الجلبة والضوضاء وأمر بالهدوء والسكينة حيثما وجد الإنسان في الأماكن العامة والمناطق السكنية وفي الطرقات وحتى داخل المساجد ولو كانت أثناء تلاوة القرآن الكريم مثل:" ولاتجهر بصلاتك ولاتخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا " الفرقان آية ١١٠. وكذلك:" ياأيها الذين آمنوا لاترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولاتجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لاتشعرون "الحجرات آية ٢. وكذلك :" واقصد في مشيك واغضض من صوتك إن أنكر اتلأصوات لصوت الحمير" لقمان آية ١٩.وأما الأحاديث النبوية الشريفة فقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الضوضاء حتى عند الإستعجال إلى الصلاة . إذ قال ":إن الله يبغض كل جعظري صخاب في الأسواق ." والصخاب كثرة الجلبة والضوضاء. وكذلك عندما حج النبي صلى الله عليه وسلم حجة الوداع في يوم عرفة إذ قال ابن عباس رضي الله عنهما:" أنه دفع مع النبي صلى الله عليه وسلم فسمع من ورائه زجراً شديداً وضرباً وصوتاً للإبل فأشار بسوطه إليهم وقال ": ياأيها الناس عليكم بالسكينة فإن البر ليس بالإيضاع " والإيضاع هو الجلبة والضجيج. وقد عد الفقهاء الضوضاء من الأضرار التي تلوث البيئة وتفسد صفاء العبادات كلها والخشوع فيها وتشوه رونقها ونقاءها حتى يحيا الإنسان في تلك البيئة بسلام وراحة وهدوء.

حماية الإنسان من عوامل التلوث الأخرى : يزخر التراث العربي الإسلامي بشواهد شتى وأمثلة جمة عن حماية بيئة الإنسان. وقد أدرك العلماء المخاطر المحتملة للأدوية ولمسوا آثارها الجانبية . فهذا أبو بكر الرازي في القرن التاسع الميلادي يذكر في كتابه الحاوي ":إذا قدرت أن تعالج بالأغذية فلا تعالج بالأدوية وإذا قدرت أن تعالجبدواء مفرد فلا تعالج بدواء مركب."

وكذلك فقد سارع الخلفاء العباسيون إلى تنظيم مهنة الطب والصيدلة ولم يسمحوا بمزاولتها إلا لمن حصل على ترخيص خاص بذلك . ولايحصل هذا الترخيص إلا لمن أدى امتحاناً عسيراً شاقاً في مختلف الإختصاصات الطبية أمام لجنة الحسبة التي تشكلها الدولة . ويعد هذا أول تنظيم رسمي لممارسة مهنة الطب والصيدلة في العالم .وكذلك كان موقف التعاليم الإسلامية واضحاً تماماً في موضوع تلوث الأغذية بما سنته من قواعد عامة للنظافة وعدم الإفساد ومنع الغش. وكلها تهدف إلى منع التلوث الغذائي وحماية صحة الإنسان وسلامة المجتمع.

وكذلك فقد شدد الإسلام على قضية إهلاك الحرث والنسل كما ذكر ذلك عن الأخنس بن شريق الذي خرج عن الإسلام ومر على زرع فأحرقه ورأى حُمُراً فعقرها فنزل على إثر ذلك آيات بينات في القرآن الكريم يتلى إلى يوم القيامة وصفه الله تعالى بأنه من ألد الخصام لما قام به من إفساد وإضرار بممتلكات الناس. وكذلك ما ذكر من تقاليد عربية فيما يتعلق بالصيد الجائر وترشيد عمليات صيد الحيوانات والطيور البرية يعد في الإسلام من الأمور المهلكة للنسل أيضا.ً وكذلك حض الإسلام على النظافة والإهتمام بالتخلص من النفايات والفضلات والأقذار كما في الحديث الشريف ":نظفوا أفنيتكم. "وفي هذا الصدد حرص المهندسون المعماريون المسلمون على مراعاة العوامل التي تضمن نظافة البيئة في المساكن والمساجد والأسواق وغيرها من المباني العامة . فاهتموا في تصميمها بتأمين التهوية وإحداث أبراج للتهوية وهي ما تسمى في دول الخليج العربي بالملاقف وفي العراق بالبراجيل وفي بلاد الشام بالبادنجك.، وتأمين دخول الشمس إليها كما ذكر ذلك في كتاب " القانون " لإبنسينا وتخصيص بالوعة للمرحاض ومكان آخر للغسيل ووضع المطبخ على السطح كما ذكر ذلك " الجاحظ " في كتابه " البخلاء ."وأما الحمامات فقد اعتنى المسلمون بإنشائها والإهتمام بأمورها في الوقت الذي لم يعرف الغرب شيئاً عن الحمامات إلا في أواسط القرن العشرين.

وتتعزز سلامة البيئة المناسبة للإنسان في مسكنه بمنع الأذى الناشىء عن الروائح والضجيج والعلو في البنيان من دون موافقة الجيران ، وتعديل مزاريب المطر على أسطح المنازل حتى لايؤذي الماء الساقط أحداً من المارة أو الجيران.وكذلك فقد تكرر الحث على المعاملة الجيدة للجيران والإحسان إليهم حتى ولو لم يكونوا مسلمين ، والأحاديث النبوية في هذا الصدد كثيرة نحض المسلمين على معاملة الجيران البعيدين والقريبين معاملة حسنة . وهذا بالضبط ماهو مطلوب شرعاً وينسجم حقاً ويتطابق فعلاً مع ما توصلت إليه لجنة إدارة شؤون المجتمع العالمي المعنية على أن ترسم معالم الطريق نحو مطالع القرن الحادي والعشرين ضمن رؤية منفتحة لعالم ينصب فيه الإهتمام على الإنسان ككائن حي له الأولوية بالعناية والإهتمام والرعاية . وتتأكد الحاجة إلى قيم مشتركة ونظام أخلاقي راقي وأسلوب مدني عالمي في جوار متقارب. ويقترح الأساليب التي يمكن للمجتمع العالمي أن يدير شؤونه بنفسه على نحو أفضل في عصر جديد من تاريخ الإنسانية وبناءً على ذلك فقد قامت تلك اللجنة بوضع تقرير عنوانه يعبر عن روحه. وهو أن المجتمع العالمي اليوم يجب أن يتعايش كجيران في عالم واحد.

الفصل الثامن

تجديد الفقه الديني ضرورة دينية وعصرية

(نحو فقه بيئي لحماية البيئة)

الاجتهاد الفقهي في مجال البيئة

أولى فقهاؤنا القدامى البيئة اهتماماً كبيراً ترجم ما أمر به القرآن الكريم في نصوص تشريعية تناولت قضايا متعددة ذات صلة بالأرض واستغلالها والحيوانات وحمايتها وغير ذلك من الأمور التي تحقق كل نفع للإنسان وتمنع عنه كل ضرر، وإذا جاز لنا أن نذكر أمثلة لذلك فإننا نذكر ما صاغه الإمام مالك والإمام أبو حنيفة من مبادئ حول عدم شرعية ممارسة الحق المؤدي إلى ضرر وخاصة فيما يتعلق بملاك الأراضي واستعمالاتهم لها المؤدية إلى الإضرار بالآخرين، وكذلك ما وضعه أبو يوسف من قيود على حقوق الأفراد والسلطات في زراعة الأرض البكر حين تسفر عن ضرر بالغ، ومثل ذلك ما وضعه ابن قدامة من قيود على استخراج المياه الجوفية إذ ليس للإنسان الحق في أن يؤثر على بئر جاره تأثيراً سيئاً عن طريق خفض النطاق المائي أو تلويث الطبقة الصخرية المائية "[1] ،وتحدث الفقهاء بتفصيلات دقيقة عن المياه والطهارة بجميع أنواعها شخصية كانت أو بيئية، كما تحدثوا عن النباتات والزروع وما يتعلق بها من أحكام تحميها من القطع والإفساد، وتحدثوا عن إحياء الأرض الموات وما يؤدي إلى ذلك من حماية للنظام البيئي وتوازنه، وتناولوا أيضاً الكثير من القضايا التي تعالج مسألة التلوث وآثارها الضارة بالإنسان والمجتمع ومن ذلك مثلاً التلوث السمعي الذي عالجه الفقهاء كأحد الأضرار التي يجب أن تدفع عن الإنسان حيث يقول أحد الباحثين في ذلك :" وقد قسم الفقهاء الضرر الناتج عن الأصوات إلى قسمين : ضرر يجب درؤه، وضرر يمكن احتماله ، ومثال القسم الأول: الأصوات والذبذبات الناتجة عن حركة البوابات إذ إنها تؤثر على سلامة المباني المجاورة لها. يروى ابن الرامي (توفي عام ١٧٩ هـ) في كتابه (الإعلان بأحكام البنيان) أن مجموعة من الناس أقاموا بوابة لحارتهم، يفتح بابها على حائط جار لهم، فقاضاهم هذا الرجل بدعوى أن فتح الباب وغلقه المستمرين قد أضرا به وأقلقا راحته، فتحري ابن الرامي الأمر ووجد الحائط يتذبذب من جراء فتح الباب وغلقه فأمر القاضي بهدم البوابة وإزالة بابها. أما القسم الثاني: من الضرر فينتج عن الأصوات التي تسبب الضيق دون الضرر. وقد اختلف الفقهاء في حكمهم عليه . فلم يعتبره الفقهاء الأوائل ضرراً يجب درؤه. فالمطرف وابن الماجيشون والأصبغ رأوا عدم إيقاف الغسال والضراب لمجرد أن ضوضاء

[1] ضياء الدين سيدار / نحو نظرية إسلامية عن البيئة / تركية البطراوي / مج المسلم المعاصر / س ١٥ / ع٥٩ ١٩٩٤ / ص ٨٧ وما بعدها .

عملهما تقلق الجيران، بل ذهب ابن القطان إلى عدم جواز منع أحد من ضرب الحديد في منزله وإن كان يفعله ليل نهار بشرط أن يعتمد معاشه على ذلك، أما من لحقهم من الفقهاء فقد كان لهم رأي مغاير، فاعتبروا الصوت والصدى ضوضاء ومصدراً للضرر يجب درؤه. فقد وضع قضاة طليطلة – حسب رواية ابن الرامي – قواعد صارمة لمنع وجود الكمادين لمايسببون من ضرر وضيق للجيران بما يصدر عنهم من أصوات. كما أعرب القاضي ابن عبد الرافع في تونس عن تفضيله منع بناء حظائر الحيوانات متاخمة للمباني لما تسببه حركة الحيوانات الدائمة أثناء الليل والنهار من إزعاج قد يمنع الجيران من النوم[1] ".

لقد تأسس الاجتهاد الفقهي في مجمله وفي موضوع البيئة بصورة خاصة على جملة من القواعد التي احتواها علم أصول الفقه والذي بين فيه الأصوليون أن أحكام الشريعة إنما جاءت لتحقيق مصالح العباد في الحياة وبعد الممات وذلك انطلاقاً مما قررته آيات القرآن الكريم وبينته سنة الرسول الأمين ﷺ، ويمكن أن نشير هنا إلى قضيتين أساسيتين لهما صلة بموضوع البيئة:

الأول : بين الأصوليون أن الشريعة الإسلامية جاءت لتحقيق الضروريات الخمس: حفظ النفس، حفظ النسل، حفظ المال، حفظ العقل ، حفظ الدين، وتحقيق هذه الضروريات يحدث أثرا مهما في خلق بيئة سليمة تحقق الخلافة التي خلق الله الإنسان لأجلها، فمن اختلت عقيدته لا يستطيع كبح جماح شهواته في الاستئثار بالموارد الطبيعية واستغلالها لصالحه ومنع الآخرين من استغلالها، وكذلك سيكون أداة إفساد في الأرض لعدم وجود الوازع الديني الذي يوقف سيطرته وأنانيته كما هو حاصل في عالمنا المعاصر الذي يمتلئ بالشواهد الحية على ذلك، ومثل ذلك المحافظة على النفس التي حرم الله قتلها وجعله قتل للبشرية كلها فالشريعة الإسلامية تأمر باحترام النفس الإنسانية وتكرمها وتجعل المحافظة عليها قاعدة أساسية في التشريع الإسلامي، على عكس ما نرى في عالمنا المعاصر من استهانة بالنفس حيث تقذف المصانع كل يوم آلاف الأطنان من المواد التي تجلب الكوارث على النفس البشرية في مجالات الزراعة والصناعة وغيرها من المجالات الخدمية المختلفة، ومثل ما قيل في المحافظة على النفس يقال في المحافظة على النسل الذي بينت نصوص كثيرة أن المحافظة على الأجيال القادمة هو محافظة على النوع الإنساني، وأن حق هذه الأجيال في الموارد الطبيعية ثابت لا يحق لأحد العبث به، ولكننا نرى في عالم اليوم أن الآخرين الذين افتقدوا الوازع الديني قد اعتدوا على الأجيال القادمة إما بصب أطنان من القنابل مختلفة الأنواع والأحجام على عدد من بلدان العالم في حروب مدمرة سيكون

[1] محمد عبد القادر الفقهي مكتبة ابن سينا القاهرة /البيئة مشاكلها وقضاياها وحمايتها من التلوث (رؤية إسلامية) / ص ٨٦ .

أحد نتائجها وجود أجيال مشوهة ومصابة بالعديد من الأمراض الفتاكة، وإما بتدمير الموارد الطبيعية واستنزافها بما يحرم الأجيال القادمة منها ويجعلها في أزمات لا مخرج منها .

ويصدق كل ذلك على حفظ العقل الذي أمرت الشريعة الإسلامية بالمحافظة عليه ليحقق للإنسان السعادة بما ينتجه من منافع لصالح البشرية حين يحلق في أجواء العلم والمعرفة بأخلاقيات تبعده عن أن يكون أداة فساد وعبث بمقدرات البشرية ولسنا نعدم شواهد لما تنتجه عقول معاصرة من مخترعات أضرت بالجنس البشري لأنها افتقدت التوجيه الديني السليم، وتتكامل منظومة الضروريات الخمس هذه بالمحافظة على المال الذي جعله الله وسيلة للحياة ينتقل بين الأفراد تنقل انتفاع بما يجعله مشاعا بين مختلف الأجيال، ويشمل المال كل ما خلق الله من موارد سخرها الله للإنسان للانتفاع بها وقد حددت الشريعة الإسلامية كافة الضوابط التي تمكن الإنسان من المحافظة على المال وتسخيره لمصلحة الإنسان .

الثاني : أن كثيراً من الأحكام الفقهية في مجال البيئة خاصة وفي معظم القضايا الحياتية بصورة عامة قد أسست على قاعدة " لاضرر ولاضرار" وهي مأخوذة من نص حديث مشهور عن النبي ﷺ قال عنه أبو داود إنه أحد خمسة أحاديث يدور عليها الفقه، ومعنى الحديث : أن تستعمل حقك بحيث لا تضر بالآخرين، وهو ما يمكن أن ينعكس في أحكام كثيرة تتعلق بالبيئة، وقد تفرعت عن هذه القاعدة قواعد أخرى ذكرها العلماء ومنها :

- الضرر يزال بقدر الإمكان.
- الضرر لا يزال بضرر مثله.
- يتحمل الضرر الأدنى لدفع الضرر الأعلى .
- درء المفاسد أولى من جلب المنافع .
- إذا تعارض مفسدتان روعي أعظمهما ضررا بارتكاب أخفهما[1] .

وهذه القواعد كلها قد أسست عليها أحكام كثيرة في مجالات الحياة المختلفة منعت المسلم من الإساءة إلى الآخرين وقيدت أنانيته في استغلال الموارد وفي التمتع بالخيرات، والمتتبع لهذه القضايا في الفقه الإسلامي يمكن أن يكون منها موسوعة فقهية بيئية تشمل الكثير من المعالجات للقضايا البيئية المعاصرة .

[1]. يوسف القرضاوي / رعاية البيئة في شريعة الإسلام / دار الشروق / ط ٢ / ٢٠٠٦ / ص ٤٠ .

إن الباحث في الموسوعة الفقهية الإسلامية على مختلف مدارسها سوف يجد إسهاماً كبيراً لفقهائنا ينظم العلائق بين الإنسان ومحيطه البيئي بما يتناسب وبساطة البيئة التي عاشها هؤلاء الفقهاء ولذلك فإن بيئة التدوين الفقهي التي لم تشهد معاناة بيئة اليوم من التلوث والفساد البيئي المتنوع الذي خلفته أنانية الإنسان قد شهدت اجتهاداً فقهياً يلبي حاجة تلك البيئة مما يجعلنا نؤكد أن الاجتهاد في مجال البيئة كان سمة بارزة من سمات الثقافة الإسلامية، وأن فقهائنا قد أولوا البيئة اهتمامهم مما انعكس في صورة أحكام تأخذ في اعتبارها حتى الافتراضي الذي يتوقع أن يمارسه الإنسان جراء أنانيته وسيطرة الحياة المادية عليه .

أما إذا نظرنا إلى عالم اليوم وما فيه من تعقيدات الحياة وأثر ذلك في الإضرار بالبيئة فإننا لا نجد ما يلبي حاجتنا من اجتهادات فقهية تحرم أو تحلل الكثير من الممارسات الإنسانية الضارة بالبيئة حتى تلك التي يعتقد أنها لصالح الإنسان ذاته، أي بمعنى أن الاجتهاد المعاصر لم يرق إلى مستوى تطور الحياة وتنوعها وتعقيداتها في معظم المجالات والبيئة واحدة منها، ولذلك صارت الكثير من القضايا المعاصرة تمثل تحدياً لفقهائنا الذين لم يستطيعوا تقديم الحلول الناجحة لها لأسباب متعددة نذكر منها:

١- الموقف من الاجتهاد ذاته بفتحه أو غلقه كما يعبر الكثيرون مما أثر سلباً على كثير من العلماء الذين ألجموا عن الولوج في ميدان الاجتهاد بمبررات متعددة الأمر الذي ضيق التفكير الفقهي وجعله لا ينفك عن المسائل التي تناولها أئمة المدارس الفقهية مما عطل الكثير من القضايا التي ينتظر الشارع المسلم رأيا شرعياً فيها .

٢- عدم تجدد منهجية الاجتهاد عند أولئك الذين شعروا بأهمية الاجتهاد ولم يهتموا بمن يمارس الوصاية عليه ويقول بغلقه، فالمنهجية التي اتبعوها لا تخرج عن قياس المسائل المعاصرة على أقرب صورها المذكورة في كتب الفقه مما يعني أن النوازل المعاصرة التي لا يتوافر لها مقاربات تقاس عليها ستظل مشكلات فقهية معاصرة تنبئ عن مشكلات اجتماعية وتنبئ عن قصور فقهي لا نرتضيه لشريعتنا التي نفاخر بأنها تملك أعظم موسوعة فقهية شهدها التاريخ البشري، ولسنا نعدم أمثلة لهذه المشكلات فمجتمع الأقليات المسلمة يعاني الكثير، والظواهر العلمية الجديدة تغرقنا في بحر من الجدليات التي تظهر بوضوح مدى الحاجة إلى تحديد منهجية الاجتهاد المعاصر بما يلائم تحديات العصر .

٣- الاجتهاد في مجال البيئة – وخاصة المعاصرة – يحتاج إلى ثقافة علمية تشمل علوماً تقنية متعددة وذلك حتى يستطيع المجتهد أن يدرك حقيقة الواقعات أو النوازل التي يريد أن يفتي فيها، ولا أعتقد أن كليات الشريعة في عالمنا الإسلامي قد أدرجت في مناهجها ما يؤهل المتخرج منها لأن يؤدي دوره في مجال الاجتهاد المعاصر، وحتى المؤلفات التي بينت شروط المجتهد لم تجعل من بينها

(معرفة الواقع) وقد تنبه إلى ذلك عدد من فقهائنا القدامى والمعاصرين الذين أشاروا إلى خطورة جهل المجتهد بالواقع ومعرفة أحوال الناس، ومن هنا نقول إننا لا نتوقع لمجتهد معاصر أن يدرك أخطار التلوث الذي ينشأ في الهواء الخارجي نتيجة غازات تصدر من مصنع لمسلم يظن أنه يرتزق حلالا من خلال هذا المصنع، ولا يمكن لمجتهد معاصر أن يدرك أخطاراً تترتب على أسمدة يضعها فلاح مسلم يظن أنه يصل بها إلى مستوى من الإنتاج يخدم به مجتمعه، وذلك لأن هذا المجتهد لم يدرس هذه القضايا وتقييمه لها لا يزيد على تقييم مثقف عادي .

٤- عدم شيوع مؤسسات للاجتهاد الفقهي الجماعي – كمجمع الفقه الإسلامي مثلاً والتي تغطي العجز الناتج في إعداد الكوادر الفقهية وذلك بما تنتجه من انضمام مختصين في مجالات العلوم المختلفة، يوضحون حقائق القضايا المعروضة للاجتهاد وبصورة علمية دقيقة، وتتحقق من خلالهم ومن الفقهاء معهم شوري الاجتهاد الفقهي التي نحن في أمس الحاجة إليها في عالمنا المعاصر.

٥- نخلص من ذلك كله إلى أن الاجتهاد الفقهي المعاصر في مجال البيئة لا يتناسب مع حجم التحديات الكبرى التي تحتويها البيئة المعاصرة وأننا بحاجة إلى التأكيد على أننا قادرون على هذا الاجتهاد بما نملكه من قاعدة نصية واسعة يحتويها كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وتراثنا الحضاري، والحاجة فقط إلى تطوير مناهجنا بما يمكننا من النظر في المشكلات المعاصرة بعلمية وسعة أفق .

ولعله من المناسب أن أشير هنا إلى أمرين مهمين يكملان جهود الفقهاء في معالجة قضايا البيئة وهما :

<u>الأمر الأول</u>: أن هناك جهوداً كبيرة قام بها عدد من الأطباء والعلماء المسلمين لإيضاح كثير من المشكلات البيئية خاصة من حيث التلوث البيئي وأسبابه ونتائجه ، والأوبئة وما تحتاجه من معالجات وقائية وعلاجية، ونذكر على سبيل المثال الكندي ورسالته في الأدوية المشفية من الروائح المؤذية ، وابن سينا وحديثه عن تلوث المياه بشكل عام ، والرازي وحديثه عن عدد من الأوبئة ، وابن مروان الأندلسي وبيانه لموضوع فساد الهواء ، والمطران الدمشقي وتأكيده على ضرورة مراعاة تأثير البيئة في المرض ، ومحمد بن احمد التميمي وكتابه الكامل عن التلوث ، ونذكر أيضاً الزهراوي وبيانه للعلاقة بين المستنقعات وانتشار الأوبئة ، وابن خلدون واعتباره إفساد الهواء من أسباب كثرة الوفاة ، وأختم هذه الأمثلة بابن القيم والفصل الذي عقده عن الطاعون وكيفية التعامل معه وفق الهدي النبوي ودور تلوث الهواء في وجوده حيث يقول : "إن فساد الهواء جزء من أجزاء السبب التام والعلة الفاعلة للطاعون وأن فساد جوهر الهواء الموجب لحدوث الوباء ، وفساده يكون لاستمالة جوهره إلى الرداءة ، لغلبة إحدى الكيفيات عليه ، كالعفونة ، والنتن ، والسمية في أي وقت كان من أوقات السنة وإن كان أكثر حدوثه في أواخر فصل الصيف وفي الخريف غالباً ، لكثرة اجتماع الفضلات المرارية الحادة وغيرها

في فصل الصيف وعدم تحللها في آخره ، وفي الخريف لبرد الجو وردغة الأبخرة والفضلات التي كانت تتحلل في زمن الصيف فتنحصر، فتسخن، وتعفن، فتحدث الأمراض العفنة، ولا سيما إذا صادفت البدن مستعداً، قابلاً، رهلاً، قليل الحركة، كثيرَ المواد، فهذا لا يكاد يُفْلِت مِن العطب"[1].وهكذا نجد أن التراث الإسلامي احتوى مساهمات كبيرة لعلماء المسلمين فقهاء وأطباء ومفكرين قدموا من خلالها الكثير من المعالجات الفقهية في كتب ورسائل وأبواب نذكر منها على سبيل المثال : الأدوية للكندي، والتيسير في المداواة والتدبير لأبي مروان الأندلسي ، والذريعة إلى مكارم الشريعة للأصفهاني ، والأبخرة المصلحة للجو من الأوبئة للكندي ، والأشباه والنظائر للسيوطي ، والحيوان للجاحظ ، والمقدمة لابن خلدون ، والقانون في الطب لابن سينا ، والحيلة في دفع مضار الأبدان لابن رضوان ، ..الخ تلك القائمة الطويلة من المؤلفات المتخصصة في هذا الموضوع أو تلك التي احتوت إشارات عارضة في مسائل ذات علاقة بموضوعات عامة .

الأمر الثاني :. نظام الحسبة في الإسلام ودوره في معالجة القضايا البيئية .

الحسبة نظام إسلامي رقابي يعتمد على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإسداء النصح لمختلف شرائح المجتمع في كل القضايا التي لها علاقة بسلامة المجتمع وأمنه ، والمحتسب هو الرقيب الذي يتابع سير التعامل بين الناس في أسواقهم ومصانعهم ودور عبادتهم ومساكنهم وطرقاتهم ، وهو عارف بأحكام الشريعة قاصداً في حسبته وجه الله تعالى ، ملتزم بما يأمر به ، متواضع متودد ومتقرب من الناس لين القول ، طلق الوجه ، حسن الخلق ، وقد عرفت للمحتسب تدخلات كثيرة في شؤون المجتمع منها الكثير مما يتعلق بالبيئة ، نذكر منه التالي :.

ففي الطرقات يتدخل المحتسب لمنع السكان من إضرار السالكين بمياه الأمطار الساقطة من الحيطان ، ومنع مجاري الأوساخ الخارجة من الدور في زمن الصيف ، ويتدخل المحتسب في مراقبة صانعي الدقيق بأمرهم بغربلة الغلة من التراب وتنظيفها من الغبار قبل طحنها ، ويأمر الخبازين بفتح منافذ في سقوف الأفران لئلا يضر الناس ببقائه في الخبز ، وأن يهتم الخباز بتنظيف الفرن قبل استعماله ، ويدقق على الخبازين في نظافة الأوعية وتغطية الخبز ، ويهتم بنظافة الخباز ويمنعه من ممارسة مهنته إذا لم يقم بتغطية شعره وتنظيف جسمه ، ويمارس المحتسب دوره في منع محلات الأطعمة والصيادلة والعطارين وغيرهم من ممارسة الغش في صنائعهم وما يترتب على ذلك من ضرر بأجسام الناس ، كما أنه يتدخل في توجيه أصحاب الحمامات إلى تنظيف المياه والأحواض والأواني كل مساء لمنع ما يلحقها من تلوث قد يؤدى إلى انتقال العدوى بين الناس . وهكذا عمل نظام الحسبة في

[1] ابن القيم /الطب النبوي تحقيق/ د.عبد المعطي قلعجي/ دار الوعي حلب/ط١٤/محرم/١٤١.

الإسلام على وقاية المجتمع من كثير من مظاهر الفساد التي تنتج عن أنانية الأفراد أو جهلهم وتسبب في تلويث البيئة أو نشر الأمراض ، وقد أدى هذا النظام دوراً مهماً في توجيه المجتمع وضبط سلوكياته بمنطق الشرع والأخلاق أولا ثم بمنطق القانون ثانياً حيث كان هذا النظام مدعوما من السلطة الحاكمة في المجتمع[1] .

تصور مقترح لبعض التشريعات الدينية المستندة على فقه البيئة لحماية البيئة

يوضح الجدول التالى بعض الأحكام والقواعد الفقهية التى يمكن تطبيقها لغرض حماية البيئة :

جدول (٤) : فقه البيئة لحماية البيئة وتحقيق معايير الجودة والكفاءة البيئية

المبدأ الديني	أحكام فقهية بيئية	نوع الفقه البيئي والقواعد الفقهية	مصادر الأحكام الفقهية	
			من الكتاب	من السنة
١) الدين ليس عبادات فقط	– مواجهة المشكلات والقضايا البيئة والمجتمعية ضرورة دينية .(مثل :مشكلة البطالة ، أزمة السكن ، أزمة الزواج ،القضايا الصحية العمرانية ..	–فقه الواقع –فقه الأولويات القاعدة الفقهية " الأمور بمقاصدها وأدلتها "	{وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ }(القصص٧٧)	أن النبي صلى الله عليه وسلم بعد وصوله إلى المدينة بدأ يعالج مشكلاتها

[1] الشيرزي/نهاية الرتبة في طلب الحسبة /دار الثقافة /بيروت / تحقيق د. السيد العريني /ط٢/١٩٨١.

٢) الإسلام يحذِّر من الإقتتان بالكافرين	– الأخذ بالأسباب مع الدعاء فريضة دينية وعدم رفض مقومات الحياة الحديثة التي يتمتع بها الكافرون في كافة أنحاء العالم . في التجارة ، في الصناعة ، في الزارعة ، في الوظيفة يجب أن تأخذ بكل الأسباب وكأنها كل شيء ، ثم تتوكل على الله وكأنها ليست بشيء .	فقه الواقع القاعدة الفقهية " اليقين لا يزول بالشك "	﴿ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾(سورة الممتحنة: ٥)	((من أكل الطين فكأنما أعان على قتل نفسه)) . [أخرجه الطبراني عن سلمان]. من أكل فاكهة من دون أن يغسلها فهو مؤاخذ ... [رَوَاهُ التِّرمِذِيّ عن أبي سعيد الخدري]
٣) الإسلام دين النظافة	–النظافة من الإيمان ـ لا يجوز التبول في مهب الريح.(لأن البول يعود على الإنسان بفعل الرياح ، ولا في الماء الراكد ، ولا في ماء قليل ، ولو كان جاريا ، الماء القليل الجاري محرم البول فيه ، أو في كثير أيضاً ، ولا في المقابر احتراماً للموتى ، ولا في الطرقات .	فقه الواقع القاعدة الفقهية " لا ضرر ولا ضرار "		((تنظفوا بكل ما استطعتم ، فإن الله تعالى بنى الإسلام على النظافة ، ولن يدخل الجنة إلا كل نظيف)) . [الطبراني في المعجم الأوسط عن عائشة ((إن الله تعالى طيب يحب الطيب ، نظيف يحب النظافة ، كريم يحب الكرم جواد يحب الجود ، فنظفوا

٤) الإسلام يرسى الحقوق المدنية	– من عامل الناس فلم يظلمهم ، وحدثهم فلم يكذبهم ، ووعدهم ولم يخلفهم فهو ممن كملت مروءته ، وظهرت عدالته ، ووجبت أخوته ، وحرمت غيبته . أ) من بال في الطريق ، جرحت عدالته . ب) من مشى حافياً جرحت عدالته . ج) من أكل في الطريق حرجت عدالته . د) من قاد برذوناً ، قاد كليًا مخيفًا ، خوّف الصغار جرحت عدالته . هـ) من أطلق لفرسه العنان ، الآن أسرع في السير بالسيارة ، جرحت عدالته . و) من كان حديثه عن النساء جرحت عدالته . ز) من تنزه في الطرقات ، طريق يعج بالحسناوات ، كاسيات عاريات ، يحلو له التنزه بهذا المكان جرحت عدالته .	القواعد الفقهية : لا ضرر ولا ضرار المشقة تجلب التيسير اليقين لا يزول بالشك .	أفنيتكم)) . [أخرجه الترمذي عن سعد] ((المؤمن يطبع على كل خلق إلا الكذب والخيانة)) . [مسند أحمد عن أبي أمامة – ((اتقوا الملاعن الثلاث : البراز في الموارد ، وقارعة الطريق ، والظل)) . [أخرجه أبو داود وابن ماجة والحاكم ، والبيهقي ، عن معاذ

	ح) من علا صياحه في البيت حتى سمعه من في الطريق جرحت عدالته . ط) من طف بتمرة ، فلم يأتِ الوزن تماماً ، تطفيف بتمرة ، يجرح العدالة ، ى) من أكل لقمة من حرام ، يجرح العدالة . .. وهكذا عدد الفقهاء (٣٣) حالة .			
٥) إتقان العمل مبدأ إسلامى	– اتقان العمل (كبر أم صغرذلك العمل) فريضة شرعية .	فقه الأولويات الفقه التقديرى فقه الواقع فقه البيئة	((إن الله تعالى يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه)) . [أخرجه البيهقي ، عن عائشة رضي الله عنها – ((إن الله تعالى يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه)) . [الطبراني في الأوسط عن عائشة	
٦) علاقة الإنسان بالبيئة علاقة	–الإنسان ليس سيد الكون بل هو خليفة لله في الأرض لعمارتها وذلك من خلال :	الفقه التقديري فقه الواقع	{وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ	

استخلاف لعمارة الأرض	– التشجير والتخضير – العمارة والتثمير – النظافة والتطهير– الحفاظ على موارد البيئة – الحفاظ على صحة الإنسان– الإحسان إلى البيئة – المحافظة على البيئة من الإتلاف	فقه البيئة	أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ }البقرة ٣٠

الحل الإسلامي للقضية البيئية فى التشريعات الدينية واستحداث فقه البيئة :

مما سبق يتضح إن الحل الإسلامى هو الحل الشامل والناجع للقضية البيئية من خلال سن التشريغات الدينية التى تستند على فقه السيرة النبوية الشريفة وفقه الواقع وفقه الاولويات والفقه التقديرى وقد يكون نتيجة الاجتهاد الدينى هو استحداث فقه البيئة والتى يمكن تصور مطالبه كما يلى :

المطلب الأول :باب الأصول الإسلامية للبيئة

ويمكن تقسيم ذلك المطلب إلى مباحث هى :

المبحث الأول : اصلاح الانسان أصل إصلاح البيئة

ويمكن تقسيم ذلك المبحث إلى فصول هى :

الفصل الأول : علاقة الانسان بخالقه

الفصل الثانى : علاقة الإنسان بنفسه

الفصل الثالث : علاقة الإنسان بأخيه الإنسان

الفصل الرابع : علاقة الإنسان ببيئته الطبيعية التى خلقها الله له

الفصل الخامس : علاقة الإنسان بالحيوان

الفصل السادس : علاقة الانسان بالنبات

المبحث الثانى : المياة (ويمكن تفسيمها لفصول كما سبق فى المبحث الأول)

المبحث الثالث : الهواء (ويمكن تفسيمها لفصول كما سبق فى المبحث الأول)

المبحث الرابع : الحيوان (ويمكن تفسيمها لفصول كما سبق فى المبحث الأول)

المبحث الخامس : النبات (ويمكن تفسيمها لفصول كما سبق فى المبحث الأول)

المبحث السادس : الجمادات (ويمكن تفسيمها لفصول كما سبق فى المبحث الأول)

(سبق الإشارة إلى الأصول الإسلامية للبيئة في فصل سايق)

المطلب الثانى : تصرفات الإنسان مع مكونات بيئته

ويمكن تقسيمه لمباحث منها :

المبحث الأول :ضبط التصرف على قاعدة المصلحة(العامة) المعتبرة

في آيات متعددة بين الله تعالى أن الأرض بمواردها إنما هي أمانة في عنق الإنسان يشترط فيها استثمارها على نحو لا يخل بتوازنها ،ولا يستنزفها أي يستأصل شيئاً من أنواعها أو يقربه من الفناء ، ومن ذلك قوله تعالى:﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾ ﴿هود:٦١﴾ .

وفي أحاديث عديدة أبرز رسول الله ﷺ أسوة متقدمة على عصرها في الحفاظ على الموارد البيئية ، ورعاية تنوعها ، نذكر من ذلك عندما حمى النقيع وعضاه المدينة ،لا ، بل إنه رتب عقوبة على من يقطع شيئاً من ذلك؛ روى عبد الرزاق في المصنف أنّ سعد بن أبي وقاص وجد إنسانا يعضد ؛ فيخبط عضاهاً بالعقيق، فأخذ فأسه ونطعه، وما سوى ذلك! فانطلق العبد إلى سادته فأخبرهم الخبر، فانطلقوا إلى سعد، فقالوا: الغلام غلامنا فاردد إليه ما أخذت منه. -فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((من وجدتموه يعضد أو يحتطب عضاه المدينة بريدا في بريد فلكم سلبه)) فلم أكن أرد شيئا أعطانيه رسول الله صلى الله عليه و سلم [1].

ولعل مجادلاً يجادل في أن ذلك الحِمى كان لحرمة المدينة خاصة! فماذا يقول عن حماية رسول الله صلى الله عليه وسلم للموارد العامة من التلوث بمخلفات الإنسان، من مثل ماروه أبوهريرة أنه سمع رسول الله ﷺ يقول((لا يبولن أحدكم في الماء الدائم الذي لا يجري ثم يغتسل فيه [2])) ،وكذلك ما رواه مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ« اتَّقُوا الْمَلَاعِنَ الثَّلَاثَ الْبَرَازَ فِي الْمَوَارِدِ وَقَارِعَةِ الطَّرِيقِ وَالظِّلِّ[3] ».

يقول د.عواد جاسم الجدي[4]:هذا الحديث الشريف قاعدة عظيمة وقانون من قوانين الأمن البيئي ،حيث تسعى الدول المختلفة اليوم جاهدة لسن المزيد من هذه القوانين ..كما أشار (صلى الله عليه وسلم) إلى الموارد البيئية والنباتية حيث يعتبر المورد البيئي اليوم من الموارد الهامة التي تعرضت للتلوث والاستنزاف وتكلم الدكتور جاسم ببسط عن أهم البكتريا والجراثيم التي تنتقل مع مخلفات الإنسان إلى الموارد البيئية فتنتشرالأوبئة والأمراض والإنتانات مثل:

السالمونيلات Salmonela spp والشيفلات الزحارية Shi-gella dysentariae وإنما أشار الرسول محمد صلى الله عليه وسلم إلى أهمية الموارد لأن الجرثومة الأكثر خطراً على حياة ملايين الأطفال والتي أودت بأرواحهم في مجازر عديدة هي جرثومة الكوليرا Vibroio Cholereae ،وتؤدي إلى موت الطفل خلال أيام إذا لم يعالج ؛هذه الجرثومة تنتشر مع مخلفات الإنسان إلى المياه أو الهواء..[5]

أردنا من عرض ما قاله الاختصاصي في البيئة الولوج إلى لب المذهب البيئي في الإسلام ،وهذا المذهب تُعَبَّد الآن طريقه عبر عشرات الأبحاث والدراسات الإسلامية، وهذا مطلبنا القادم.

1 الصنعاني ،أبوبكر ،عبد الرزاق بن همام ،المصنف كتاب الأشربة باب حرمة المدينة.
2 البخاري،أبو عبد الله ،محمد بن إسماعيل ،الجامع الصحيح ،كتاب الوضوء باب البول في الماء الدائم.
3 السجستاني،أبو داود سليمان بن الأشعث، السنن،كتاب الطهارة باب المواضع التي نهى النبي عن البول فيها.
4 باحث في تنمية الموارد البيئية –الكويت.أنظر مجلة الوعي الإسلامي العدد٣٥٠ شوال ١٤١٥هـ ١٩٩٥م.
5 الجدي،د.عواد جاسم،الأمن البيئي من منظور إسلامي ،الوعي الإسلامي العدد٣٥٠،شوال ١٤١٥هـ-مارس ١٩٩٥م.

المبحث الثاني :التوازن البيئي هبة ربانية لا يجوز المساس بها

تقوم الأحكام الشرعية المتعلقة بأعيان البيئة (نقصد المحيط الطبيعي)على أساس اكتمال البيئة من قبل خالقها جلت قدرته لقوله تعالى:﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ.. ﴾ ﴿السجدة: ٧ ﴾، وعن قوله تعالى ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ﴾ ﴿الفرقان:٢﴾.قال د.أحمد عبد الكريم سلامة: وهكذا فإن الله لم يخلق الطاقات الكونية، والموارد البيئية جزافاً دون ميزان أو حسبان ..إن كل موارد البيئة تخضع لقانون التوازن أو التعادل : الموارد الحية، كالنباتات والحيوانات ،والموارد غير الحية ..كالطاقة الشمسية، والهواء، والماء ،والتربة[1].

ووظيفة الإنسان الحفاظ على هذا الكمال ،فإن أدى بالإنسان نشاط ما إلى إتلاف مقصود غير مسوغ لمورد من الموارد ولو جزئياً(الإسراف في الاستنزاف) دخل في نطاق المسؤولية الشرعية ديانة وقضاءً ،لقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ ﴿الأنعام: ١٤١﴾.

وسبحان الباري تعالى ما خلق داء إلا خلق له دواءً ! فبيئتنا لو تركت كما حبانا الله تعالى إياها لعالجت التلوث الذي يصيبها بنفسها، لكنه الطغيان؛ سحق الموارد البيئية حتى باتت تستنجد، يقول صاحب كتاب الهندسة البيئية:

"من الحجج القوية والأكثر تأييداً للاستعمال الواسع النطاق للمواد العضوية، كمخلفات الحيوانات والمخلفات النباتية للأراضي الزراعية ؛ هي القدرة المتميزة للتربة على إبطال سُمّية وامتصاص المواد التي يمكن اعتبارها كمواد ملوثة إذا ما تم تصريفها في البيئات الهوائية والمائية...يوجد عادة حد أقصى للمعدل الذي تستطيع به التربة أن تقوم بتحويل كيميائي معين.[2]"

المبحث الثالث :المسؤولية البيئية في الإسلام

١ . لازمة: من الإنسان عن نفسه وعن القاصرين الذين في كنفه أوالأعيان البيئية التي يملكها، يقول تعالى: ﴿لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿ النساء:٨٤﴾.

٢ . متعدية: من الراعي إلى الرعية ، ومن جمهور المؤمنين وأفرادهم إلى بعضهم وإلى السلطة التي تظلهم ، يقول تعالى: ﴿..وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ ﴿المائدة: ٢﴾

مسألة . الولاية البشرية على أعيان البيئة:

---

1 سلامة،د. أحمد عبد الكريم حماية البيئة في الفقه الإسلامي ،مجلة الأحمدية – دبي ، ص٣٠٦-٣٠٧ بتصرف يسير.

2 عن جون و. مور، وإليزابيث أ. مور، الكيمياء البيئية، ترجمة أ.د.صابر المسماري، منشورات جامعة عمر المختار، البيضاء،ط١، ٢٠٠١م، ص٤٩٥.

الأعيان البيئية هي في أصل الملك لله تعالى، ولكنّ الله تعالى أمكن الإنسان من حيازتها بأسباب ترجع في مجملها إلى العمل البشري[1] ،ورتب تعالى عبادة هي في واقعها المادي ضريبة على هذه الحيازة.

وتنقسم الأعيان البيئية إلى ما يمكن حيازته وما لا يمكن .

القسم الأول . ما لا يمكن حيازته: يشمل هذا معظم أجزاء البيئة من موارد عامة كالجبال والأنهار والبحار والهواء..فهذا يعد الإضرار به بالإفساد أو الإسراف في الاستنزاف محرماً أشد التحريم؛ لكون البشرية بأجيالها الحالية والقادمة شريكة فيه ،والإضرار فيه متعدّ .

من ذلك ،ويقاس عليه ما هو أكبر منه بطريق الأولى: تحريم البول في الماء الدائم أو التغوط في ظلال الشجر محرّم ولو كان في مكان عام خالٍ من غير من يفعل ذلك كغابة أو بادية، قال تعالى: ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ ﴿الروم:٤١﴾ ، وعَنْ رَجُلٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ –صلى الله عليه وسلم– قَالَ غَزَوْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ثَلَاثًا أَسْمَعُهُ يَقُولُ « الْمُسْلِمُونَ شُرَكَاءُ فِي ثَلَاثٍ فِي الْكَلَإِ وَالْمَاءِ وَالنَّارِ [2] ».

المبحث الرابع : مراعاة الإنسان ووعيه بوظائف الموارد البيئية:

" ومما يدعم اعتبار موارد البيئة الطبيعية ،ملكاً مشتركاً للإنسان ينبغي الالتزام بالآداب الإسلامية في تنميتها ،ودفع الضرر والفساد عنها ، أن وظائف تلك الموارد مشتركة فيما بين البشر وبينها ،وهي ثلاث :

الوظيفة الأولى . تعبدية : وهي ذات شقين:

الأول: يخص الموارد البيئة ذاتها: فهي مخلوقات تسبح بحمد خالقها ،وتسجد له ،ودليل على قدرة الخالق ،قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ

---

1 انظر: الطحاوي، د. إبراهيم ، الاقتصاد الإسلامي، مذهباً ونظاماً،الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية . القاهرة، ١٣٩٤هـ. ١٩٧٤م، ١٨٦/١.

2 السجستاني ،أبو داود ،سليمان بن الأشعث ،السنن ،كتاب الإجارة باب منع الماء، وأخرجه صاحب: كتاب الخراج، لابن آدم ،٤٩٩، رقم ٣١٥،مصنف ابن أبي شيبة،٧/٥،رقم ٢٣١٩٤، عن أبي خراش، مسند أحمد،٣٦٤/٥،رقم ٢٣١٣٢، سؤالات البرذعي، ٤٤٨/١، عن ابن عباس، سنن أبي داود، ٢٧٨/٣، رقم ٣٤٧٧، سنن ابن ماجه، ٨٢٦/٢، رقم ٢٤٧٢، قلت: بزيادة ((وثمنه حرام)) ، قال أبو سعيد : يعني الماء الجاري. ودرءاً للإطالة أقف عند صحاح السنن للألباني: صحيح سنن أبي داود، ٦٦٥/٢، رقم ٣٤٧٧/٢٩٦٨، وقال صحيح، صحيح سنن ابن ماجه، ٦٤/٢، رقم ٢٤٧٢/٢٠٠٤ ، وقال: صحيح، قلت: دون((ثمنه حرام)) قلت:ولأن مسألة الماء والنار والكلأ، هي مشتركة بين كل بني البشر، وليس بين المسلمين فقط، ولأن البحث يُعنى بكل الناس ، وجدنا أنه من الضروري الوقوف على حقيقة ألفاظ متن الحديث؛ التي أصلت لوحدة البيئة والانتفاع من مواردها، تجاه المسلمين عموماً ، وأيضاً على جهة العموم بين كل بني آدم، كالآتي:

١. ((الناس شركاء في ثلاثة)).

٢. ثلاث لا يمنعن: ((الماء والكلأ والنار)) أخرجه صاحب: سنن ابن ماجه، ٨٢٦/٢، رقم ٢٤٧٣ ، عن أبي هريرة، مصباح الزجاجة، ٨١/٣، وقال : هذا إسناد صحيح، رجاله ثقات، صحيح سنن ابن ماجه، ٦٤/٢، رقم ٢٤٧٣/٢٠٠٥، وقال صحيح.

وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴾ ﴿الحج: ١٨﴾،وقوله عزمن قائل: ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ ﴿الإسراء: ٤٤﴾.

الثاني: يخص الإنسان الذي سُخِّرت لخدمته ، فالموارد البيئية مجال تأمل الإنسان ،واعمال فكره حولها وحول مبدعها ،قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (١٩٠) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ ﴿آل عمران١٩٠ .١٩١﴾

يبدو أن التعدي على موارد البيئة ، بإتلافها أو استنزافها ، يعوقها عن أداء تلك الوظيفة التعبدية بشقيها ، بل إن استعمالها من جانب فرد أو أفراد من أجل منفعة لا تتناسب مع ذلك ،وما ينشأ عن ذلك من إضرار بالآخرين الذين يتقاسمون الانتفاع بتلك الموارد هو نوع من التعسف في استعمال الحق غير مشروع.

الوظيفة الثانية . جمالية ترفيهية: ذلك أن الله تعالى خلق موارد البيئة مختلفة الألوان والأشكال ؛لإدخال البهجة على نفس من استخلفه في عمارة الأرض[1] ، قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ * وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ ﴿فاطر: ٢٧، ٢٨﴾ وقال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ ﴿الأعراف: ٣٢﴾.

وهنا لايسوغ شرعاً الاعتداء على تلك الموارد، لما في ذلك من تعطيل لها عن أداء وظيفتها.

الوظيفة الثالثة . حياتية معاشية: قوامها الانتفاع بالموارد الطبيعية في المأكل والمشرب ...فلا يجوز للفرد أن يفتئت على حقوق الغير ..[2]"

القسم الثاني . ما يمكن حيازته: وذلك يشمل ما يجري عليه الملك من موارد البيئية كامتلاك العقارات ، والحيوانات ، ووسائط النقل ، فهذه الأشياء يجوز حيازتها في أسباب مشروعة ترجع مآلاً إلى العمل(الربح: عائد التنظيم ،الأجر: عائد العمل، الريع: عائد الأرض[3])، وهذه تنحصر سلطة مالكها أو المنتفع بها كالمستأجر بالعناية ، والامتناع عن أذية الغير حالاً أو مآلاً ، قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا (٥٧) وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا (٥٨) ﴾ ﴿الأحزاب:٥٧ ،٥٨﴾.

---

1 جل البديع بذي الطبيعة أبهجَ خلق الجمال، فكان سحراً مبهجا
من قصيدة أنشدها الشيخ مشاري بن راشد في ألبومه: ذكريات.

2 سلامة،د.أحمد عبد الكريم، حماية البيئة في الفقه الإسلامي مجلة الأحمدية دبي العدد الأول المحرم ١٤١٩هـ ص٣٠٠-٣٠٢ بتصرف.

3 الطحاوي، د. إبراهيم ، الاقتصاد الإسلامي،١/٢٢٥.

وكما أن الثروات الخاصة شرع الله تعالى لها من أحكام التشغيل والصدقات والميراث ما يكفل دورانها بين أفراد الأمة بأسرع من أربعين سنة لكل دورة لرأس المال مهما كان عقارات منقولة أو غير منقولة أو ثروة نقدية ،فإنّ الله تعالى جعل تجديد الموارد البيئية من أهم الأعمال التي ينهض بها المسلم لا بل هي مقصد من مقاصد وجوده على ظهر البسيطة، يقول تعالى: {وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (٥٦)} [الأعراف].

إنّ العناية بأعيان البيئة ذات الملكية الخاصة أو العامة حتى لوكانت من أملاك الأعداء[1] تأتي على شكل مغرم لا بد منه مقابل المغنم من الانتفاع بتلك الأعيان ولو مآلاً أي ليست بحوزة صاحب الحق.

ولا يجوز نكاية بعدو اليوم حرمان أبناء الغد إذ لانملك الحكم عليهم رجماً بالغيب؛ الله أعلم بأعمالهم.

فنقول: إن العناية بالتوازن البيئي هي المقابل لحيازة الإنسان لأعيان البيئة أو انتفاعه بها[2] ويشهد لما نقول القاعدة الفقهية الشهيرة: ((الغرم بالغنم[3])).

المبحث الخامس : ركائز الحفاظ على البيئة:

اعتنى الإسلام بالصحة البيئية وهي الشروط المادية لبقاء الأجناس الحية، والتي يعتبر الإنسان بوصفه خليفة الله في أرضه مسؤولاً عن بقائها واستمرارها على وجه الصحة والعافية، تماماً كما هو مسؤول عن بقائه وبقاء أبناء جنسه، وفي ما يلي نقاط لابد من الإشارة إليها في موضوعنا تعد ركائز الحفاظ على البيئة من المنظور الإسلامي:

١ . النظافة والتطهير: اعتبرت الطهارة شرطاً من شروط بعض العبادات ، وخاصة الصلاة، وأوردت السنة آداباً كثيرة في النظافة والاغتسال والتطيب وحسن الهندام، خاصّة في المناسبات العامة كـ صلاة الجمعة و العيدين ، وحثت على إماطة الأذى أياً كان حجمه أو ضرره ولوصغيراً عن الطرق والسبل.

---

1 إن الحكم الوارد في مثل قوله تعالى مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ (الطور:٥) هو من قبيل الاستثناء من الأصل .

2 حول الملك والانتفاع يمكن التوسع عند الإمام القرافي في الفروق وشرحه (إدرار الشروق) لابن الشاط في الفرق الثمانين بعد المائة ،٣٦٤/٣ من ط١ دار الكتب العلمية بيروت ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.

3 قاعدة الغنم بالغرم: شرح أدب القاضي للخصاف، للصدر الشهيد،٢٩٢/٢، خاتمة مجامع الحقائق، للخادمي، ٤٥ . ٤٧ ، حرف العين، حجة الله البالغة، ١٦٩/٢ ، القضاء ، مجلة الأحكام العدلية، م/٨٧، القواعد الفقهية، للندوي، ٣٠٥، بلفظ: الغرم مقابل الغنم، و٣٧٤، بلفظ : الغرم بالغنم.
والمهم : أن القاعدة مستنبطة من حديث((الخراج بالضمان)) وتعبر عن مفهوم المخالفة، ويبنى عليها كثير من الأحكام ، وهذا ما ذهب إليه شاه ولي الله ، في حجة الله البالغة، ١٦٩/٢.
وأما ((الخراج بالضمان)) ، فقد أخرجه صاحب: مسند أحمد ، ٤٩/٦، رقم ٢٤٢٧٠ ، و ٢٣٧/٦، عن عائشة ، ودرءاً للإطالة أقف عند تصحيحه في : سنن أبي داود ، ٦٧٠/٢ ، رقم ٣٥٠٨/٢٩٩٤ ، وقال: حسن ، صحيح ابن ماجه، ٢٢/٢، رقم ٢٢٤٣/١٨٢٢، وقال: حسن، صحيح سنن الترمذي، ٢٥/٢، رقم ١٣٠٨/١٠٣٣ ، وقال: حسن ، صحيح سنن النسائي (المجتبى) ، ٩٣٥/٣، رقم ٤١٨٢ ، وقال الألباني: كما سبق آنفاً في كتبه : حسن.

٢ . الحفاظ على صحة الإنسان: دعت النصوص في القرآن والسنة إلى الحفاظ على الصحة ؛ بدءاً من الدعاء بطلب العافية ، إلى الوسائل التي تجلب العافية ، ومنها المحافظة على نقاء البيئة لئلا تنشأ بؤر تصبح مباءة للأمراض المعدية والفتاكة.

٣ . التشجير والتخضير: حضت آيات وأحاديث كثيرة على الغرس والزرع، لا بل إن الزرع والشجر المثمر دخل في الوجدان الديني للأمة الإسلامية، وبات الفرد الصالح يشبه بالشجر المثمر، فمن ذلك ما رواه ابن عمر رضي الله عنه أنّ النبي صلى الله عليه و سلم قال : ((ما شجرة لا يسقط ورقها وهي مثل المؤمن أو قال المسلم)) ، قال: فوقع الناس في شجر البوادي ، قال ابن عمر: ووقع في نفسي أنّها النخلة، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: ((هي النخلة قال فذكرت ذلك لعمر فقال لأن تكون قلتها كان أحب إلى من كذا وكذا[1])) .

ومن أعظم الأدلة على هذه الرعاية الإسلامية للغطاء الأخضر من السنة النبوية ما رواه أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم ((ما من مسلم يغرس غرسا أو يزرع زرعا فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة[2])) .

٤ . العمارة والتثمير: اعتبر الراغب الأصفهاني(٥٠٢ هـ) في كتابه << الذريعة إلى مكارم الشريعة>> أن عمارة الأرض أحد مقاصد خلق الإنسان ، لقوله ﷺ فيما رواه عنه سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ « مَنْ أَحْيَا أَرْضًا مَيْتَةً فَهِيَ لَهُ وَلَيْسَ لِعِرْقِ ظَالِمٍ حَقٌّ [3]».

٥ . المحافظة على الموارد، فقد نهى المولى تعالى بني البشر عن المسّ بموارد الأرض المهيّأة للعمران البشري ، فقال جل علاه:﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ﴾ ﴿الأعراف: ٥٦ ﴾ ، والإفساد يكون بالإتلاف وتفويت المنافع ، أوالتلويث والإسراف ، أو بإشاعة الظلم والباطل والشرّ ، ولذا نهى النبيﷺ رجلاً أن يذبح شاة حلوباً ، وفي السنة إنذار لمن يقتل طيراً أو حيواناً بغير منفعة، أو يتخذ شيئاً فيه روح هدفاً للتصويب عليه[4]، كما أنّ بها حثّاً على الاستفادة حتى من جلد الميتة[5].

---

1 أحمد، الإمام أحمد بن حنبل، المسند، مسند عبد الله بن عمر.

2 البخاري، الجامع الصحيح، كتاب المزارعة، باب فضل الزرع والغرس إذا أكل منه، ومسلم في الصحيح، كتاب: المساقاة ، باب فضل الغرس والزرع.

3 رواه أبوداود في سننه،كتاب الخراج، باب في إحياء الموات، وصححه الألباني، وأورده البخاري تعليقاً بصيغة الجزم في كتاب المزارعة وقفاً على عمر بن الخطاب ، و ذكر رواية الرفع عن عمر وابن عوف بصيغة تمريض أيضاً تعليقاً،في كتاب المزارعة ، باب من أحيا أرضاً مواتاً.

4 لما رواه البخاري في الصحيح عن ابن عمر رضي الله عنهما ((أنه دخل على يحيى بن سعيد وغلام من بني يحيى رابط دجاجة يرميها فمشى إليها ابن عمر حتى حلها ثم أقبل بها وبالغلام معه فقال ازجروا غلامكم عن أن يصبر هذا الطير للقتل فإني سمعت النبي صلى الله عليه و سلم نهى أن تصبر بهيمة أو غيرها للقتل)) ،كتاب الذبائح والصيد ، باب ما يكره من المثلة، والمصبورة والمجثّمة.

5 الحديث رواه مسلم في كتاب الحيض باب طهارة جلود الميتة بالدباغ، عن ابن عباس أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَرَّ بِشَاةٍ مَطْرُوحَةٍ أُعْطِيَتْهَا مَوْلاَةٌ لِمَيْمُونَةَ مِنَ الصَّدَقَةِ فَقَالَ النَّبِىُّ –صلى الله عليه وسلم– « أَلاَّ أَخَذُوا إِهَابَهَا فَدَبَغُوهُ فَانْتَفَعُوا بِهِ ».

٦ . الإحسان إلى البيئة: الإحسان كلمة تتضمّن الإتقان والشفقة والإكرام ،فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يميل للقطة الإناء حتى تشرب ثمّ يتوضّأ بفضلها، وكان بعض الخلفاء مثل عمر بن عبد العزيز يكتب إلى عماله ألا يحملوا الإبل ما لا تطيق ، وألا يضربوها بالحديد، وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة يقول : قال النبي صلى الله عليه و سلم ((تأتي الإبل على صاحبها على خير ما كانت إذا هو لم يعط فيها حقها تطوّه بأخفافها وتأتي الغنم على صاحبها على خير ما كانت إذا لم تعط فيها حقها تطوّه بأضلافها وتنطحه بقرونها وقال ومن حقها أن تحلب على الماء[1])) .

المحافظة على البئة من الإتلاف: نهى الإسلام عن إتلاف أحياء البيئة أو حتى أعيانها الجامدة كالتربة والماء الجاري والراكد..سواء كان ذلك بدافع الغضب أو العبث أو الإهمال أو في العمليات الحربية ،ولذا قال المؤرخ الفرنسي غوستاف لوبون: "ما عرف التاريخ فاتحاً أعدل ولا أرحم من العرب ." ومن يتابع الجرائم الأمريكية في فيتنام والعراق يتأكد من رحمة المسلمين بغيرهم وبالبيئة حتى في العمليات العسكرية والحروب[2].

المبحث السادس : علاقة الإنسان بأعيان البيئة من حيث الملك والانتفاع:

قال ابن الهمام (٨٦١هـ): الْمِلْكُ هُوَ قُدْرَةٌ يُثْبِتُهَا الشَّارِعُ ابْتِدَاءً عَلَى التَّصَرُّفِ[3].

ويشرح الإمام القرافي(٦٨٤هـ): التصرف والملك كل واحد منهما أعم من الآخر من وجه وأخص من وجه والعبارة الكاشفة عن حقيقة الملك :أنه حكم شرعي مقدر في العين أو المنفعة يقتضي تمكن من يضاف إليه من انتفاعه بالمملوك ،والعوض عنه من حيث هو كذلك .ثم ساق عن الإمام المازري(٥٣٦)[4] (في شرح التلقين) قوله: الأعيان لا يملكها إلا الله تعالى، لأن الملك هو التصرف ،ولا يتصرف في الأعيان إلا الله تعالى ؛بالإيجاد والإعدام والإماتة والإحياء ، ونحو ذلك، وتصرف الخلق إنما هو في المنافع فقط بأفعالهم من الأكل والشرب والمحاولات والحركات والسكنات ..وتحقيق الملك أنه إن ورد على المنافع مع ردّ العين فهو الإجارة ، وفروعها من المساقاة والمجاعلة والقراض، ونحو ذلك ، وإن ورد على المنافع مع أنه لا يرد العين بل يبذلها لغيره بعوض أو بغير عوض ؛ فهو البيع، والهبة والعقد في الجميع إنما يتناول المنفعة فقد ظهر بهذه المباحث حقيقة الملك ، والفرق بينه وبين التصرفات ، وما يتوهم التباسه به[5].

---

1 البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الزكاة ، باب إثم مانع الزكاة.

2 مدونة ناصر حاكمي الجزائري، ٨/سبتمبر/ ٢٠٠٧م، عن محاضرة وكتاب للشيخ د. يوسف القرضاوي، رعاية البيئة في شريعة الإسلام، وتابعه مصطفى عاشور، ٢٠٠٨/٨م نادي البيئة التطوعي ، حماية البيئة فريضة شرعية

3 ابن الهمام الحنفي، شرح فتح القدير، ط١، ١٤١٥هـ. ١٩٩٥م، دار الكتب العلمية، لبنان. بيروت، ٦/ ٢٣٠.

4 المازري(٤٥٣ . ٥٣٦ هـ) هو: محمد بن علي بن عمر التميمي، أبو عبد الله ،محدث، من فقهاء المالكية، نسبته إلى مازر بجزيرة صقلية، ووفاته بالمهدية، من مصنفاته: المعلم بفوائد مسلم، في الحديث، والتلقين، في الفروع، وغيرها، الأعلام للزركلي،٦/٢٧٧.

5 القرافي ،أبو العباس ،أحمد بن إدريس الصنهاجي ،الفروق ،ط١ دار الكتب العلمية بيروت ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م،الفرق الثمانون والمائة،٣/٣٦٤ و ٣٧٣.

وقد درس د.عبد الله بن عبد العزيز المصلح[1] ،الملكية وخاض في حدها وقرر أن التعريف المختار:(علاقة شرعية بين الإنسان والشيء المملوك تخول صاحبها الانتفاع ،والتصرف وحده ابتداءً إلا لمانع)

نلاحظ أن د. المصلح مال في حد الملك إلى تعريف الحنفية ، لدقته وشموله ،وقد أقرت الدراسات الحديثة هذه النظرة إلى الملكية ،وهي في جوهرها(حقٌ بالتصرف والحيازة)

من المعلوم ضرورة أن الشريعة الإسلامية تُستقى بشكل رئيس من الكتاب والسنة ،والذي يعنينا هنا هو الأحكام التي رتبها الباري تعالى على المكلفين صوناً للبيئة :

١ . ضبط التصرف في الملك العام والخاص بما يكفل الحفاظ على التوازن البيئي، وهو ما عبر عنه الله تعالى بالإصلاح، قال تعالى على لسان نبيه شعيب: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ ﴿هود:٨٨﴾، وقال تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (٥٦) وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٥٧)﴾ ﴿الأعراف:٥٦ ، ٥٧﴾.

وقد بحث السادة العلماء والأساتذة في ضوابط الحرية الفردية والجماعية (الجماعات والأنظمة الحكومية) في ما يتعلق بالملكية وطرق تحصيلها والعمل بها منهم: أ. محمد الحاج الناصر بقوله :الشرعية هي المدار الوحيد لكل تصرف وتصريف في الأرض وما عليها، يمارسه الإنسان حاكماً أو محكوماً فإذا انتفت الشرعية من أي تصرف أو تصريف زالت عمن يمارسه واستحال وضعه باعتباره موظفاً بالخلافة إلى وضع يتعين النظر في كيفية إعادته إلى الشرعية أو إعادة الشرعية إليه أو رفعها عنه نهائياً.

وبيان ذلك أن التصرف في المال (الأعيان البيئي تدخل ضمن هذا المصطلح) وظيفة اجتماعية ،حظ الفرد منها ما يصلح حاله ويحفظ وجوده ،ويؤهله أن يكون عنصراً مفيداً صالحاً في مجتمعه؛ فهو إذاً داخل في إطار المعنى الاجتماعي لوظيفته ،فإذا تجاوز حدود وظيفته بأن أغفل المعنى الاجتماعي لها أو لم يغفله ،ولكن تعدى في ممارسته لها مقتضيات العدالة وهي أساس سلامة المجتمع ؛ فقد الأهلية كلياً أو جزئياً للاستمرار فيها ،وتعين على ولي الأمر إما تصحيح سيره وتقويم مساره ، وإما إقصاؤه إذا فقد المؤهل كلياً[2].

[1] عميد كلية الشريعة وأصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية –أبها كما جاء على غلاف كتابه.
[2] الناصر،أ. محمد الحاج ،الإسلام وانتزاع الملك للمصلحة العامة، الفصل ١٩ ص٥٧٠ .

ويقترب أ.محمد الحاج من الشيخ علي الخفيف في هذه النظرة التي نرى فيها ميلاً جماعياً سوّغ بعضه الأستاذ الحاج في صفحات تالية للمذكورة في حاشيتنا[1].

وكأني بهذا التيار متأثراً بفكر الصحابي الجليل أبي ذر الغفاري ،في رأيه حول كنز المال،أما نحن فنرى ما رآه معظم الصحابة في أن الزكاة والصدقات تطهر المال وتمنع كنزه، فعن خالد بن أسلم قال: خرجنا مع عبد الله بن عمر رضي الله عنهما فقال أعرابي أخبرني قول الله ﴿ والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله ﴾ ﴿التوبة: ٣٤﴾ .

قال ابن عمر رضي الله عنهما: ((من كنزها فلم يؤدي زكاتها فويل له؛ إنما كان هذا قبل أن تنزل الزكاة فلما أنزلت جعلها الله طهرا للأموال[2])).

وهذا حقيقي فالزكاة تعيد تدوير السيولة النقدية في الأمة خلال أربعين سنة بشكل ١٠٠% بمعدل ٢,٥% سنوياً. ليس هذا فحسب بل تعيد تدوير كل الأعيان المنقولة التي ينتفع بها –إذ كل الأعيان المنقولة يتاجر بها– فتنتظمها زكاة العروض التجارية والمحاصيل الزراعية على الخلاف المشهور في تفصيلها.

إن ضبط التصرف له في الشرع الإسلامي مجال شرعي ديني أكثر منه مصلحي سياسي أي أن ضبط التصرف ونزع الملكية(الزكاة مثلاً فيها نوع نزع ملكية جزئي)، له سبل في أكثرها عبادات، وعقوبات منصوص عليها (كالحجرعلى السفيه)، أو تقييدات محدودة(كالحجر على اليتيم حتى يرشد) ويبدو أن إيصاد هذا الباب إلا بشروط مشددة كان لحكمة هي درء تحكم أهل النفوذ بممتلكات الناس تحت الغطاء الديني .

٢ . ضبط التصرف (المحاسبة على التصرف): فأحكام الشريعة الإسلامية قائمة على التكليف أي المسؤولية والمحاسبة (المسؤولية الجزائية) وهي جميعها تقييدات مصلحية للأنشطة الإنسانية، وهذه المصلحية ظاهرة الحكمة في جميع الأحكام أما علتها وسبب وجوبها فهو تعبدي لا اجتهادي.

والقول بضبط التصرف بالأعيان البيئية مأخوذ من مصدرين تشريعيين :

١ . نصوص الكتاب والسنة ما كان عاماً، أوخاصاً موجباً أومحرّماً لجملة من التصرفات بأعيانها؛ كتحريم قطع الشجر بغير حاجة، وما يقاس على هذه التصرفات من أفعال تتفق معها في العلة، كتحريم حرق الأشجار قياساً على حرمة قطعها، لقوله تعالى: ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ﴾ ﴿الحشر: ٥﴾، قال الإمام القرطبي(٦٧١هـ) في تفسير الآية:نزلت الآية بتصديق من نهى عن القطع وتحليل من قطع من الإثم، وأخبر أن قطعه وتركه بإذن الله[3].

[1] للتوسع عند الخفيف،الشيخ علي في بحثه (الفكر التشريعي) المقدم للمؤتمر السادس مجمع البحوث الإسلامية بحوث اقتصادية وتشريعية ١٣٩١هـ –١٩٧١م الشركة المصرية للطباعة والنشر.

[2] البخاري أبو عبد الله محمد بن إسماعيل،الجامع الصحيح ،كتاب الزكاة ،باب ما أدى زكاته فليس بكنز.

[3] القرطبي،أبو عبد الله محمد بن أحمد،الجامع لأحكام القرآن ،تفسير سورة الحشر،،أعاد طبعه دار إحياء التراث العربي،٦/١٨.

٢ . اعتبار المآلات وهو:"تحقيق مناط الحكم بالنظر في الاقتضاء التبعي الذي يكون عليه عند تنزيله؛ من حيث حصول مقصده، والبناء على ما يستدعيه ذلك الاقتضاء .

والمقصود بتحقيق المناط ؛ المعنى العام؛ الذي هو إجراء الحكم المتيقّن، أو الأصل الكلّي في آحاد صوره؛ من خلال معرفة الغاية النوعية التي استهدفها الشارع من شرع الحكم، والكشف عن وجودها في الحادثة المعروضة على النظر[1]."

المطلب الثالث :الأسس الفكرية والعملية لحل الأزمة البيئية

المبحث الأول :خطوات الحل البيئي في الاعتبار الإسلامي (يقسم لفصول مثل :

الفصل الأول : العناية بالبيئة التشريعية للقوانين الراعية للبيئة

إن الناظر في أسباب تدهور البيئة يلمح وراءها خللاً في فهم طبيعة الأحكام الراعية لعلاقة الإنسان بأعيان البيئة !

وما الخلل في الاستغلال البشري لموارد البيئة إلا مظهر من مظاهر الفساد العقدي والفقهي لدى جمهور الأمة؛ إذ العلاقة بالأرض منوطة بإباحة الباري تعالى للإنسان استغلال الأرض بشكل لا إفراط فيه ولا تفريط ويشهد لكلامنا قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ ﴿الأنعام: ١٤١ ﴾.

فترك الأرض الزراعية لتبور عمل يصل إلى الكراهة الشديدة لمخالفته السنة المؤكدة باستثمار الأرض ،كما أن الاستغلال المفرط والمسرف للأرض وتربتها مكروه جداً نظراً إلى التعطيل المقبل للأرض المنهكة[2]، أما إذا انضاف إلى ذلك إضافة السماد الكيماوي فالمأمول من المجامع الفقهية الإفتاء بحرمة ذلك نظراً للضرر المؤكد في الصحة الآنية وفي الأمراض الوراثية،وفي الإخلال بالتوازن الحيوي عندما تؤدي هذه الأسمدة إلى قتل مجموعات من الأحياء وتشويه أنواع أخرى ،ومن ثم ستتوالد مشوهة مؤذية ،لا تؤدي دورها الذي أناطه الله تعالى بها ابتداءاً.

وقل مثل ذلك في الصناعات وما تفرزه من أضرار كيميائية تلوث الهواء والماء والتربة، إن الضرر الأكبر يلحق بالبيئة من خلال عمل محرم تؤديه هذه الصناعات.

[1] السنوسي، عبد الرحمن بن معمّر، اعتبار المآلات ومراعاة نتائج التصرف، ط٢، ١٤٢٩هـ ، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية . الدمام.

[2] "ينتج عن الزراعة المتواصلة لأي نوع من هذه الترب(مراعي المناطق المعتدلة، ترب الغابات) نفس التأثير؛ فالمادة العضوية والعناصر الغذائية الأخرى تنضب بسرعة خلال السنوات القليلة الأولى من الزراعة ، وتصل إلى حالة استقرار جديدة تتميز بتركيز منخفض من العناصر الغذائية بعد ١٠٠.٥٠ عام من الزراعة المتواصلة،وعلى الرغم من إمكانية إضافة الأسمدة لتعويض النقص في العناصر الغذائية؛ غير أنها لا تستطيع استعادة بناء التربة والمسامية التي توفرها المادة العضوية المتحللة." عن جون و. مور، وإليزابيث أ. مور، الكيمياء البيئية، ص٤٩١.

فتهيئة فرص العمل ،وتنمية الاقتصاد آنياً لا يعني السماح بتخريب دائم ، وقتلٍ ممنهج[1] للأبرياء من خلال الأمراض التي تنتج عن التلوث الإشعاعي أو الكيميائي في الأطعمة أو الهواء المستنشق ،حتى غدا الحديث عن السرطانات والأمراض الغريبة شائعاً، بلا استغراب، وغدا إنسان اليوم كالذي يقف وسط حلبة صراع لا يعرف من أين تأتيه الضربات والأدواء!

وحول الأثر السمي للمركبات الكيميائية . في العملية الصناعية خصوصاً . يتحدث جون و. مور، وإليزبيث أ.مور:

"الصعوبة الرئيسية تكمن في السلوك المميز للسرطانات الكيميائية ،فعادة ما يكون هناك فترة كمون (latency period) بين التعرض وظهور الورم السرطاني..ومع وجود دليل على أنّ زيادة جرعة المادة المسرطنة تؤدي إلى زيادة فرص حدوث المرض ، إلا أنه على ما يبدو لا يشترط أن يكون التعرض مزمناً (متكرراً) فمجرّد أن يتلقى الفرد كمية كافية من المركب ؛ سواءً أكانت في جرعة واحدة أم في جرعات ممتدة على فترة سنوات، فقد يظهر السرطان على أي حال. [2]"

وهذا ليس كل شيء فالأدهى والأمر أجيال من الأيتام ، والمشوهين إما بشكل ظاهر أو باطني في الأحشاء والغد التي غدت لاتمارس دورها فصرنا نسمع عن السكري المبكر والغد التي تفرط أو لا تفرز الكافي من الحاثات و المستقلبات، أو حتى تتوقف عن الإفراز.

أما على السلوك السويّ، فالأفضل الاستماع للخبير، يقول د. إبراهيم بدران:

"لقد ثبت تأثيرات المتغيرات البيئية على السلوك العام ،ومن ثم فإن التلوث البيئي يؤثر على جينات الخلايا ،ويجعل الإنسان تحت تأثيرها مدى الحياة مما يدعوا إلى المرض والانحراف[3]".

الفصل الثاني :أدوات الاجتهاد البيئي الأهم

هي أدوات فقه المآل من سد ذرائع ومصلحة مرسلة في إصدار فتاوى تنتظم (التنمية المستدامة)، وتمهّد لإجراءات مدنية . أهلية وحكومية . تخدم التنمية المستدامة.

أما العمل على مسائل الأئمة دون مراعاة للضوابط المشددة التي وضعت على التخريج؛ فهو عمل مؤذن بالخروج على مقاصد التشريع، وغاياته في رعاية مصالح العباد، ومن المعلوم أنّ التخريج

---

1 يرجع الأصل اللغوي لـ(ممنهج) إلى (النهج) وهو الطريق الواضح ،عن القاموس المحيط ،وهو الطريق المستقيم ،عن لسان العرب قال تعالى :(لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا) [المائدة: ٤٨] واصطلاحاً في الشأن التعليمي ولكنه يفيدنا هنا المنهاج كنظام :الكل المركب من مجموعة من العناصر ،لكل منها وظائف خاصة به ، وتقوم بينها علاقات تبادلية شبكية ،تتضمن قوانين محددة ،بحيث تؤدي نشاطاً هادفاً له علاقات تبادلية مع النظم الأخرى المرتبطة به عن السامرائي وزملاءه،وقد نقلنا جميع المادة العلمية–بتصرف– عن السويدي،د.خليفة علي ،والخليلي،أ.د. خليل يوسف(المنهاج)ط١ دار القلم –دبي ١٤١٧هـ –١٩٩٧م،ص ٢٨ و٣٩.

2 مور، الكيمياء البيئية،ص٦٨٥.

3 بدران، د.إبراهيم أزمة المجتمع المصري بين التلوث البيئي والتلوث الفكري ، من أبحاث ،الدعوة والإعلام وقضايا البيئة ، ص٢٣.وقارن بأعراض مرض مينماتا؛ تأتي قريباً في المتن أعلاه.

على مسائل الأئمة، وهي فرعية لاشك[1]، قائم على تنقيح المناط وتخريجه، يقول أ.عبد الرحمن بن معمّر السنوسي:

"تحقيق المناط هو اجتهاد صرف؛ يقوم أساساً على تحقيق المدلول الاقتضائي في المشخّصات الحصولية ذات الوجود الخارجي المحسوس.

ومبدأ المآلات يعتبر من موجهات هذا الاجتهاد وأسسه؛ لأنّ التعدية الآلية لا تنهض بتحقيق الثمرة النوعية له، ولا يمكنها التنسيق بين مقتضى الأحكام الأصلية ، وبين ماصدقاتها الخارجية؛ لسبب محوري رئيس؛ هو عدم التفاتها إلى اختلاف الظروف المحتفة بالأشخاص والحوادث، واستخفافها بالآثار الحتمية لهذا الاختلاف والتمايز.

أضف إلى ذلك؛ أنّ أخذ الظروف الملابسة بعين الاعتبار يقتضيه أصل العدل في الإسلام؛ذلك أنّ تهميش دورها في بناء الأحكام الاجتهادية ينتج عنه حتماً الاختلال[2] البين في مصالح الخلق؛ مما يوحي بكون الشريعة لم تكن عادلة إلا مع أولئك الذين عايشوا التنزيل وعاصروا المرحلة النبوية من تاريخ التشريع؛ حيث راعت ظروفهم...لاشك أنّ هذا الافتراض منفي تماماً عن هذه الشريعة المباركة[3] "

وما قاله أ.السنوسي، قاله من قبل الأصوليون في أبحاث التخريج من مثل شاه ولي الله الدهلوي(١١٧٦هـ) الذي قال:

١ . لا ينبغي لمخرّج أن يخرّج قولاً لا يفيده نفس كلام أصحابه ولا يفهمه منه أهل العرف والعلماء باللغة، ويكون بناء على تخريج مناط أو حمل نظير المسألة عليها، مما يختلف فيه أهل الوجوه، وتتعارض الآراء ،ولو أن أصحابه سئلوا عن تلك المسألة ربما لم يحملوا النظير على النظير لمانع، وربما ذكروا علةً غير ما خرّجه هو وإنما جاز التخريج لأنه في الحقيقة من تقليد المجتهد، ولا يتم إلا فيما يُفهم من كلامه .

---

1 هي المسائل الاجتهادية التي لم ترد فيها نصوص صريحة واضحة ،أو وردت فيها نصوص ظنية دلالة وثبوتاً ،أو ظنية ثبوتاً لا دلالة ،أو ظنية دلالة لا ثبوتاً،وهذه المسائل هي التي تتسع لتعدد الآراء والاجتهادات ،ولا ينكر فيها على المخالف،وفروع المسألة هي المسائل الجزئية التي تتفرع من المسائل الكلية والعامة .فالشهادة في النكاح مسألة فرعية ؛تفرعت عن كلية النكاح،عن سانو، د.قطب مصطفى ،معجم اصطلاحات أصول الفقه ،حرف الفاء مادة(الفروع)ص٣١٧-٣١٨.

2 الاختلال أو(الْفُرُوقُ: إنَّمَا تَنْشَأُ عَنْ رُتَبِ الْعِلَلِ وَتَفَاصِيلِ أَحْوَالِ الْأَقْيِسَةِ فَإِذَا كَانَ إمَامُهُ أَفْتَى فِي فَرْعٍ بُنِيَ عَلَى عِلَّةٍ أَغْبَرَ فَرْعُهَا فِي نَوْعِ الْحُكْمِ لَا يَجُوزُ لَهُ هُوَ أَنْ يُخَرِّجَ عَلَى أَصْلٍ إمَامُهُ فَرْعًا مِثْلَ ذَلِكَ الْفَرْعِ لَكِنَّ عِلَّتَهُ مِنْ قَبِيلِ مَا شَهِدَ جِنْسُهُ لِجِنْسِ الْحُكْمِ فَإِنَّ النَّوْعَ عَلَى النَّوْعِ مُقَدَّمٌ عَلَى الْجِنْسِ فِي النَّوْعِ وَلَا يَلْزَمُ مِنْ اعْتِبَارِ الْأَقْوَى اعْتِبَارُ الْأَضْعَفِ وَكَذَلِكَ إذَا كَانَ إمَامُهُ قَدْ اعْتَبَرَ مَصْلَحَةً سَالِمَةً عَنْ الْمُعَارِضِ لِقَاعِدَةٍ أُخْرَى فَوَقَعَ لَهُ هُوَ فَرْعٌ فِيهِ عَيْنُ تِلْكَ الْمَصْلَحَةِ لَكِنَّهَا مُعَارَضَةٌ بِقَاعِدَةٍ أُخْرَى أَوْ بِقَوَاعِدَ فَيَحْرُمُ عَلَيْهِ التَّخْرِيجُ حِينَئِذٍ لِقِيَامِ الْفَارِقِ أَوْ تَكُونُ مَصْلَحَةُ إمَامِهِ الَّتِي اعْتَمَدَ عَلَيْهَا مِنْ بَابِ الضَّرُورِيَّاتِ فَيُفْتِي هُوَ بِمِثْلِهَا وَلَكِنَّهَا مِنْ بَابِ الْحَاجَاتِ أَوْ التَّتِمَّاتِ وَهَاتَانِ ضَعِيفَتَانِ مَرْجُوحَتَانِ بِالنِّسْبَةِ إلَى الْأُولَى وَلَعَلَّ إمَامَهُ رَاعَى خُصُوصَ تِلْكَ الْقُوَيَّةِ وَالْخُصُوصُ فَائِتٌ هُنَا وَمَتَى حَصَلَ التَّرَدُّدُ فِي ذَلِكَ وَالشَّكُّ وَجَبَ التَّوَقُّفُ).الإمام القرافي الفروق،ط١ دار الكتب العلمية، الفرق الثامن والسبعون ١٨٦/٢.

3 السنوسي، عبد الرحمن، اعتبار المآلات، ص٦١.

٢ . ولا ينبغي أن يردّ حديثاً أو أثراً تطابق عليه كلام القوم؛ لقاعدة استخرجها هو أو أصحابه كرد حديث المصرّاة وكإسقاط سهم ذوي القربى، فإن رعاية الحديث أوجب من رعاية تلك القاعدة المخرَّجة ،وإلى هذا المعنى أشار الشافعي حيث قال: مهما قلتُ من قولٍ، أو أصّلت من أصلٍ؛ فبلغكم عن رسول الله صلى الله عليه و سلم خلاف ما قلت فالقول ما قاله صلى الله عليه و سلم[1].

ونمثل لذلك بقضايا التلوث من تلوث ضوضائي ومائي(مياه جوفية وسطحية) وجوي(الهواء وطبقات الجو) وتربة(سطحية وعميقة) والغطاء النباتي والحفاظ على التنوع الحيوي لحيوان البيئة المحلية ضمن أعداده التي كانت قبل الكوارث الحديثة.

فنقول إن التلويث الزائد عن قدرة استيعاب البيئة محرم بكل أشكاله؛ لماله من أثر لاحق على البيئة وسكان البيئة ،وإن التساهل في هذا يعد تشريعاً للقتل غير الرحيم[2].

ففي محيطنا القريب بات الموت بالآفات السرطانية والعلل القلبية ، والإصابة بأمراض العصر من سكري و ارتفاع الضغط الشرياني، هاجساً مؤرقاً يهدد زهرة شبابنا، وفي حالات متعددة وجدنا أبناءنا في الثلاثينات وأحياناً تحت الثلاثينات يعانون هذه الآفات مما سيعني أجيالاً قادمة تحمل المزيد من الأمراض الوراثية المستعصية!

الفصل الثالث :العمل بالمعاهدات والاتفاقيات

حول العمل بالاتفاقيات والمعاهدات التي ترمي إلى حفظ البيئة والحد من التلوث ، يقول د. عبد الرحمن ابن فايع: "ويظهر لي . والله أعلم . أنّ العمل بمثل هذه المعاهدات والاتفاقيات . التي أشرف على وضعها خبراء ومختصون في هذا المجال . هو من باب الأخذ بالعرف، والعرف معتبر شرعاً بالشروط التي وضعها الفقهاء عند الحديث عن قاعدة(العادة محكمة[3])."[1]

---

1 الدهلوي،شاه ولي الله ،الإنصاف في بيان أسباب الاختلاف، ط١، ١٣٩٧هـ . ١٩٧٧م، دار النفائس، راجعه وعلق عليه عبد الفتاح أبو غدة، الباب الثالث، أسباب الاختلاف بين أهل الحديث وأصحاب الرأي، ص٦٣، وللتوسع في الضوابط الفقهية عند ابن نجيم ،زين العابدين بن إبراهيم،الأشباه والنظائر ط١ دار الكتب العلمية ١٤١٣هـ -١٩٩٣م و،السبكي ،تاج الدين عبد الوهاب بن علي ،الأشباه والنظائر ،تحقيق عادل عبد الموجود ،وعلي محمد عوض،دار الكتب العلمية ط١،(١٤١١هـ - ١٩٩١م)،وابن عبد الهادي ،جمال الدين يوسف بن الحسن الحنبلي ت(٩٠٩) القواعد الكلية والضوابط الفقهية ،تحقيق جاسم بن سليمان الدوسري ط١ دار البشائر الإسلامية بيروت ١٤١٥هـ -١٩٩٤م.

2 للتوسع عند العتيق، د. فؤاد، الله الإنسان والبيئة، ص١٩٧ ، فما بعدها حيث بين خطورة الانبعاثات الكربونية، وسأل: هل سنحول المحيط إلى بحيرة حامضية؟!

3 قاعدة العادة محكمة: كتاب القواعد، للحصني، ٣٥٧/١ ، الأشباه والنظائر ، لابن نجيم ، ١٥ و ١١٩، الأشباه والنظائر للسيوطي، ٩٣.
قلت: وهي مستنبطة من أثر ابن مسعود : ((مارآه المسلمون حسناً ، فهو عند الله حسن)) ، أخرجه صاحب: مسند الطيالسي ، ٣٣/١، رقم ٢٤٦، مسند أحمد ، ٣٧٩/١، رقم ٣٦٠٠، و٢٥٠/٦، رقم ٢٦١٧٥، تحفة الطالب ، ٤٥٥/١، وقال: هو مأثور عن ابن مسعود بسند جيد ، الدراية في تخريج أحاديث الهداية، ١٨٧/٢، رقم ٨٦٣، وقال: لم أجده مرفوعاً، وأخرجه أحمد موقوفاً على ابن مسعود بإسناد حسن، المقاصد الحسنة، ٣٦٨، رقم ٩٥٩، قلت: وعزاه لأحمد في كتاب السنة ، وقال: وهم من عزاه للسنة، قلت: بل وهم السخاوي

ونحن نشد على يدهم إذ هذا من قبيل التعاون على البرّ المطلوب بل المأمور بـه شرعاً؛ شرط الحذر من مكائد الهيئات المسيَّسة من قبل الأنظمـة الإمبرياليـة، ومثل هذا يشـهد لـه قولـه تعالى:﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٨)﴾ ﴿ الممتحِنة:٨﴾ [٢].

الفصل الرابع :الحل الآتي والموضعي لمشاكل البيئة

الإسلام لا يطلب من جهة أجنبية حل مشاكل غيرها ،بل لا بد من تخطيط وتنفيذ محلي لمشاكل التلوث واختلال التوازن البيئي.

فالمؤمنون في كل بقعة ينبغي لهم تحمل مسؤولياتهم تجاه البيئـة ، وبالتالي حسابهم على بيئتهم المحليـة دون غيرها ، أخذاً من قولـه تعالى : ﴿ ولا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾ ﴿الانعام: ١٦٤﴾وقولـه: ﴿ وَأَنْ لَيسَ لِلإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴾ ﴿ النجم: ٣٩ ﴾، وقولـه: ﴿ ولا تكْسِبُ كلُّ نفسٍ إِلَّا عَلَيها ﴾ ﴿ الانعام: ١٦٤ ﴾، وبما خرّجه النسائي عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((لا يصلي أحد عن أحد ولا يصوم أحد عن أحد ولكن يطعم عنه مكان كل يوم مدا من حنطة)).

وفي لبنان تجري أبحاث ودراسات مبدئية ،وبرامج وقاية تدعم من قبل وزارة الزراعة ،وبعض الندوات تقام في المراكز الصحية التابعة لدار الفتوى.

الفصل الخامس :التخطيط البيئي للمدن(النظم التقليدية للملكية والمرافق):

يعد الحديث عن التخطيط البيئي للمدينـة حديث الساعة وهمَّ العصر إذ يحمل وقايـة وعلاجاً مسبقاً للعديد من المشاكل البيئية المستعصية.

وفي دراسة مستفيضة بحث د.جميل عبد القادر أكبر[٣] الشروط البيئية والعمرانية السليمة للمدن الحديثـة والتقليديـة ،وبيّن بمـا لا يدع مجـالاً لأي شك أن التشريع الإسلامي المتنـاول للملكيـة الفرديـة والعامة يؤمن أفضل العناية بأعيان البيئة، استدامةً وتنمية، ومثّل لذلك بالمقارنـة بين النظم العمرانيـة التقليدية المستقاة من الإسلام ، و النظم الوضعية المتأثرة بالمنجزات الغربية القائمة أساساً على ميزان الحقوق الوضعي ، وجاء بعشرات وقل المئات من الأدلة الواقعية، وقد جاء بحثه الشرعي معتمداً على

لنه موجود في المسند كما مرّ، وقال: هو موقوف حسن، ومثله تمييز الخبيث من الطيب، ١٦٣، رقم ١٢٠٦، أسنى المطالب، ٣٩٠، رقم ١٢٥٨، قلت :ووهم كالسخاوي، كشف الخفاء، ٢٤٥/٢، رقم ٢٢١٤، وقالوا: موقوف حسن.

[1] ابن فايع، د. عبد الرحمن، أحكام البحر في الفقه الإسلامي، ص٤٢٦.

[2] للمزيد حول تفسير الآية عند ،ابن كثير، أبو الفداء، إسماعيل،تفسير القرآن العظيم ، ط١، ١٤١٤هـ . ١٩٩٤م، دار الكتب العلمية . بيروت ٣٢٧/٤.

[3] د.جميل من خريجي (MIT) معهد مساتشوستس في الولايات المتحدة وهو من أصول بخارية كما ذكر عن نفسه في كتابه المذكور .

كتب الفقه الإسلامي خصوصاً المعني منها بحقوق الارتفاق ،والنوازل الناشئة عن اختلاف أنواع النشاط البشري،مثل المعيار المعرب للونشريسي[1](٩١٤هـ).

وما قاله د.أكبر قاله من قبل أحد كبار المهندسين الأمريكيين ونشرته مجلة المختار Readers Digest [2]،وبين فيه أن التخطيط المعاصر للمدينة نشر الفلتان الأمني في الأحياء والمدن نظراً للفراغ الكبير بين العقارات ومصفات السيارات الواسعة أسفل العمارات ، والتي باتت تؤي شريدي العدالة ،وتخيف الآمنين حتى بات المرور في تلك الشوارع والأحياء في المساء بعد الإقفال ،وعند هدوء الحركة مغامرة مزعجة للخوف على الحياة والممتلكات، وعرَض المهندس بتوسيع الشوارع في الأسواق المزدحمة لما يسمح ذلك من دخول للسيارات وعرقلة للسير في الوقت الذي تكون الأقدام الوسيلة الأفضل للتنقل في الأسواق الكبرى ،وفي أسواق دمشق وحلب وإسطنبول الأثرية(البازارات) أكبر دليل على صدق المهندس الأمريكي.

بينما تؤمن النظم التقليدية توسيعاً للملكية الفردية التي تولي عناية أكبر بأعيان البيئة حيث لا يسمح الفرد بممتلكاته ما يسمح بالممتلكات العامة التي بات توسيعها سبباً رئيساً للفوضى والإهمال الناشئ عن الفساد الإداري والروتين ؛الأمر المنتفي تماماً في الملكية الفردية.

وبما أنّ نُظُمَ بناءِ وتخطيط المدن التقليدية في الشرق الإسلامي مستقاة بصورة كبيرة من الشرع الإسلامي عبر ما يعرف بأحكام الملكية وحقوق الارتفاق، فإعادة الاعتبار لها إنما هو إعادة اعتبار للشرع الذي أظلّها ورعاها، حتى احتوت بغداد قبل ما يقرب من ألف سنة على المليون ساكن إبّان الغزو المغولي[3].

الفصل السادس :التعامل مع مخلفات التنمية والاستهلاك البشري

كان من كمال عناية الله تعالى أن جعل تبدد وانحلال المركبات سبباً لإعادة دورة الحياة ؛ فالأجسام الحية عندما تتحلل تعيد تغذية الترية لتغذي بدورها الكائنات الحية من نبات وحيوان، وهكذا تستمد السلسلة الغذائية غذاءَ يجدد طاقتها.

1 أكبر، د.جميل عبد القادر،عمارة الأرض في الإسلام نشر مؤسسة الرسالة بيروت –دمشق.
وللتوسع حول المدنية الإسلامية عند السيد، د.رضوان،المدينة والدولة في الإسلام، وجعيط، د.هشام، الكوفة: نشأة المدينة الإسلامية، مراجعة د. رضوان السيد، البحثان منشوران في مجلة الاجتهاد، العدد السابع، السنة الثانية، ربيع ١٩٩٠م/١٤١٠هـ تصدر عن دار الاجتهاد . بيروت، ص ٢٢٩ وص٢٩٣.

2 للأسف ليس العدد المشار إليه من مجلة المختار بين يدينا الآن .

3 حول كائنة سقوط بغداد بيد المغول عند ابن كثير ، البداية والنهاية، ٢١٥/١٣.، حيث اختلفوا في تقدير عدد القتلى فضلاً عن الأحياء وأقل رقم هو ثمانمائة ألف قتيل، ٨٠٠،٠٠٠.ابن كثير، البداية والنهاية، ط٣، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، دار الكتب العلمية . بيروت. وللتوسع عند الذهبي، تاريخ الإسلام، ط١، ١٤١٩هـ . ١٩٩٩م،دار الكتاب العربي، بدون رقم مجلد ،تحقيق د.عمر عبد السلام التدمري، حوادث ٦٥١-٦٦٠هـ، ص٢٩٠ في ترجمة الوزير ابن العلقمي.

أما التدخل البشري عبر المخلفات الكيميائية والمشعة التي باتت تلوث البيئة وتقتل أحياءها بدءاً بقاعدة السلسلة الغذائية حتى أعلى الهرم الغذائي، فقد هدد الأمن الغذائي في كثير من مناطق العالم[1]، وجعل التغذية مرارة مغمسة بالتلوث مهددة بالندرة.

إن التعاون المحلي لوقف التلوث وإعادة تدوير مخلفاته بعد معالجتها سيفتح آفاقاً جديدة للتنمية المحلية ، وسيؤمن بإذن الله فرصاً إضافية للعمل سواء لمن هم في أعلى درجات العلم والاختصاص، أو في أدنى درجات سلم العمل[2].

الفصل السابع :إعادة هيكلة البنية التحتية وعلاقات الإنتاج للزراعات والصناعات حسب المقاييس الشرعية التي تراعي مقاصد الشريعة في حفظ أعيان البيئة من الاستنزاف ،واستدامة الانتفاع البشري بتلك الأعيان

لقد أدى الاستيراد المبتور لوسائل الإنتاج إضافة إلى أن الإنتاج في البلدان النامية في كثير من أجزائه هو خدمة للمجتمعات الغربية بطريق التصدير أو الاستهلاك ،إلى العمل بظروف مأساوية بالنسبة للعمالة أو البيئة.

والحكم الشرعي يتجاوز جدران المساجد ويخترق المزارع والمعامل ،وفي مسعى لضبط عمليات الإنتاج في الصناعة والتجارة تقوم هيئات علمية مشكورة بدعم البحث الشرعي في تلك الوسائل لتكييفها شرعاً.

إلا أن المجال لم يزل رحباً للبحث والعمل، ففروع الصناعة الحديثة لم يتم استيعابها بعد في الذاكرة الفقهية للأمة الإسلامية نتيجة تقلص سلطان الشريعة في كثير من بقاع الأرض مما خلف فراغاً تشريعياً في التكييف لأدوات الإنتاج وقوانين العمل و ناتج هذه الصناعات من سلع و مخلفات .

إن دراسات شرعية يجب أن تتم بشكل اختصاصي لكل فرع من فروع الزراعة والصناعة كل على حدة ،وعلى الهيئات العاملة في هذه المجالات دعم وتمويل البحث الشرعي ،لأنه ثبت بشكل قاطع في النصوص السمعية والتجربة التاريخية؛ أنّ الأنظمة المستظلّة بالشريعة الإسلامية هي الأقدر على الاستمرار، والتجدد.

لقد برهن فقهاؤنا القدماء على رؤية بيئية ناصعة مستقاة من الشريعة الإسلامية تراعي أحكام الشرع ومقاصده، مما جعل من البلاد المحكومة بالإسلام أفضل بلاد الدنيا وأجملها ،ويقول

---

1 للتوسع عند مور، جون وإليزابيث بحث (المخلفات الصلبة) الفصل الثالث عشر في كتابهما (الكيمياء البيئية)،ص٤٩٩، و(مايمكن للشركات أن تفعله) عند العتيق، د. فؤاد في كتابه (الله الإنسان والبيئة) ص٣٦٥، وأيضاً عند الحفار،د. سعيد محمد، علم السرطان البيئي، حيث قال في ص٧٦.٧٥ د. الحفار: الكادميوم وانتقاله في السلاسل الغذائية مسؤول عن حالات سرطانية خطيرة..حيث يدور في حلقة من التربة إلى الهواء فالغذاء ، وينتشر الكادميوم بكثرة في بيئة تتسم بوجود الصناعات الثقيلة ، حيث ينتشر في الهواء ، ويدخر في التربة في النباتات ..والمهم أنّ الكادميوم سواءً أدخل عن طريق الغذاء أو الهواء أو الشراب؛ يدخر في نسج الكائن الحي بسهولة ، وعلى كافة المستويات، ..و..آثاره الخطيرة تتجلى على الإنسان على شكل أورام خبيثة تصيب الكبد والكليتين،

2 للتوسع عند: أحمد، د.فاضل حسن، هندسة البيئة، الفصل الثامن، الفضلات الصلبة، ص٢٥٣.

المؤرخون :إنه في الوقت الذي كانت المرأة الإنجليزية :(لعلها في العصر الفيكتوري) ترمي الفضلات السائلة(البول) من شباك بيتها إلى الشارع؛ كانت المدن الإسلامية في شرق إفريقية فضلاً عن حواضر الإسلام تتمتع بشبكة تصريف صحي .

من ذلك قول ابن الديبع الشيباني(٩٩٤هـ): "منكرات الشوارع:

كوضع الأسطوانات،والدكات،وإخراج الروشن والأجنحة، وربط الدواب على الطريق، وسوقها مع الشوك أو الحطب بحيث يمزّق ثياب الناس ، وطرح القمامة على الطريق، ورشّ الماء بحيث يخاف منه التزلّق، وإرسال الماء من الميازيب في الطريق الضيقة طالقاً الثلج والماء المجتمع في الطريق ، ولو كان له كلب عقور على باب داره وجب منعه. [1]"

إنّ الدمج بين العصور الإسلامية، وصبغ التاريخ الإسلامي بصبغة العلمانيين الذين سيطروا على مقاليد الحكم في العصر الحديث؛ في مختلف بلاد الإسلام فأفسدوا البنية التقليدية ، وانتقوا أفسد ما في الحضارة الغربية ، دون مبالاة بتأخر بلادهم أو تجييرها لصالح الأعداء، نقول: إن هذا الدمج لن يفيد بشيء لأن صورة الإسلام الناصعة لا تزال ماثلة في يقين وقلب الأمة.

وفي بحوث مطولة في كتب الأحكام السلطانية وكتب أحكام الحسبة بيّن الفقهاء بالتفصيل واجبات الحاكم تجاه الإنسان والبيئة، مما يشكل أرضية جاهزة في العديد من القضيا الجزئية التي لا يزال معمولاً بها في عصرنا، ولكن لا ينبغي قياس القضايا الكبرى والخطيرة على تلك الأحكام بطرق تخريج المناط وغيره من طرق الاستنباط لأنه سيعطي لما يتفاحش ضرره أحكام ما ضرره بسيط، ولوكان معتبراً!

فالقضايا الكبرى التي تمس أمن الوجود البشري تستحق إعمال آلة الاجتهاد المعاصر لحصر الضرر والوقاية منه ولو بعد حين.

وفيما يلي أسماء بعض الكتب التي اعتنت بالأحكام الراعية للبيئة (دون تسميتها بهذا الاسم):

١ . فصول الأحكام وبيان ما مضى عليه العمل عند الفقهاء والحكام لأبي الوليد الباجي (٤٠٣-٤٧٤) هـ[2].

٢ . البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل في مسائل المستخرجة لأبي الوليد ابن رشد القرطبي ت ٥٢٠هـ[3].

٣ . مجموع فتاوى الإمام ابن تيمية ت٧٢٨هـ[1].

---

1 ابن الديبع الشيباني، وجيه الدين، عبد الرحمن بن علي (٨٦٦-٩٤٤هـ . ١٤٦١-١٥٣٧م)كتاب بغية الإربة، في معرفة أحكام الحسبة، دراسة وتحقيق د. طلال بن جميل الرفاعي،ط١، ١٤٢٣هـ . ٢٠٠٢م، جامعة أم القرى مكة المكرمة.

2 طبع بأمر من الملك الحسن الثاني بتحقيق الأستاذة الباتول بن علي نشر وزارة الأوقاف المغربية ١٤١٠هـ-١٩٩٠م .

3 له طبعة معتنىً بها من قبل جماعة من الباحثين أعد فهارسه د.محمد حجي وأ. سعيد أعراب ط١ دار الغرب الإسلامي بيروت ١٤٠٧هـ -١٩٨٧م.

٤ . المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب لأبي العباس أحمد بن يحيى الونشريسي المتوفى بفاس (٩١٤هـ)[٢].

٥ . من المتأخرين ذوي العناية: ابن عابدين(١٢٥٢هـ) في حاشية رد المحتار على الدر المختار[٣].

يجد الباحث أحكام العناية بأعيان البيئة مبثوثة في هذه الكتب، مشروحة ومعللة في العديد من المواضع؛ مما يؤهل الباحث المتمرّس بتلك الكتب ليصبح مرجعاً في الاجتهادات المتعلقة بأحكام البيئة، ويعطيه باعاً واسعاً وفهماً عملياً للمصلحة الشرعية المعتبرة بأقصر الطرق وأوضحها إلى الكتاب والسنة .

أمّا البحث في كتب الأصول دون الفروع ،وإعمال أدوات الاستنباط فوراً بالوقائع المعاصرة بحجة مقاصد الشريعة أو التخريج على مسائل الأئمة، فسينتج كارثة تلبس ثوب الشريعة زوراً تضاف إلى كوارث البيئة والأمن الذي تعاني منه الأمة.

ذلك أنّ المسائل المبثوثة في بطون تلك الكتب قد ربطت بأدلتها، وفسرت طريقة الاستنباط، وعلى ذلك هي كثيرة ومتعددة.

المطلب الرابع :أنماط التلوث وينقسم إلى مباحث مثل :

المبحث الأول :التلوث الغازي

يعدّ التلوّث الكربونيّ الناتج الأول والأهم لعمليات توليد الطاقة المستخدمة للوقود الأحفوري[٤]؛ سواء في محطات توليد الكهرباء أو المصانع المختلفة أو وسائط النقل على اختلافها[٥].

ويلعب غاز ثاني أوكسيد الكربون دوراً مهمّاً بالإضافة إلى غاز الميتان في حالة الدفيئة التي تمر بها الأرض في الآونة الأخيرة.

يقول د.فؤاد العتيق:" منذ بداية العصر الصناعي؛ أي منذ عام ١٧٥٠م تقريباً، ساهم كلّ ما أنتجناه من غاز في «إدخال إشعاعي» في الجو بلغ ١% من الأشعة المتلقّاة ، وبعبارة أخرى : من

---

1 جمع وترتيب وضبط عبد الحمن بن محمد النجدي الحنبلي وابنه محمد ،له عدة طبعات منها طبعة دار عالم الكتب١٤١٢هـ ١٩٩١م.

2 له طبعة حسنة أمر بها الملك الحسن الثاني بمناسبة مطلع القرن الخامس عشر الهجري،نشر وزارة الأوقاف لمملكة المغربية ،ودار الغرب الإسلامي– بيروت، خرجه جماعة من الفقهاء بإشراف د.محمد حجي ١٤٠١هـ– ١٩٨١م.

3 له طبعة فائقة تخرج تباعاً بعناية د.حسام الدين فرفور، عن معهد جمعية الفتح الإسلامي بدمشق، شعبة البحوث والدراسات، يطلب من دار الثقافة والتراث بدمشق، وصدر المجلد الأول قسم العبادات . الطهارة، في ١٤٢١هـ . ٢٠٠٠م.

4 مور، جون وإليزابيث، الكيمياء البيئية، ص١٤١.

5 للتوسع حول الأثر المسرطن لهذه الانبعاثات عند الحفار، د. سعيد محمد، علم السرطان البيئي، ص٧٥.

خلال إصدار هذه الغازيات لمفعول الدفيئة؛ هكذا غير الإنسان الأوضاع وكأنّ الشمس زادت قوتها حوالي ١%. [1]"

لذلك كان لابد للفقه الإسلامي من مواكبة هذا الخلل الكبير الذي أحدثته الانبعاثات الحرارية للأنشطة البشرية، وقد بذل د. عبد الله بن عمر السحيباني جهداً مشكوراً في مجال التلوث الغازي، بالإضافة إلى عدد من الباحثين الجادين الذين نأمل زيادة عددهم واختصاصاتهم[2].

المبحث الثاني :التلوث المعدني (الإشعاعي)

خلق الباري تعالى الأرض وبث فيها أقواتها، ومن هذه الأقوات عناصر أو معادن ثقيلة لها نشاط إشعاعي ، واستعمال هذه الإشعاعات بمقادير مدروسة له فاعلية طبية وصناعية لا تنكر .

لكنّ هوس الإنتاج والإغراق بالخدمة لتسهيل وزيادة الاستهلاك؛ أدى إلى تضخم عمليات تنشيط هذه المعادن مما أفرز تلوثاً إشعاعياً أصبحت أجهزة الرصد الإشعاعي ترتعش في أكثر أوقاتها لتدق ناقوس الخطر حول مستقبل العالم [3].

إنّ إنتاج الطاقة النووية المعتمدة على المواد المشعة قد يسمح به بشروط مشددة لمسيس الحاجة إليه، أما إنتاج أسلحة الدمار الشامل المعتمدة على هذه المواد يعد أمراً ينبغي التيقظ له إذ إنه يهدد الأحياء والأجيال القادمة؛ دون فرصة واضحة لتلافي الآثار المستقبلية المدمرة.

أما التلوث الذي يصيب الهواء والمياه بأنواعها(سطحية وجوفية) والتربة والعضوية(الأنسجة الحية عند الإنسان والحيوان) فإنه بتقديرنا راجع إلى طرح الغازات والمعادن والمواد الكيميائية المصنعة بكثافة ورعونة في تلك الأعيان .

المبحث الثالث :التلوث غير الإشعاعي

تنتشر في البيئة جملة ملوثات خطيرة تهدد بقاء بعض الأنواع، وتحدث تغييرات جينية في بعضها الآخر، مما يؤذن في الغد الآتي بأنماط ضعيفة ومنحدرة من الأنواع التي تستمر في الحياة، فمن ذلك ما ذكره د.سعيد محمد الحفار[4]":

المواد الملونة: الصباغات الكيميائية التي تضاف لكثير من أنواع الغذاء والشراب والتي ثبت أنّ كثيراً منها مسبب للسرطان، لذا يمنع استعمالها في البلدان المتقدمة، مادة تلو الأخرى بعد التأكد من أذاها.

---

1 العتيق، د. فؤاد، الله الإنسان والبيئة، ص٦٩.

2 السحيباني: د.عبد الله بن عمر، أحكام البيئة في الفقه الإسلامي.

3 للتوسع عند مور، جون وإليزابيث، الكيمياء البيئية،ص ١٩٣ فما بعدها، وعند كارتسيف، فلاديمير وخازانوفسكي، بيوتر، آلاف السنين من الطاقة، ترجمة محمد غياث الزيات، سلسلة عالم المعرفة /١٨٧/ المحرم ١٤١٥هـ. يوليو/ تموز ١٩٩٤م، الفصل الخامس ص٢٠٩.
وحول كارثة تشيرنوبل عند: حمزة، وصال عفّت، الكوارث الطبيعية، ط١، ١٤٢٣هـ. ٢٠٠٣م، دار ابن حزم. بيروت ص١٥٥.وعند مور، الكيمياء البيئية، ص٢٠٥.

4 أستاذ في جامعتي دمشق وقطر ، عضو الجمعية السورية لمكافحة السرطان، خبير البيئة في اليونسكو.

بعض المواد الحافظة: التي تضاف للمعلبات، يضاف إلى ذلك أنّ بعض السموم تنتقل إلى طعام الإنسان من علب الحفظ نفسها ، منها:

الكادميوم **Cadmium**: الذي تستعمل مادته في الطلاء الداخلي للعلب المعدنية،(علب حفظ الحليب المجفف) ، ولكن هذه المادة لا تنتقل إلى جسم الإنسان إلا عند تعرض العلبة إلى الرطوبة أوالحموضة.

المبيدات: كشف المجلس الوطني للبحوث في الولايات المتحدة النقاب عن الويلات الناتجة عن رش ٦٠ ألف طن من المبيدات النباتية الصرفة (بين١٩٦٤م . ١٩٧١م) أي بمعدل (٢٦ كيلوغراماً للهكتار الواحد) كان من بينها : أثرها على الوراثة وولادة أطفال مصابين بتشقق في سقف الحلق وفي الشفاه، بحيث بلغت نسبة التشوه في عام ١٩٦٩: ١١٢ طفلاً لكل ألف مولود في مشافي سايغون.

ويضيف د. الحفارحول أثر هذه الأنواع من التلوث: وهكذا نرى أنّ السرطان يجد سبباً لوجوده في أفعال كيميائية غير مرغوبة ، أو في أفعال كيميائية تترجم آثارها إلى أفعال كيميائية غير مناسبة في البدن ؛ تؤدي إلى حدوث تغيير جوهري في البيئة الحيوانية للخلية من حيث نسب الحديد والحموض الأمينية والمستوى الخميري ، تكون كلها سبباً في قلب الخلية من خلية سويّة إلى خليّة خبيثة.[1]"

المبحث الرابع :انتشار التلوث

بسبب حركة الرياح، والتيارات البحرية، وانتقال الأفراد والحيوانات، لا ينحصر نطاق التلوث في بقعة ما، فلا يمكن الحديث عن ضرر محدود في بقعة جغرافية دون الحديث عن أثر عام لهذا التلوّث، يتجاوز حدود البؤرة المعنية.

وعن التلوث الذي يمكن أن يلحق البحار والمحيطات اطلعنا على بحث موسع قام به د. عبد الرحمن بن أحمد ابن فايع، بعنوان "أحكام البحر في الفقه الإسلامي" ناقش فيه مختلف الأنشطة الدينية والعملية والرياضية التي تمارس على البحر أو مخلوقاته من حيتان وأسماك، وتكلم في المبحث الخامس عن الضمان في تلويث البحار وقرر:"إذا تلوّثت البيئة البحرية بفعل أحد؛ فإن الأضرار التي تنتج عن هذا التلوّث لا تقرّ شرعاً، بل يُطلب إزالتها بقدر الإمكان؛ عملاً بقوله ﷺ : ((لا ضرر ولا ضرار[2]))".

---

1 الحفار، د. سعيد محمد ، علم السرطان البيئي، ص٧١. ٧٢.

2 أخرجه صاحب: موطأ مالك ، ٧٤٥/٢، رقم ١٤٢٩، يحيى المازني، مسند الشافعي، ٢٢٤/١، مسند أحمد ، ٣١٣/١، رقم ٢٨٦٧، عن ابن عباس ، و٣٢٦/٥، رقم ٢٢٨٣٠، عن ابن الصامت، ورقم ٢٣٤١، عن ابن عباس، المراسيل لأبي داود، ٢٠٧، رقم ٢، قلت: عن واسع بن حبان، بلفظ: لاضرر في الإسلام، الآحاد والمثاني، ٢١٥/٤، رقم ٢٢٠٠، عن ثعلبة بن أبي مالك، المعجم الكبير ، ٨٦/٢، رقم ، ١٣٨٧ ، و٢٢٨/١١ رقم ١١٥٧٦ و ١١٨٠٦ ، المعجم الأوسط ، ٩٠/١ ، رقم ٢٦٨، عن عائشة ، قلت: بلفظ ((لا ضرر ولا إضرار)) ، و٣٠٧، رقم ١٠٣، سنن الدارقطني، ٧٧/٣، رقم ٢٨٨، عن الخدري، و٢٢٧/٤، رقم ٨٢، المستدرك، ٦٦/٢، رقم ٢٣٤٥، وقال عقبه : حديث صحيح الإسناد على شرط مسلم ، ولم يخرجاه..، نصب الراية ، ٣٨٤/٤- ٣٨٦، رقم ٧٩٧٠- ٧٩٨٠، قلت: جمع مرويات من سبقه، فيض القدير، ٢٦٨/٦و٤٣٢، قلت: وعزاه لمن سبق ، وقال نقلاً عن العلائي: للحديث شواهد ينتهي مجموعها إلى درجة الصحة، أو الحسن المحتج به، صحيح سنن ابن ماجه، ٣٩/٢، رقم ٢٣٤٠/١٨٩٥، قلت: وقال: صحيح عن ابن الصامت، ورقم

ولايوجد هناك نص على عقوبة مقدرة لفاعل التلوث، فيمكن لولي الأمر أن ينظم الأحكام المتعلقة بتجريم هذا السلوك تجريماً تعزيرياً[1]"

المبحث الخامس :أسلحة الدمار الشامل

يغدو صعباً الحديث بعيداً عن نبض الشارع، وأبنائنا الذين قضوا أو لا يزالون يعانون من آثار استعمال الأسلحة المحرمة دينياً ودولياً، أو الأسلحة التي لم يصدر الأمر بتحريمها من الهيئات الدولية المختصة؛ نظراً للسريّة التي تحيط إنتاجها والتكتّم الذي يلفّ التحقيقات حولها!

في حواره مع الخبير الدولي داي ويليامز[2]، أظهر مذيع قناة الجزيرة . أحمد منصور . فظاعة ما جرى في غزة، وهول المأساة التي لايزال يعاني منها من بقي على قيد الحياة من سكان القطاع، بل الأثر يتجاوز غزة إلى مصر والعالم من بعدها!

يقول داي ويليامز:" سيكون هناك أكثر من مائة نوع من الأسلحة التي ربما استخدمت في مثل هذا النزاع كما حدث في العراق وفي أفغانستان، ولها آثار تلوث مختلفة، الفوسفور[3] والتلوث بالفوسفور سيخلق حامضا ممكن أن تغسله مياه الأمطار إذا ما أمطرت السماء في غزة.

٢٣٤١/١٨٩٦ ، وقال: صحيح بما قبله عن ابن عباس، سلسلة الأحاديث الصحيحة ، ٤٤٣/١ . ٤٤٨ ، قلت: وقال كما مر معي: حديث صحيح ورد مرسلاً ، وروي موصولاً عن أبي سعيد ، وابن عباس ، وعبادة ، وعائشة ، وأبي هريرة، وجابر، وثعلبة.

قلت: ورد الحديث بألفاظ متعددة كالآتي: ((لاضرر ولا إضرار)) و ((لاضرر في الإسلام ولا إضرار)) و ((قضى رسول الله أن لا ضرر ولا ضرورة)) و((لاضرر ولا ضرار)).

وعن لفظة (الضرر) و(الضرار)، قال ابن عبد البر في التمهيد، ١٥٨/٢٠ : إنهما لفظتان بمعنى واحد، وقال ابن حبيب: (الضرر)عند أهل العربية: الاسم ، و(الضرار): الفعل ، وقال عن معناهما : (لاضرر): لا يدخل على أحد ضرر لم يدخله على نفسه، و(لاضرار) : لا يضارّ أحد بأحد، وقال الخشني: (الضرر) الذي لك به منفعة ، وعلى جارك فيه المضرة، و(الضرار) :الذي ليس لك فيه منفعة، وعلى جارك فيه المضرة. قال عقبه ابن عبد البر: وهذا وجه حسن المعنى في الحديث.

والمهم: أنّ الحديث هو من أهم القواعد وأشملها فروعاً ، ولها تطبيقات واسعة في الفقه ، وهي الأساس لمنع الفعل الضار، كما قال الندوي في القواعد الفقهية، ٢٤٢.

ومن هذا الحديث استنبط العلماء قاعدة : ((الضرر يزال)) .كتاب القواعد لحصني، ٣٣٣/١، الأشباه والنظائر، لابن نجيم ،٨٥، الأشباه والنظائر، ١٥و ١١٢.

والأهم أن الفقه كله يرجع إلى اعتبار المصالح ودرء المفاسد . تلويث البيئة . بل قد يرجع الكل إلى اعتبار المصالح، فإن درء المفاسد من جملتها، كما قال ابن عبد السلام في قواعد الأحكام، ١٠٥، وعزا إليه السيوطي في أشباهه،١٥.

1 ابن فايع، د.عبد الرحمن بن أحمد، أحكام البحر في الفقه الإسلامي، ط١٤٢١،١هـ . ٢٠٠٠م، دار الأندلس الخضراء: السعودية . جدّة ، دار ابن حزم . بيروت، ص٤٢٢.

2 خبير أسلحة بريطاني.

3 يقول العميد الركن المتقاعد في الجيش اللبناني "وليد سكرية" أن خطر قنابل الفوسفور الأبيض كبير جداً على المدنيين لأنها عندما تصيب أحداً تستمر في حفر وخرق الجلد ، حتى تصل إلى العظام..إنّ هذه القنابل التي تظهر في صورة دخان أبيض تعد أداة مزدوجة للقتل وللحرب معاً حيث تستخدم لإضاءة المواقع العسكرية لكشف أماكن المقاومين، وفي الوقت نفسه تؤدي إلى إصابتهم بالعمى.عن مجلة المجتمع، العدد ١٨٣٥ . ٢٠ محرم ١٤٣٠هـ. ٢٠٠٩/١/١٧م، ص١٠.

لكن لو أنّ قطعاً من ذلك تبقى في الغرف أو الأماكن عندما تتعرض للهواء القطعة المتبقية تبدأ بالاشتعال والاحتراق؛ هذا يشبه أنواعا من القنابل العنقودية، أنا لم أسمع عن استخدام قنابل عنقودية هذه المرة في غزة وإن شاء الله آمل أنها لم تستخدم!

لكن بالتأكيد الفوسفور هو خطر على المدنيين كأفراد فإذاً هو مادة غير مسؤولة إذا ما استخدمت.

أما المواد الأخرى فأكبر بواعث قلقي لو أن اليورانيوم وأسلحته قد استخدم، وأكثر الاحتمالات سيكون ضد الأنفاق في رفح، والهدف من ذلك هو تسميم الأرض؛ لأنه كلما حاول شخص أن يفتح نفقا بعد ذلك سيستنشق غبار اليورانيوم؛ وعند ذاك ربما سيموتون بسبب الفشل الكلوي في غضون أسابيع...من الأبحاث التي رأيتها الفوسفور يحترق بتسعمائة درجة مئوية، النابالم ١٣٠٠..اليورانيوم خمسة آلاف درجة مئوية[1]؛.. هذه هي حرارة سطح كوكب الشمس، إذاً أي شخص يكون قريبا من مكان الانفجار عندما تكون لديهم حروق وميضية بدلا من النابالم الذي يحرق حرقا كاملا فالشخص القريب يحترق من حرارة الانفجار ورأيتم ذلك في العراق في العام ١٩٩١، تتذكرون صور بعض الناس الذين حرقتهم أسلحة يورانيوم في الدبابات تحولوا إلى فحم والأجزاء من أجسادهم التي تعرضت للنار، أيضا مطار بغداد في العام ٢٠٠٣ كانت هناك تقارير حظرت من النشر من قبل الرقابة، الضحايا كانت تجد جزءا منهم أسود متفحما تماما والجزء الثاني من الجسم سليم تماما هذا يعني أن هناك قنابلا حرارية شديدة الحرارة.

من وجهة نظر غزة الأمر الجيد بالنسبة لهم هو أنني لم أر الكثير من هذه الحروق الشديدة في التقارير التي رأيتها حتى الآن لكن هذا يعني أن الأطباء في تلك المناطق عليهم أن يتعلموا عن الأسلحة الجديدة والذخائر الجديدة لأنهم سيرون حروقا جديدة ولا شك وهذا ربما سببه الفوسفور أو مواد متفجرة أو ربما يورانيوم أو مواد متفجرة أخرى حارقة.[2]

وحول الموقف القانوني(الوضعي) بالنسبة للاتفاقات الدولية ، يقول د. السيد مصطفى أبو الخير[3] أنّ استخدام السلحة المحرمة دولياً يشكل مخالفة واضحة للقانون الدولي ، وميثاق الأمم المتحدة ، وأنّ هذه الأسلحة المستخدمة في هذه الحرب(على غزة ٢٠٠٩م) سواء قنابل الفوسفور أو القنابل الارتجاجية، طبقاً لاتفاقيات جنيف الأربع، والبروتوكولات الملحق بها..ويضيف:"إن المادة (٤/٥١) من البروتوكول الول لاتفاقية جنيف يحظر الهجمات العشوائية . ويقصد به: السلاح الذي له آثار لاتُميّز؛ إما بسبب خصائصه المتأصّلة فيه، أو بسبب طريقة استخدامه ، أو بكليهما معاً ، ومن

---

[1] حول الأسلحة النووية والسيناريو المحتمل لحرب نووية ، يمكن الرجوع إلى هارول، د. مارك أ، الشتاء النووي تأثيرات الحرب النووية على الإنسانية وعلى البيئة، ترجمة عبد الله حيدر، ط١٩٨٦م ، دار الرقي . بيروت، ص٧٨، إذ يقرر د. هارول مثل ما يقرر داي، ومع الأسف أضحت هذه السيناريوهات واقعاً متكرراً يمارس ضد الإنسان في بلاد العرب وغيرها.

[2] داي ويليامز في (بلا حدود) برنامج على قناة الجزيرة القطرية يقدمه أحمد منصور في ٢٠٠٩/١/٢١ عبر htt://www.al jazeera .net

[3] الخبير المصري في القانون الدولي والمنظمات والعلاقات الدولية.

ذلك الأسلحة العنقودية...إضافة إلى القنابل الفوسفورية والقنابل الارتجاجية، وهذه الأسلحة تُشكّل خطراً على المدنيين، وإمكاناتها التدميرية هائلة، واستخدامها يعدّ جريمة حرب.[1]"

المبحث السادس :الأحكام الإسلامية حول استعمال الأسلحة

أ . ضد المدنيين: محرم استعمال السلاح إن لم يمارسوا أنشطة عسكرية أو لوجستية، يقول تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٨) إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٩)﴾ ﴿الممتحنة: ٨، ٩﴾.

ب ـ ضد العسكريين: لا يجوز استعمال غير السلاح الموضعي المؤقت الأثر، أما أسلحة الدمار الشامل، فهي محرمة ، ولو استعملت دفاعياً.

في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة الكرام استعمل السيف والنبل، والمنجنيق، والدبابات القديمة[2] وهي مجسم يوّوي بداخله جنوداً، واستعمل النفط في حروب الاسترداد الإسلامية إبان الحروب الصليبية[3]، حتى إذا أظلت الأمة العصور التالية استعمل الأتراك المدافع بصورة مكثفة لدك أسوار القسطنطينية[4]، دون نكير يذكر على تلك الأدوات، نظراً للإضرار المحدود لها بينما جاءت أسلحة الفتك من كيميائية ونووية لتعفي على آثار السابقين، وترسم الهول عند المعاصرين.

ونلاحظ أن الإضرار بالمدنيين أو المجاهدين المسلمين إذا وجدوا بمنطقة عسكرية، يقبل بشروط مشددة بينها الفقهاء في كتب الفقه باسم مسألة التترس[5].

أما في العصور الحديثة فبتنا أمام قسمين من الأسلحة هما :الأسلحة التقليدية، وأسلحة الدمار الشامل .

وإنّه لمن فروض الكفاية أن تقوم مراكز أبحاث تطوير الأسلحة في العالم الإسلامي، وغيره بتطوير تقنيات عسكرية تقي الأمم والبلدان نتائج أسلحة الدمار الشامل التي أثبتت التجارب المتكررة أنّ المادية الغربية والشرقية على حدّ سواء لا تتورع عن استعمالها بل تجربتها على الأمم المغلوبة.

---

1 عن مجلة المجتمع بالكويت . العدد ١٨٣٥، ٢٠ محرم ، ١٤٣٠هـ . ٢٠٠٩/١/١٧م، ص١٠.

2 حول الدبابات القديمة واستعمالها في الحروب الإسلامية في حصار الطائف سنة ثمانٍ للهجرة ٨هـ ٣٤٧/٤، وفي الحروب الصليبية، في البداية والنهاية حيث استعملها الإفرنج، ٣٦٥/١٢.

3 للتوسع عند ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل ، البداية والنهاية ، في حوادث سنة ٥٨٦هـ ،وذلك زمن صلاح الدين الأيوبي ،٣٥٧/١٢، وعند رستون، جيمس(الابن) ، مقاتلون في سبيل الله(WARRIORS OF GOD)، ترجمة د.رضوان السيد، ط١ ، ١٤٢٣هـ. ٢٠٠٢م، العبيكان، المملكة العربية السعودية . الرياض، ص٢٦٠.

4 للتوسع عند الصلابي،د. علي محمد، الدولة العثمانية، عوامل النهوض والسقوط، ط١، ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م، دار المعرفة . بيروت ،الفصل الثالث، المبحث الثالث، ص١٠٨، وعند بني المرجة، د.موفق، صحوة الرجل المريض، ط٩، ١٤٠٤هـ. ١٩٨٤م، دار البيارق . عمّان، مؤسسة الريان . بيروت، ص ٤٠.

5 للتوسع عند ابن عابدين، محمد أمين بن عمر، حاشية ابن عابدين، بعناية د.حسام الدين فرفور، ط١، ١٤٢١هـ . ٢٠٠٠م، دار الثقافة والتراث . دمشق، ٤٨٤/١٢.

وما هيروشيما[1] وفيتنام وأفغانستان إبان الاحتلالين السوفييتي والأمريكي، والصومال في حربه الأخيرة ضد أثيوبيا الغازية، وجنوب لبنان بل لبنان كله وغزة ...أسماء كثيرة، وتاريخ أسود لا يرضى الله تعالى أن نصنع مثله.

وجدير بالذكر أنَ أحكام الحد من الإضرار بالبيئة وساكنيها يشمل البشر وغيرهم ممن أفراد ما يسميه الإسلام الخليقة، ويسميه البعض طبيعة، هي من مصدر واحد خلق الكون، وجعل صيانته أمانة في أعناق أهل التكليف، يقول ﷻ :﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ ﴿البقرة: ٣٠﴾ فذكره تعالى للإفسادِ عقب القتل يقتضي مزيد معنىً على القتل، وحرّمه تعالى لما فيه من تغييرٍ لخلق الله تعالى وفي ذلك مافيه من إساءة إلى الإتقان في الخلق ومقادير الخلق، وهو ما عبر العلماء عنه بالتلوث، وأحكام الحرب من هذه المشكاة تخرج، فلا تجوز المثلة بالإجماع إلا إن كانت على سبيل القصاص، والعفو أولى[2]، أما إحداث تغيير على خلق الله باستخدام أسلحة وأساليب (كبعض العقاقير أو الأسلحة الكيميائية) تترك أثرها على الجينات الوراثية، للأجيال القادمة؛ فهذا لا مساغ له في الشرع الإلهي بالمرة.

وقد كانت العقوبة الإلهية من جنس العمل ، ورد في أحد تقارير اللجنة العلمية التابعة للأمم المتحدة حول تأثيرات الإشعاعات الذرية سنة ١٩٦٩م ما يلي:"تسبب سقوط المواد المشعة الحاصلة عن الانفجارات النووية ، بحدوث خمسة آلاف ولادة غير طبيعية في الولايات المتحدة، وما يقارب ستة وثمانين ألف ولادة غير طبيعية في العالم حتى سنة ١٩٦٣م[3]".تلك أمثلة يمكن لعلماء الدين عامة والفقه خاصة التوسع في فحواها ومجالاتها وإضافة الكثير إليها .

1 حول مأساة هيروشيما يمكن الاطلاع عند حمزة، وصال عفت، الكوارث الطبيعية ، ص١٥٤، وعند هارول، د. مارك، الشتاء النووي، ص٢٩.

2 للتوسع حول المثلة عند: البخاري، في الصحيح، كتاب الذبائح والصيد، باب باب ما يكره من المثلة والمصبورة والمجثمة، و ابن حجر الهيتمي ، تحفة المحتاج بشرح المنهاج،ط١ ، ١٤١٦هـ. ١٩٩٦م، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان، كتاب صلاة الجماعة، ١٢/٣، و ابن النجار الحنبلي(٦٩٥هـ) ، معونة أولي النهى شرح المنتهى، ط٣ ، ١٤١٩هـ . ١٩٩٨م، دار خضر بيروت . لبنان، كتاب الحدود ٥٠٠/١٠، وابن عابدين(١٢٥٢هـ)، ردّ المحتار (حاشية ابن عابدين)، ٤٠٩/١٢.

3 الفار، د.سعيد محمد، علم السرطان البيئي، ط١ ، ١٤٠٣هـ. ١٩٨٣م، دار الفكر . دمشق، ص٧٠.

الخاتمة

هكذا نجد أن الله خلق الأرض وبارك فيها وقدر فيها أقواتها وجعلها صالحة لحياة الإنسان وغيره من الكائنات، ولكنه سبحانه وتعالى لحكمة يقدرها، جعل مواردها محدودة، رغم أن خزائنة سبحانه –لاتنفد، قال جل شأنه "وإن من شيء إلا عندنا خزائنه، وما ننزله إلا بقدر معلوم".وما عند الناس من موارد الأرض مهدد بالنفاد، وصدق العليم الحكيم حين يقول "ما عندكم ينفد وما عند الله باق". ولا يغير من ذلك أن الله جلت قدرته وعد بزيادة خيرات الأرض كثواب للمؤمنين المتقين، فقال تبارك وتعالى "ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض، ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون.ولما كانت موارد الارض ليست كلها على نفس الدرجة من الأهمية في حياة الناس وبعضها بالغ الأهمية والضرورة فقد تكفل الرزاق الكريم جلت قدرته –رحمة بالناس– بتهيئة الأسباب لتجديد وإعادة استخدام أخطر هذه الموارد وهي الهواء والماء والتربة.

- **فالهواء النقي اللازم لحياة الناس يتجدد ما ينفد منه من أكسجين عن طريق النباتات بعملية التمثيل الضوئي.– والماء العذب يتجدد عن طريق المطر الذي ينزل من السحب الناشئة عن تبخير بعض مياه البحار والمحيطات.– والتربة تتجدد خصوبتها بفعل عوامل طبيعية حتى تواصل مسيرتها في إنبات الزرع للآكلين.**

أما المواد الأقل أهمية من الهواء والماء والتربة كالحديد والذهب فإنها لاتتجد تلقائياً وستظل مناجمها تتناقص بالاستهلاك حتى تنفد مالم يقم الإنسان بالاقتصاد في استهلاكها وإعادة استخدامها.ونهى الله تعالى عن الإسراف والتبذير فقال جل شأنه "ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين" وقال "ولا تبذر تبذيراً، إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفوراً" فالإسراف في التعامل مع الهواء النقي محظور ويؤدي الى عواقب وخيمة سواء باستخدام الوسائل التي تستنفذ مابه من أكسجين أو تستبدل به غازات ضارة أو التمادي في استئصال مصادر انبعاثه من غابات ونباتات.وكذلك الإسراف في استهلاك الماء العذب خطأ بدأت عواقبه الوخيمه في الظهور وسيكون التنافس والتقاتل على موارد والمياه في المستقبل القريب من أهم سمات العصر، بل وقد تزايدت اهمية موارد المياه عن أهمية موارد النفط وذلك مع التزايد المستمر في عدد سكان الأرض من البشر.والإسراف في استخدام التربة بما يتعدى التجدد التلقائي لخصوبتها أمر ضار ينافي المصلحة، وذلك سواء تمثل الإسراف في تكثيف الزراعة من حيث الزمان والمكان أم تجريف التربة والسطو على أتربتها ومكوناتها.

الباب الخامس

الحاجة الى تطوير برامج التربية البيئية الحالية

– الفصل التاسع :التربية البيئة من منظور إسلامي هى الحل لمواجهة الأزمة البيئية

– الفصل العاشر : اقتراحات وتوصيات عامة لتنمية التنور البيئى من منظور دينى

الباب الخامس

الحاجة الى تطوير برامج التربية البيئية الحالية

الفصل التاسع

التربية البيئة من منظور إسلامي هى الحل لمواجهة الأزمة البيئية

مقدمة :

التربية البيئية عملية إعداد للإنسان للتفاعل مع البيئة الطبيعية بما تشمله من موارد مختلفة ، فهي عملية توجيه للسلوك نحو المحافظة على البيئة وتنميتها . وقد عنى الإسلام عناية بالغة بالتربية البيئية ، فالبحث والدراسة والفهم لآيات القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وموضوعات الفقه الإسلامي ، وتاريخ الخلفاء الراشدين والتابعين ، والتراث الإسلامي ، بالبحث والدراسة في هذه المصادر ، نرى أن الإسلام قد تعهد المسلمين بالتربية البيئية بمعناها الشامل والمتكامل مما انعكس على سلوكيات المجتمع المسلم ، وهذا يوضح إن التربية البيئية من منظور إسلامى هى الحل لمواجهة الأزمة البيئية الراهنه لقصور برامج التربية البيئية الوضعية والتى سادت وانتشرت في كثير من بلدان العالم ولم تحقق أهدافها في الحد من تدهور النظام البيئى في عالمنا المعاصر .

مبررات التربية البيئية من منظور إسلامى :

إن التربية البيئية إتجاه وفكر وفلسفة تهدف الى تسليح الإنسان في شتى أرجاء العالم(بخلق بيئي) او (ضمير بيئي) يحدد سلوكه وهو يتعامل مع البيئة في أي مجال من مجالاتها.. الخلق البيئي يجب ان يكون العامل المؤثر في إتخاذ القرارات البيئية مهما كان مستواها.. بناء مدينة او إنشاء جسر أو شق طريق أو بناء سد او إقامة مصنع أو إصطياد سمك في نهر او التخلص من القمامة المنزلية او التنزه على شاطئ البحر او في حديقة عامة.. وحتى القرارات الأكبر على المستوى السياسي والإقتصادي يجب ان تحسب حساباً للبيئة في أطارها العالمي لأن المصالح البشرية واحدة ومستقبل الجنس البشري واحد.." الخلق البيئي" معناه أن يعي الإنسان الوحدة والتكامل البيئي في عالمنا المعاصر حيث يمكن ان تترتب على القرارات التي تتخذها البلاد المختلفة وعلى مناهج سلوكها آثار على النطاق الدولي.. والمشكلة البيئية التي تحدث في بلد معين كثيراً ما تؤثر في بلاد أخرى بعيدة عنها.ولعلنا نذكر أزمة السكر التي نشأت في العالم جراء تعرض مزارع قصب السكر في كوبا لإعصار شديد.. وأزمة الرز التي عاشتها دول كثيرة عندما عطشت حقول الأرز في الدول الآسيوية المنتجة له بسبب الجفاف.. وأزمة

البن التي عاشها العالم لأن المحصول في الدول المنتجة تدنى بسبب عوامل بيئية مختلفة..وحادثة تشرنوبيل التي طالت آثار الإشعاع دولاً عديدة، مسببة لشعوبها السرطان والتشوهات الولادية..الخلق البيئي معناه التصرف بروح المسؤولية الشخصية والعامة لأن مسبب مشكلة ما ربما يكون هو أول المعرضين لأذاها.، وأخيراً وليس آخراً، فان الخلق البيئي أو الضمير البيئي، الذي تهدف التربية البيئية الى إيجاده او تنميته عند كل إنسان في المجتمع العالمي، يعني ان يتكيف الإنسان من أجل البيئة لا أن يستمر في تكييف البيئة من أجله.. الخلق البيئي بإختصار معناه " التعايش مع البيئة"، وبذلك تسهم التربية البيئية في حماية البيئة .

والتربية البيئية من منظور إسلامى تحقق هدف تكوين الخلق البيئى التى عجزت عنه برامج التربية البيئية الوضعية في كثير من بلدان العالم .

أولاً : تعاريف :

البيئة :

البيئة هي الإطار الذي يحيا فيه الإنسان ويستمد منه كل مقومات حياته ، وبقدر ما يُحسن الإنسان التعامل مع بيئته (بالتربية البيئية) ويعمل على تنميتها واستغلال مصادرها استغلالاً راشداً فإنه يستطيع المحافظة على معيشته وإشباع حاجاته وتطوير أساليب حياته .

علم البيئة :

علم البيئة هو العلم الذي يبحث في المحيط الذي تعيش فيه الكائنات الحية ، ويدعى أيضاً بالمحيط الحيوي ، والذي يتضمن بمعناه الواسع العوامل الطبيعية والاجتماعية والثقافية والإنسانية التي تؤثر على أفراد وجماعات الكائنات الحية وتحدد شكلها وعلاقاتها وبقاءها .

التربية البيئية :

التربية البيئية عملية إعداد الإنسان للتفاعل مع البيئة الطبيعية بما تشمله من موارد مختلفة ، ويقولون أيضاً هي عملية توجيه للسلوك نحو المحافظة على البيئة .

– ويجب أن نميز بين دراسة البيئة والتربية البيئية ، فالدراسات البيئية تقتصر على إمداد (المتعلم) بالمعلومات والحقائق والمفاهيم البيئية في المجالات والتخصصات المختلفة دون الاهتمام بتوجيه وتعديل أنماط السلوك .

– أما التربية البيئية فتهدف إلى معايشة (المتعلم) للمشكلات البيئية وتنمية مهارته التي تساعده على صيانة بيئته وتنمية مواردها ، مع اكتساب المتعلم القيم والاتجاهات الإيجابية نحو حماية البيئة وتحسينها بقصد إعداد (تربية) جيل واع بيئته الطبيعية والاجتماعية والنفسية .

الإسلام :

– قال الراغب الأصفهاني : الإسلام هو الانقياد للحق والإذعان له وقوله { يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُواْ } [المائدة : ٤٤] ، أي الذين انقادوا من الأنبياء الذين ليسوا من أولي العزم وقوله تعالى : { تَوَفَّنِي مُسْلِمًا } [يوسف : ١٠١] .

والإسلام في الشرع على ضربين :

أحدهما دون الإيمان وهو الاعتراف باللسان .

والثاني فوق الإيمان وهو أن يكون مع الاعتراف اعتقاد بالقلب ، ووفاء بالفعل واستسلام لله في جميع ما قضى وقدر .

– والإسلام هو الصراط المستقيم الذي أمر الله بالاستقامة عليه ونهى عن تجاوز حدوده ، وإن من ارتكب شيئاً من المحرمات فقد تعدى حدوده (أي حدود الله) .

– والإفساد في البيئة من بعد حدود الله والبعد عن الاستقامة .

الإسلام والتربية البيئية

من التعريفات السابقة نفهم أن التربية البيئية عملية إعداد وتوجيه للفرد نحو التفاعل السليم مع البيئة ، فهل اهتم الإسلام بالتربية البيئية ؟

– يرى الدارس العلمي للإسلام أن القرآن الكريم وجه سلوك المسلمين وأعدهم للحفاظ على البيئة والاهتمام بها أعدهم للتفاعل الإيجابي مع البيئة ، ووجه سلوكهم نحو دراستها والحفاظ عليها ، وكذلك فعلت السنة النبوية المطهرة ، ولذلك لم يُفسد السلف الصالح في الأرض في يوم من الأيام ، وكذلك فعل المسلمون من بعدهم إلى أن تخلف المسلمون فبدأت المشاكل البيئية تظهر في حياتهم وتتناسب تناسباً طردياً مع بعدهم عن الهدى العلمي الإسلامي للتربية البيئية والحفاظ على نعم الله الأرضية .

– من هنا فإن المسلمين عندما تمسكوا بالإسلام لم يفسدوا في الأرض وأن الإفساد المادي والخلقي في البيئة الأرضية ليس من نتاج التربية البيئية الإسلامية بل هو نتاج التربية المادية البعيدة عن الهدى الإسلامي في الحفاظ على البيئة .

القرآن الكريم والتربية البيئية

بالبحث والدراسة والفهم لآيات القرآن الكريم نرى أن القرآن ربى المسلمين على التربية البيئية بمعناها الشامل والمتكامل ، وربط الإنسان بالسلوك البيئي الإيجابي برباط وثيق يترتب عليه الحياة الآمنة المطمئنة في الدنيا ، والسعادة الأبدية في الآخرة ؛ وفيما يلي بيان لبعض ذلك :

أولاً : خلق الله سبحانه وتعالى الأرض مذللة للإنسان لينة سهلة ، وعلَّمنا كيف نستغل مواردها ونعمها الإلهية الاستغلال العلمي الخلقي الأمثل ، وربط حياة الإنسان الدنيوية بهذه الموارد قال تعالى : { هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ } [الملك : ١٥] .

وقال تعالى : { هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ } [البقرة : ٢٩] .

– فكل شيء في الأرض من مخلوقات حية وغير حية وقوانين تحكمها وعوامل تتحكم فيها ، خلقها الله سبحانه وتعالى للإنسان وجعلها سبحانه في خدمة البشرية ومنفعتها .

– وفي هذا دعوة للعمل والاجتهاد واستغلال الموارد الأرضية ، وربط هذه الأرزاق بالله سبحانه وتعالى وأن الله إليه المآب والنشور ، وفي يوم الحساب يحاسب الإنسان على كل فعل صغيراً كان أو كبيراً

صالحاً أم طالحاً { إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا } [الكهف : ٧] ، والعمل في الإسلام بمعناه الشامل والحقيقي يشمل العبادة والأنشطة الأخرى من زراعة وصناعة وتجارة وتربية وتعليم وغير ذلك ، وبهذا يلزم الله سبحانه وتعالى الإنسان بالاستغلال الأمثل

{ أَحْسَنُ عَمَلًا } لتلك الموارد الأرضية وربطها بالثواب والعقاب والحساب ، وبذلك يربي الله سبحانه وتعالى في الإنسان قيمة الحفاظ على الموارد الأرضية ، وهنا يتضح الفارق بين التربية البيئية المادية ، التي تخترق كل يوم في البيئة الأرضية من أصحاب الحضارات المادية ، والتربية البيئية الإسلامية التي ربطت السلوك بالذي يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور .

ثانياً : خلق الله سبحانه وتعالى كل شيء في الكون بالحق وبقدر معلوم وفي أحكام عجيب واتزان معجز { مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِن فُطُورٍ } [الملك : ٣] .

– ويعلم الله سبحانه وتعالى الإنسان أنه لم يخلق شيئاً في الكون عبثاً أو عشوائياً ، ولم توضع أي شيء في غير موضعه لأن ذلك يتنافى مع حكمة العليم الخبير { الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ } [السجدة : ٧] .

– وقرر القرآن الكريم أن كل شيء خُلق بقدر معلوم { إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ } [القمر : ٤٩] ، وقال تعالى : { وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ } [الحجر : ١٩] .

– وهذا الخلق الموزون يؤدي إلى التوازن الناتج عن التفاعل والتكامل والتنوع والإنتاج قال تعالى : { الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ، وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ، وَالسَّمَاء رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ، أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ، وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ، وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ، فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ ، وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ ، فَبِأَيِّ آلَاء ربكما تُكَذِّبَانِ } [الرحمن : ٥– ١٣] .

– وهذه تربية للإنسان حتى لا ينحرف عن قوانين الله ونظامه الكوني البديع لأن في ذلك ضياعاً للاتزان ، يؤدي إلى الهلاك وإفساد النظام الكوني البديع .

من هنا يعلم الإنسان ويتعلم أن العدل والاعتدال والاتزان والحسابات العلمية قيم مطلوبة شرعاً من كل إنسان وفي كل شيء في البيئة الأرضية .

– فكمية المياه في الكون محسوبة وثابتة ومقدرة وموزونة { وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاء مَاء بِقَدَرٍ } [المؤمنون : ١٨] .

ثالثاً : وعلم الله الإنسان أن يمنع أخاه الإنسان من الإفساد في البيئة الأرضية قال تعالى : { وَلَوْلاَ دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ وَلَـكِنَّ اللهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ } [البقرة : ٢٥١] .

– وأمرنا الله بالدفاع عن البيئة الأرضية المشيدة وخاصة أماكن التربية والتنشئة وتعديل السلوك بالتعلم قال تعالى : { وَلَوْلَا دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللهِ كَثِيرًا } [الحج : ٤٠] .

– وحذر الله الإنسان من عاقبة سلوكه الخاطئ في النظام البيئي والإفساد في الأرض وأن ما يترتب على ذلك من خلل هو من صنع الإنسان قال تعالى : { ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ } [آل عمران : ١٨٢] .

– وفي هذا تربية على الإصلاح في البيئة وبيان النتائج السلوك الخاطئ وقد جعل الله سبحانه وتعالى الإصلاح في البيئة من العمل الصالح وعد الله سبحانه وتعالى الإفساد في الأرض من الأعمال السيئة التي يعاقب عليها العبد في الدنيا والآخرة قال تعالى : { إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا } [الكهف : ٧] .

– والعمل هنا يشمل كل الأنشطة البشرية من عبادات ومعاملات وتعمير واستثمار وحماية وزراعة وتشجير وتربية وغير ذلك .

– قال تعالى : { وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ } [القصص : ٧٧] .

– فإذا أحسن الله إلى الإنسان بالبيئة المتزنة عليه أن يحسن بالحفاظ على مواردها واستغلالها الاستغلال العلمي الأمثل وعدم الإفساد فيها أو الإخلال باتزانها .

– وإذا أحسن الله إلى الإنسان بالعلم البيئي عليه أن يُحسن بتطبيق هذا العلم في الإصلاح والعمل الحسن والبعد عن الإفساد والعمل الفاسد .

– وإذا أحسن الله الإنسان بالقدرة على التعلم البيئي ، أحسن الإنسان بالتعلم في مجال البيئة ونشر العلم البيئي الهيئات العلمية المحققة لذلك .

والإفساد في الأرض يشمل الإفساد المادي بتخريب العامر وإماتة الأحياء وتلويث الطاهرات وتبديد الطاقات واستنزاف الموارد في غير حاجة أو مصلحة وتعطيل المنافع وأدواتها ، كما يشمل الإفساد

المعنوي كمعصية الله تعالى ومخالفة أمره والكفر بنعمته والتمرد على شريعته والاعتداء على حرماته وإشاعة الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، وترويج الرذائل ومحاربة الفضائل ، وتقديم الأشرار وتأخير الأخيار .

ومن ذلك ما كان من قوم لوط الذين شذوا عن الفطرة وحادوا عن سواء السبيل ، وأتوا فاحشة ما سبقهم بها من أحد من العالمين ، حيث أتوا الذكران من العالمين وتركوا ما خلق لهم ربهم من أزواجهم . . . فدعا عليهم نبيهم لوط في مرارة وحرقة ، إذا قال : { رب انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ } [العنكبوت : ٣٠] .

– وهنا نزل بهم العقاب ردعاً لإفسادهم وتربية لمن بعدهم التربية السليمة .

رابعاً : ربى الله سبحانه وتعالى المسلمين على تجنب التلوث الضوضائي سابقاً بذلك التربية البيئية الحديثة ، وحذرنا من الصوت المرتفع بلا حاجة ، ورغبنا في خفض الصوت بعداً عن الإزعاج فكان من تربية لقمان لابنه { وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ } [لقمان : ١٩] .

وفي هذا تربية للأجيال وتنفير للمسلمين من ارتفاع الصوت ، وربط ذلك بصوت الحمير ليصبح مثيراً شرطياً للبعد عن القدر المطلوب في الصوت .

– وعلم الله سبحانه وتعالى المسلمين غض صوتهم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأثناء الصلاة قال تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ } [الحجرات : ٢] .

وقال تعالى : { وَلاَ تَجْهَرْ بِصَلاَتِكَ وَلاَ تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً } [الإسراء : ١١٠] .

– وقد ذم الله سبحانه وتعالى المشركين بقوله : { وَمَا كَانَ صَلاَتُهُمْ عِندَ الْبَيْتِ إِلاَّ مُكَاء وَتَصْدِيَةً } [الأنفال : ٣٥] ، أي صفيراً وتصفيقاً وضجيجاً ، وهذا السلوك يتنافى مع تربية الخشوع والانضباط عند الاجتماع في البيت الحرام وأماكن تجمع المسلمين وصلاتهم .

خامساً : نفَّر الله سبحانه وتعالى من الإفساد في الأرض بربطه باللعنة وعدم العلم والفهم والتعلم قال الله تعالى : { فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ، أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ } [محمد : ٢٢– ٢٣] .

وقال تعالى عن هذا الصنف الضال المفسد في الأرض : { وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ والله لاَ يُحِبُّ الفَسَادَ } [البقرة : ٢٠٥] .

سادساً : جعل الله سبحانه وتعالى الاعتدال في السلوك وعدم التصنع فيه من الأعمال الصالحة ، وبغَّض في السلوك غير المعتدل وغير السوي قال تعالى : { وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا } [لقمان : ١٨] .

سابعاً : أعلمنا الله سبحانه وتعالى وعلمنا وربانا على أن الفساد في البيئة الأرضية والبيئة البحرية جاء نتيجة للأنشطة البيئية الخاطئة للناس قال تعالى : { ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ } [الروم : ٤١] .

حيث قطعوا الغابات وأهلكوا الحيوانات والكائنات الحية الدقيقة وانتهكوا الحرمات وألقوا بمخلفات سفنهم ومفاعلهم النووية ونفاياتهم الذرية ومخلفات مصانعهم في البر والبحر وما يرتبط بهما من جو مما يترتب عليه فساد كبير لجميع المخلوقات الحية الأرضية والمكونات غير الحية وأفسدوا الدورات الحيوية والفيزيائية والكيماوية التي خلقها الله بقدر معلوم .

ثامناً : ربىَّ الله سبحانه وتعالى المسلمين على أهمية النبات للحياة ولفت أنظارهم إلى دورات حياة النبات ومراحل نموه وأهميته في الحياة .

قال تعالى : { إِنَّ اللهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ } [الأنعام : ٩٥] .

وقال تعالى :

{ أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاء مَاء فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَّعَ اللهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ } [النمل : ٦٠]

، ويعدلون : ينحرفون عن الحق إلى الباطل ، وقال تعالى : { وَهُوَ الَّذِيَ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ (٩٨) وَهُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُواْ إِلِى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ } [الأنعام : ٩٩] .

– فقد ربط الله بين الإيمان به ومراحل نمو النبات في هذه الآية في إعجاز معجز ليربط الإنسان بمصدر الحياة على الأرض (النبات) ، كما عرف الله عباده بصفاته وأسمائه وقدرته ببيان عظمة خلقه ، وأسس العقيدة على هذا الأساس العلمي المتين .

تاسعاً : نبه القرآن الكريم الإنسان إلى أهمية الموارد البيئية ففي سورة النحل نبه على الثروة الحيوانية وما ينتج عنها من (إنتاج حيواني) . قال تعالى : { وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ } [النحل : ٥] .

– وقال سبحانه : { وَإِنَّ لَكُمْ فِي الأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِلشَّارِبِينَ } [النحل : ٦٦] .

كما بين سبحانه أهمية النحل قال تعالى : { وَأَوْحَى ربك إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ، ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ ربك ذُلُلاً يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاء لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ } [النحل : ٦٨–٦٩] .

– وفي البند قبل السابق (ثامناً) بينا أهمية الثروة النباتية ، والتربية على غرسها وتنميتها والاستفادة منها .

– وبين سبحانه أهمية الثروة البحرية وعلم المسلمين كيف يشكرون هذه النعمة قال تعالى : { وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُواْ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ } [النحل : ١٤] .

– وبين سبحانه أهمية الحديد والنحاس والجبال والشمس والقمر والنجوم وغير ذلك من الموارد البيئية قال تعالى : { وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ } [النحل : ١٢] .

وللأهمية الكونية البيئية للماء ، وأنه سائل الحياة المعجز ، وبين الله سبحانه وتعالى في آيات عديدة أهمية الماء ودورته في الحياة وبين سبحانه أنه خلق الإنسان من الماء ، وخلق منه الدواب ، وأنه يستخدم في الشرب وسقاية الزرع ، ويخرج به ما ينبت في الأرض ، ويخرج به الثمار ، ويحي به الأرض بعد موتها ، ويحي به البلدان ، وأنه يستخدم في التطهير ، وضرب به الأمثال والآيات في ذلك تصل إلى (٦٣) آية .

عاشراً : نبه الله سبحانه وتعالى المسلمين إلى أهمية المحافظة على الحياة الفطرية والبرية بأن حرم على المسلمين صيد البر وقطع النبات في موسم الحج في أماكن تجمع المسلمين من جميع بقاع الأرض في مكة وغيرها قال تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقْتُلُواْ الصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ وَمَن قَتَلَهُ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاء مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ } [المائدة : ٩٥] .

وقال تعالى : { وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا وَاتَّقُواْ اللهَ الَّذِيَ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ } [المائدة : ٩٦] .

وهذا تربية للحفاظ على البيئة من الرعي الجائر ، والأمثلة على ذلك كثيرة .

ثانياً : السنة النبوية المطهرة والتربية البيئية

جاءت السنة النبوية المطهرة تطبيقاً عملياً ، وتفصيلاً واقعياً لما حواه القرآن الكريم في إعجاز وإيجاز للتربية البيئية ، وهذا ما سنبينه فيما يلي :

أولاً : أعلمنا وعلمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تنظيف الشوارع والطرقات والحفاظ عليها من الهدى العلمي النبوي ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إماطة الأذى عن الطريق صدقة) ، ويكون ذلك بشق الطرق وتعبيدها وصيانتها ووضع العلامات الإرشادية عليها وتنظيمها وتجميلها والالتزام بحق الطريق برد السلام وكف الأذى عن الطريق بالالتزام بخلق الطريق وسلوكه والسرعة المقررة والالتزام بالعلامات المرورية والإشارات الضوئية ، وغض البصر عن المحرمات أثناء الجلوس في الطرقات والمرور فيها .

– عن بريدة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (في الإنسان ستون وثلاثمائة مفصل فعليه أن يتصدق عن كل مفصل بصدقة) ، قالوا فمن يطيق ذلك يا رسول الله ، قال : (النخامة في المسجد تدفنها والشيء تنحيه عن الطريق) ، وقد انعكست آثار هذه التربية والهدى العلمي النبوي على سلوك المسلمين وخاصة جيل الصحابة (رضوان الله عليهم) وأبناءهم وتلاميذهم ، فعن المستنير بن أخضر ابن معاوية عن أبيه قال : كنت مع معقل بن يسار رضي الله عنه في بعض الطرقات فمررنا بأذى فأماطه – أو نحّاه – عن الطريق فرأيت مثله فأخذته فنحيته فأخذ بيدي وقال : يا ابن أخي ما حملك على ما صنعت ؟ قلت يا عم : رأيتك صنعت شيئاً فصنعت مثله . فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (من أماط الأذى عن طريق المسلمين كتبت له حسنة ومن تقبلت منه حسنة دخل الجنة) ، رواه الطبراني في الكبير ، ورواه البخاري في الأدب المفرد بصيغة أخرى ، وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم : (بينما رجل يمشي بطريق وجد غصن شوك فأخره فشكر الله له فغفر له) .

وفي رواية لقد رأيت رجلاً يتقلب في الجنة في شجرة قطعها من ظهر الطريق كانت تؤذي المسلمين . ومن حق الطريق في الإسلام غض البصر وإماطة الأذى كما هو معلوم لنا جميعاً .

ثانياً : أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمحافظة العملية على البيئة المائية من التلوث ، وأرشدنا إلى عدم استخدام الماء الملوث ، وربانا على ذلك فقال صلى الله عليه وسلم : (لا يبولن أحدكم في الماء الدائم الذي لا يجري ثم يغتسل فيه) .

وقال صلى الله عليه وسلم : (اتقوا الملاعن الثلاث "البراز في الموارد ومنها موارد الماء" وقارعة الطريق والظل) .

– كما حرمت السنة المطهرة الإسراف في استخدام الماء فقد مر رسول صلى الله عليه وسلم بسعد بن أبي وقاص وهو يتوضأ فقال له : (لا تسرف) ، فقال : أو في الماء إسراف ؟ قال : (نعم وإن كنت على نهر جار) . رواه ابن ماجة وفي هذا الموقف التربوي التعليمي عملية للمسلمين للحفاظ على الماء من الهدر .

ثالثاً : ربى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين على الحفاظ على الحيوان والتوازن البيئي والبعد عن إبادة الحيوان حيث قال صلى الله عليه وسلم : (نزل نبي من الأنبياء تحت شجرة فلدغته نملة فأخرج متاعه من تحتها ثم أمر ببيتها فأحرق بالنار ، فأوحى الله إليه فهلاً فهلة واحدة) .

– وفي هذا تربية نبوية شريفة ، وهدى علمي بيئي في الحفاظ على التوازن البيئي . وعدم إبادة الفونا البيئية .

– كما أمرنا صلى الله عليه وسلم بالرفق بالحيوان والحفاظ عليه من الهلاك والتعذيب قال صلى الله عليه وسلم : (عذبت امرأة في هرة أوثقتها فلم تطعمها ولم تسقها ، ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض) .

– وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (بينا رجل يمشي ، فاشتد عليه العطش فنزل بئراً فشرب منها ، فخرج منها فإذا هو بكلب يلهث يأكل الثرى من شدة العطش ، قال : لقد بلغ هذا الكلب مثل الذي بلغ بي فملأ خفه ثم ، امسكه بفيه ، ثم رقى فسقى الكلب فشكر الله له فغفر له ، قالوا : يا رسول الله وأن لنا في البهائم أجراً ؟ قال : في كل كبد رطبة أجر) .

– وفي هذا الموقف التربوي العظيم يجسد الرسول صلى الله عليه وسلم المشهد الرائع للعطش والرفق بالحيوان وربط ذلك بمغفرة الله فاستجاب الصحابة (المتعلمون) استجابة عالية للموقف التربوي الممتاز .

رابعاً – نبه الرسول صلى الله عليه وسلم المسلمين إلى خطورة مصادر الحريق وعلم المسلمين الأمن والسلامة في البيئة المنزلية فقال : (لا تتركوا النار في بيوتكم حين تناموا) ، رواه البخاري .

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (غطوا الإناء وأوكئوا السقاء وأغلقوا الباب ، فأطفئوا السراج فإن الشيطان لا يحل سقاء ولا يفتح باباً ولا يكشف إناء ، فإن لم يجد أحدكم إلا أن يعرض على إنائه عوداً ويذكر اسم الله فإن الفويسقة تضرم على أهل البيت بينهم) .

وهذا هو الهدى العلمي التربوي البيئي ضمان لعدم سقوط الحشرات والفئران في السقاء ، وتجنب الحرائق بسبب الفئران والقوارض التي قد تسبب في إحداث الحريق ونقله إلى أقسام وحجرات البيت وسائر والبيوت المجاورة .

وقال صلى الله عليه وسلم : (طهور أناء أحدكم إذا ولغ الكلب أن يغسله سبع مرات أولهن بالتراب) .

ولقد انتقل أثر التدريب والتعلم إلى الصحابة فحافظوا على البيئة ، فقد جاء في خطاب تعيين أحد ولاة المسلمين من قبل أمير المؤمنين على أهل قرية : ((جئت إليكم لأحكم بينكم بكتاب الله ولأقم (أنظف وأكنس) لكم الطرقات)) .

– وقال الفاروق لو أن بغلة بالعراق تعثرت لسئل عمر لماذا لم يمهد الطريق .

خامساً : أرشدنا الهدى العلمي التربوي النبوي إلى التربية للأمان الميكروبي بتجنب جراثيم العدوى وخاصة الخطيرة منها فقال صلى الله عليه وسلم : (إذا سمعتم بالطاعون في أرض فلا تدخلوها ولا تخرجوا منها) ، وهذه تربية إسلامية للحجر الصحي وحصر انتقال العدوى وانتشارها والعمل على رعاية المصابين وعدم تركهم دون رعاية .

سادساً : حرم الإسلام في الحروب استخدام أسلحة الدمار الشامل وحرق الزرع وقتل الماشية والأطفال والنساء فقد روى أبو داود الوصية التالية للجنود (بسم الله وفي سبيل الله لا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليداً ولا امرأة ولا شيخاً كبيراً وفي رواية أخرى ولا تقطعوا شجراً ولا تحرقوا زرعاً) . وهذه تربية بيئية إسلامية سباقة .

ثالثاً : عناية الإسلام بالتربية الأسرية البيئية

الأسرة هي البيئة الأولى التي يتعلم فيها الفرد السلوك البيئي الأمثل ولقد عنى الإسلام بالتربية البيئية الأسرية منذ كان الفرد في أصلاب آبائه وذلك باختيار النطف البشرية والحفاظ عليها من الخلط العشوائي غير المنتظم وغير المتحكم فيه بأن جعل الزواج هو المنفذ الوحيد والطريق الشرعي لإنتاج الذرية والتقاء الأمشاج البشرية ، وجعل إعلان الزواج من الفوارق بين السفاح والنكاح ، كما شرع الإسلام العدة للتأكد من براءة الرحم ، وحرم الإسلام الزنى تحريماً قاطعاً { الزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ } [النور : ٣] . كما حمى الإسلام البيئة الرحمية (البيئة الأولى التي ينشا فيها الإنسان) وأحاطها بسياج عظيم وميثاق غليظ بين الرجل والمرأة ، وحرم المسكرات والمفترات حماية للبيئة الرحمية للإنسان فلا يدخل إلى البيئة الرحمية إلا ما يغرسه الزوج بنفسه ، وما لا يضر بالبيئة الرحمية ضماناً لبيئة جنينية صحيحة .وأوجب الإسلام مسؤولية الأب عن الجنين لأنه من رعيته ، (وكلكم راع ومسئول عن رعيته) ، كما قرر النفقة على الحامل ، وحمايتها اجتماعاً وفي هذا حماية للجنين وتأمين لتوفير بيئة رحمية صالحة ، كما انتقلت هذه العناية إلى البيئة المنزلية التي يولد فيها الإنسان وينشأ ، وفي ذلك حماية لكل البيئات التي يعيش فيها الإنسان بالتربية والتعليم .

رابعاً : التراث الإسلامي والتربية البيئية

١) عنى الفقه الإسلامي بالبيئة عناية كبرى ، ومن الكليات الخمس الإسلامية الحفاظ على النفس والمال والعرض والنسل ، وعنى الإسلام بالطهارة ونظافة المياه ومصادرها ، وحرم قطع النبات في الحج ومن قواعد الفقه الإسلامي أن الضرر يرفع ودرء المفاسد (ومنها المفاسد البيئية) مقدم على جلب المكاسب .كما عنى المسلمون بتدوير المخلفات البيئية والحفاظ على الحيوان فحرم إسحاق بن حنين استخدام السم في التجارب على الحيوان وإبادتها وفي كتب التراث العديد من الأمثلة على تدوير القمامة والاستفادة من الذبائح ومخلفاتها .

٢) الجاحظ وتدوير المخلفات المنزلية : ورد في كتاب البخلاء للجاحظ ما يثبت سبق المسلمين إلى ذلك . فقد كان سعيد ينهى خادمته أن تخرج الكساحة من الدار ، وأمرها أن تجمعها من دور السكان وتلقيها على كساحتهم ، فإذا كان في الحين جلس وجاءت الخادمة ومعها زنبيل فعزلت بين يديه من الكساحة زنبيلاً ثم فتشت واحداً واحداً ، فإن أصاب قطع دراهم وصرة فيها نفقة والدينار أو قطعة حلي فسبيل ذلك معروف . وأما ما وجد فيه من الصوف فكان وجهه أن يباع إذا اجتمع من أصحاب البراذع "كساء ظهر الدابة" وكذلك قطع الأكسية ؛ وما كان من خرق الثياب فمن أصحاب الصينيات

والصلاحيات . وما كان من قشور الرمان فمن الصباغين والدباغين ، وما كان من القوارير فمن أصحاب الزجاج ، وما كان من نوى التمر فمن أصحاب الخشوف (بفتح الخاء وضم الشين) . وما كان من نوع الخوخ فمن أصحاب الغرس ، وما كان من المسامير وقطع الحديد فللحدادين ، وما كان من القراطيس فللطراز ، وما كان من الصحف ورؤوس الحديد فللحدادين ، وما كان من قطع الخشب فللأفاكين (صانعوا براذع الحمير) وما كان من قطع العظام فللوقود ، وما كان من قطع الخزف فللتنانير "الأفران" الجدد . وما كان من أشنج "أي الحسي" فهو مجموع للبناء ثم يحرك ويثأر ويخلل حتى يجتمع قماشه (بضم القاف وهي الأشياء القابلة للاحتراق) ثم يعزل للتنور ، وما كان من قطع القار "الزفت" بيع من القيار ، فإذا بقى التراب خالصاً وأراد أن يضرب منه اللبن (بكسر الباء) . أي الطوب الأخضر للبيع والحاجة إليه ، ولم يتكلف الماء ولكن يأمر جميع من في الدار ألاَّ يتوضئوا ولا يغتسلوا إلا عليه ، فإذا ابتل ضربه لبناً"أيا طوباً" وهكذا عرف أبو سعيد تدوير الكساحة والقمامة والانتفاع بكل شيء فيها حتى التراب .

٣) معاذة العنبرية والاستفادة العلمية من مخلفات الذبائح :وسبقت معاذة العنبرية التي ورد ذكرها في كتاب البخلاء للجاحظ علماء البيئة والاقتصاد والصحة في الاستفادة العلمية من كل شيء في الذبيحة حتى دمها ، ذلك الدم الذي ينتسب في كثير من المشكلات البيئية في المسالخ التي لا التي لا تحافظ على البيئة من مخلفاتها ، كما سبقت معاذة العنبرية الداعين إلى استغلال مخلفات الذبائح من الجلود والعظام والدهون استغلالاً علمياً سليماً محافظاً على البيئة وصديقاً لها . فلقد أهدى إليها ابن عم لها أضحية فرآها رجل كئيبة حزينة مفكرة مطرقة فقال لها ما لك يا معاذة ؟ قالت : أنا امرأة أرملة ، وليس لي قيم (بفتح القاف وتشديد الياء مع كسرها) ، ولا عهد لي بتدبير لحم الأضاحي ، وقد ذهب الذين كانوا يدبرونه ويقومون بحقه ، وقد خفت أن يضيع بعض هذه الشاة ، ولست أعرف وضع جميع أجزائها في أماكنها ، وقد علمت أن الله لم يخلق فيها ولا في غيرها شيئاً ولا منفعة فيه ، ولكن المرء يعجز لا محالة ، ولست أخاف من تصنيع القليل إلا أنه يجر تضييع الكثير .

٤) استغلال كل شيء في الذبيحة : قالت معاذة العنبرية : أما القرن فالوجه فيه معروف ، وهو أن يجعل منه كالخطاف ويسمر في جذع من جذوع السقف ، فيعلق عليه الزبل (بضم الزال وتشديدها وتسكين الياء) والكيران ، وكل ما خيف عليه من الفأر والنمل والسنانير (القطط) وبنات وردان (الصراصير) والحيات وغير ذلك . وأما المصران فإنه لأوتار المندفة ، وبنا إلى ذلك أعظم الحاجة ، وأما قحف (بكسر القاف) الرأس واللحيان (عظم الفلك) وسائر العظام فسبيله أن يكسر بعد أن يعرق ، ثم يطبخ ، فما ارتفع من الدسم كان للمصباح وللإدام وللعصيدة ولغير ذلك ثم تؤخذ تلك العظام فيوقد بها فلم ير الناس وقوداً قط أصفى ولا أحسن لهباً منه ، وإذا كانت كذلك فهي أسرع في القدر

لقلة ما يخالطها من الدخان ، وأما الإهاب فالجلد نفسه جراب ، وللصوف وجوه لا تعد ، وأما الفرث والبعر فحطب إذا جفف . ثم قالت : بقي الآن علينا الانتفاع بالدم ، وقد علمت أن الله عز وجل لم يحرم من الدم المسفوح إلا أكله وشربه وأن له مواضع يجوز فيها ولا يمنع منها وأن أنا لم أقع على علم ذلك حتى يوضع موضع الانتفاع به ، صار كيه في قلبي وقذى في عيني وهماً لا يزال يعاودني .

قال الراوي : فلم ألبث أن رأيتها قد تطلقت وتبسمت فقلت ينبغي أن يكون قد انفتح لك بابا للرأي في الدم قالت : أجل ذكرت أن عندي قدوراً شامية مجدداً وقد زعموا : أنه ليس شيء أدبغ ولا أزيد في قوتها ، من التلطيخ بالدم الحار الدسم ، وقد استرحت الآن إذ وقع كل شيء موقعه قال : ثم لقيتها بعد ستة أشهر ، فقلت لها : كيف كان قديد "اللحم المقدد" تلك ؟ قالت : بأبي أنت : لم يجيء وقت القديد بعد . لنا في الشحم والألية والجنوب والعظم المعرق وفي غير ذلك معاش . ولكل شيء إبان .وبذلك سبقت معاذة العنبرية علماء التربية البيئية في بيان أهمية كل مخلفات الذبائح وكيف يستفاد بها ، وعلمتنا أن الله لم يخلق أي شيء عبثاً في هذه الحياة . وعلمتنا كيف نربي المتعلمين والأفراد على استغلال مخلفات الذبائح .

نحو برتامج للتربية البيئية (مقترح) من منظور إسلامى :

تعددت برامج التربية البيئية في بلدان العالم المتقدم منها والنامى واختلفت فيما بينها حول محتوى تلك البرامج ومنها على سبيل المثال :

١)اقترح كافازنكوف Kvasnfkove محتوى للتربية البيئية يتضمن (العلاقات البيئية الأساسية والتداخلة في الطبيعة – الصور المختلفة للعلاقة بين الانسان كوحدة اجتماعية حية والبيئة – مفهوم شامل للمشكلات البيئية والمدخل لسياسات حل هذه المشكلات – مهمات أساسية للتربية البيئية)

٢) أعد نيوماتا Numata نموذجا لمنهج في التربية البيئية لتدريسه في المرحلة الثانوية باليابان يتضمن عدد من الوحدات الدراسية هى(البيئة الطبيعية للأرض والغلاف الحيوى – التوازن الطبيعى – الأنشطة البشرية والتغير البيئى – تدمير وتلوث البيئة – صيانة البيئة ومستقبل الجنس البشرى)

٣) أعد وليم ب . ستاب المدير السابق لبرنامج اليونسكو للتربية البيئية مخططا لبرنامج تربوى للتربية البيئية يتضمن محتواه الاجزاء التالية (الفلسفة والمفاهيم – تنمية المهارات –توضيح القيم – ملاءمة البرنامج لمستويات الاعمار – مواجهة البيئة – التفاعل بين المعلم والمتعلم – تعميق الاحساس البيئى)؛وقد حدد وليم ب. ستاب المفاهيم البيئية التى يتضمنها ذلك البرنامج في (النظام البيئى – السكان – الاقتصاد والتكنولوجيا – القررات البيئية – الأخلاقيات البيئية)

٤) حدد ستنك وزملاؤه ثلاثة عشر موضوعا كبرامج تدور حول مسائل بيئية هى (دور وغرض المحيط الحيوى – البيئة وعناصرها –احتياطى الموارد الطبيعية –الانسان والتوازن البيئى – استغلال الجو – الحفاظ على الموارد المائية واستغلالها – الحفاظ على موارد اليابسة واستغلالها – الحفاظ على الموارد البيولوجية واستغلالها – المشكلة السكانية – البيئة والعناية الصحية ومشكلة الغذاء – البيئة والتطور الاقتصادى – السيطرة على إدارة البيئة –التعاون الدولى وحماية البيئة)

٥) في ندوة " القيادات التعليمية في الوطن العربى التى عقدت بعمان (١٩٨٥م) تم الاتفاق على خمسة مفاهيم كبرى للتربية البيئية وهى (النظام البيئى – السكان – الاقتصاد والتكنولوجيا – القررات البيئية – الأخلاقيات البيئية)

٦) اعد " الحطاب " في دراسة له برنامج للتربية البيئية على مستوى مرحلة تعليم ما قبل المدرسة يتضمن ثلاثة ميادين كبرى هى (معرفة بعض مظاهر البيئة – تدبير بعض موارد البيئة من هواء وماء وتربة ونبات – صيانة وحماية البيئة) ([1])

تلك أمثلة فقط لبعض برامج التربية البيئية ويتضح منها ما يلى :

١) أن التربية البيئية ضرورية لكل فرد في كافة مستويات العمر منذ ما قبل التعليم المدرسى الرسمى وحتى نهاية مراحل التعليم وما بعدها .

٢) ان غالبية البرامج المعدة تركز على المحتوى الدراسى في المقام الأول دون التركيز على المهارات او تنمية الأخلاقيات البيئية (الحس الخلقى)

٣) غياب المنظور الدينى عن تلك البرامج مما يجعلها قاصرة في تحقيق وتنمية الأخلاقيات البيئية ولا تحقق مفهوم الانسان (ذو البعد الدينى الروحانى) الذى يشعر فيه بأنه مكلف شرعا بحماية البيئة كفريضة شرغية .

وفى ضوء ما سبق تتضح الحاجة إلى ضرورة تطوير برامج التربية البيئية بحيث تركز على :

١) ضرورة تطوير البرامج الحالية للتربية البيئية في كافة عناصر العملية التعليمية (الاهداف،المحتوى ، الخبرات التعليمية ، أنشطة التعلم،الوسائل المعينة،أساليب وطرق التدريس،اساليب وطرق التقويم)

[1] : احمد الحطاب (١٩٨٨م) ، " التربية البيئية في مرحلة ما قبل المدرسة في : الانسان والبيئة "، التربية البيئية ، ندوة نظمها المكتب العربى لدول الخليج ، مسقط ، سلطنة عمان .

دون التركيز على المحتوى الدراسى كعنصر من عناصر العملية التعليمية وتجاهل بقية العناصر الأخرى .

٢)تدعيم محتويات برامج التربية البيئية بموضوعات تعكس المنظور الإسلامى للتربية البيئية مثل (الأصول الإسلامية للبيئة ، الفقه البيئى ، فقه الواقع البيئى ، التشريعات البيئية الدينية ،احكام وقواعد فقهية بيئية ، مشكلات بيئية معاصرة ودور الإسلام في مواجهتها ، حماية البيئة في الإسلام كفريضة شرعية .. الخ)

٣) التركيز على تنمية مهارات التعامل مع الموارد البيئية المتاحة لحسن إدارتها واستغلالها .

٤) التركيز على تنمية الأخلاقيات البيئية من خلال تعميق العقيدة الإسلامية والمبادىء الإسلامية .

٥) تدعيم برامج التربية البيئية بالتشريعات والقوانين البيئية التى تتفق مع الشريعة الإسلامية .

٦) تدعيم برامج التربية البيئية بنشاطات ودراسات بيئية يقوم بها المتعلم لتحسين وتطوير البيئة .

٧) التركيز على ضرورة الربط بين مستويات التعلم البيئى وهى (مستوى التعرف على البيئة ، ومستوى التعامل مع البيئة ، ومستوى تطوير البيئة) بحيث أن كل مستوى يهدف إلى تعميق فهم المتعلم للإرتقاء إلى مستوى التعلم التالى بحيث تهدف برامج التربية البيئية إلى تحسين البيئة .

٨) يجب أن تكون برامج التربية البيئية مستمرة وفق طبيعة " المنهج الحلزونى " الذى يسهم في تعميق فهم المتعلم للخبرات البيئية وتوسعها رأسيا بما يتفق مراحل نمو المتعلم عاما بعد آخر.

٩) ضرورة إدماج مفاهيم التربية البيئية وميادينها في كافة مقررات الدراسة بمراحل التعليم المختلفة .

خاتمة

وهكذا من يطلع على الكتاب والسنة وتراث الأمة الإسلامية يجد أن التربية البيئية ركن رئيس في آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية المطهرة وأبواب الفقه وموضوعات الأدب والدين في التراث الإسلامي ؛ مما يشجع على تطوير برامج التربية البيئية الحالية التى لا تعكس المنظور الإسلامى للتربية البيئية بحيث تكون برامج مناسبة للبيئة الإسلامية في عالمنا العربى وللبيئة العالمية في كل بلدان العالم باعتبار إن الإسلام دين عالمى موجه لكل العالم في كل مكان وزمان ؛ ولقصور تلك البرامج الحالية للتربية البيئية يتضح الحاجة الماسة إلى " التربية البيئية من منظور إسلامى " لتكون بحق المخرج المناسب للأزمة البيئية الراهنة .

الفصل العاشر

اقتراحات وتوصيات عامة لتنمية التنور البيئي من منظور ديني

الدين وأهميته في حياة البشر:

بالنظر لمفهوم الدين، فإن أكثر التفاسير والاصطلاحات ذهبت إلى أن الدين يراد به ما شرعه الله لعباده من أحكام، سواء ما يتصل منها بالعقيدة أو الأخلاق أو الأحكام العملية. وهذه الشريعة سار عليها جميع الأنبياء والرسل وأصحاب المذاهب والأفكار الدينية. وأهمية الدين تنبع برأي القائلين بأن الدين هو مسير ومنظم حياة الناس ومخطط شؤون حياتهم بمختلف الاتجاهات الروحية، والأخلاقية، والاقتصادية، والاجتماعية، والسياسية. مستندين بذلك إلى أن الله وهو خالق الناس أدرى بحياتهم ومصالحهم، لذلك لم يطلب منهم الكثير سوى العبادة وأن تكون العلاقة فيما بينهم علاقة أخوة ومحبة وتقارب، وطالما أن هذه العلاقة تسير في منحنى إيجابي فهي تعني العبادة أيضاً، إذ ليست العبادة إلا التقرب إلى الله بكل ما يرضيه ويحبه، فكما أن الصلاة عبادة، فالإحسان لأخيك الإنسان عبادة، ونصرة المظلوم عبادة، وتحرير الرقيق عبادة، وتمهيد الطريق وتسويته عبادة، وغيرها من أمور الناس الحياتية، مستشهدين بقوله تعالى في القرآن الكريم: (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم) (الحجرات، ١٣).

مما سبق يتضح جلياً أن أصحاب الفكر الديني يغذون برهانهم القائل بأن الدين هو دين ودولة، عبادة وحياة، سماء وأرض، ولا أدل على ذلك قوله(ص) كما جاء في الحديث المأثور(الخلق كلهم عيال الله وأحبهم إلى الله أنفعهم لعيالهم). ونتيجة لذلك يصعب استبعاد الدين في تنظيم شؤون حياة الناس حيث أنه قد تعرض لجميع أمورهم إن كان بالتصريح أو التلميح بحسب أصحاب الفكر الديني، وما على الناس إلا أن يستنتجوا فتواهم وإيجاد حل مشاكلهم إلا عن طريق النص والاجتهاد والقياس وغير ذلك من أسس التشريع ومصادره، لأن الله قد أودع في كتبه المنزلة على أنبيائه كل شيء كما قال في كتابه العزيز:(وما فرطنا في الكتاب من شيء)(الأنعام، ٣٨).

ولو عدنا إلى الكتب السماوية وبخاصة القرآن الكريم، كونه أخرها والسنة النبوية الشريفة لوجدنا أنهما عالجاً كثيراً من نظم حياة الناس وشؤونهم الدنيوية، فضلا عن التركيز على أمورهم التعبدية، كما هو في حالة الزواج والميراث، والقصاص ورعاية أمور ومصالح البشر والمعاهدات والبيئة والعمران وغير ذلك.

من ذلك يستدل القائلون بريادة الفكر الديني وأرجحيته في تنظيم وتسيس حياة البشر، بأنه يتوجب علينا دون نقاش الرجوع للدين والأخذ بتلابيبه والتحكيم به في جميع أمورنا الدينية والدنيوية، فعندها يكمل الإيمان ويصح، استناداً لقوله تعالى:(فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم، ثم لا يجدون في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً) (النساء، ٦٥)

المجتمع المدني بين العلمانية والدين

للأسف يوجد بعض من المسلمين من يشدد على أن الإسلام ممثلاً بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم لم يكن إلا نبياً ورسولاً فقط لهداية الناس إلى الطريق القويم للعبادة دون التدخل في شؤونهم الدنيوية، ضارباً عرض الحائط بأن المجتمع المدني هو مجتمع ديمقراطي يستند على كل من الشريعة(الدين) / والعقل(القانون البشري)، ومن أبرز هؤلاء علي عبد الرزاق الذي يقول في كتابه (الإسلام وأصول الحكم): (لم يبق أمامك بعد الذي سبق إلا مذهب واحد، وعسى أن تجده منهجاً واضحاً.... خالياً من المشاكل. ذلك هو القول بأن محمدا صلى الله عليه وسلم ما كان إلا رسولاً لدعوة دينيه خالصة للدين، لا تشوبها نزعة ملك ولا حكومة وأنه صلى الله عليه وسلم لم يقم بتأسيس مملكة، بالمعنى الذي يفهم سياسة من هذه الكلمة ومرادفاتها ما كان إلا رسولاً كإخوانه الخالين من الرسل وما كان ملكاً ولا مؤسس دولة، ولا داعياً إلى ملك "(عبد الرزاق، ص ١٦٤)، مستشهداً على ذلك بآيات منها: (لا إكراه في الدين قد بين الرشد من الغي) (البقرة، ٢٥٦) وقوله تعالى(فذكر إنما أنت مذكر لست عليها بمسيطر) (الغاشية، ٢١٢) وقوله أيضاً: (أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين) (يونس، ٩٩).

لذلك يرد أصحاب المجتمع المدني على ما سبق بأن الإسلام دين فضلا عن أنه عالج كثيراً من مشاكل حياة الناس الاجتماعية إذ " اختلف الصحابة بعد الرسول في قراءة النص القرآني كما اختلفوا في تفسيره وأشكال تطبيقية دون أن يصادروا حق مخالفيهم في الاجتهاد والتفسير إن حق الاجتهاد مضمون لمن يجتهد دون أن يكتسب ذلك الاجتهاد خصائص إلهية تجعل تفسيراته وتطبيقاته الشرعية محتكرة للصواب منفردة بمزيته وتجعل الأخذ بها واجباً بها على الخلق، وادعاء مثل هذا الحق هو مصدر وأساس كل قهر واستبداد سلطوي أو فئوي أو طائفي في المجتمع

واستنتاجاً لما يحدث بين أفراد المجتمع من ممارسة وقهر يحكمهم في كثير من الأحيان باسم الدين نرى أن ذلك يزيد من أعداد المقهورين والفقراء وكما يقول برقاوي: " إن تزايد أعداد الفقراء الذين فقدوا الأمل بالخلاص عن طريق الأيديولوجية الأرضية دفعها لأن تفكر بالخلاص الديني مرة أخرى، وقات الفقراء وبخاصة تلك التي تعيش في المدينة وغير حاصلة على أى امتياز من إمتيازاتها ونشاهد بالعين

المجردة نمط حياة السماسرة والمقاولين ورجالات الحكم قد أغنى نزعة الحقد الطبقي خارج الفهم الموضوعي للعالم المعيش.

إن العلمانية كأيديولوجية لا تطرح هموم هؤلاء المعيشية وبالتالي خلقت الانطباع بأنها نوع من ترف مثقفين منعزلين عن الواقع برفعها مسألة حرية الاعتقاد وفصل الدين عن الدولة خارج الطابع الاجتماعي – الطبقي.

فالمجتمع الذي تنبثق منه مؤسسة سياسية أو حزبية تؤمن برأيها فقط وتصادر آراء الآخرين، سيكون القمع حليفه إذا ما امتلك وسائل ضاغطة لنيل حقوقه، أما إذا كانت مؤسسات حكومية فقطعاً ستقضي بالنتيجة إلى الدكتاتورية. (الخلفي، ص ٣٦).

إن الذي يختلف معك في الرأي لم يكن بأي شكل من الأشكال عدواً لك، لأن هناك العديد من المشتركات التي تربط بينكما، وعلى هذا الأساس يمكن الانطلاق وسط الأمة وطرح البرنامج السياسي والفكري على أساس حرية الاقتناع بهذه الأفكار المطروحة وليس إجبار الآخر على تبنيها والدفاع عنها، ومقاتلة وسحق من يخالفها.

إن المنادين بعلمنة المجتمع والابتعاد عن الدين، قد ابتعدت عن الحقيقة وهنا يوكد كثير من الكتاب ما يلى :

" العلمانية بوقوفها فقط عند جانب وحيد ضيق هو علاقة الدولة بالدين دون طرح مشكلة الدولة القطرية التي تتناقض مع الهوية فإنها تسلم شاءت أم أبت للواقع " لذلك فإن من دعاوي العلمانيين أن العلم والفلسفة الوضعية أثبتا أنه لا حقيقة وراء الحس والواقع الحسي وأن العقل العلمي يتجاوز مرحلة الأديان والميتافيزيقا وغاية العلمانيين في بلادنا اللحاق بالفكر الغربي، ومواكبة الثورة العلمية الصناعية التكنولوجية، وما يسمونه العولمة أو الكوكبة التي تعني بأنها فلسفة تدعو إلى عالم واحد ليس فيه قومية، ولا وطنية ولا ديانات ولا أحزاب وإنما الانفتاح بحكم الجميع، والديمقراطية هي مذهب الكل وحرية التجار مكفولة، فلا حدود ولا اضطهادات سياسية أو دينية، والإنسان كيفما كان له حقوق مثل كل فرد آخر.

وهناك من يقول إن هناك فرقاً بين العلمانيين الذين ينكرون إقحام الدين في أمور حياة البشر الدنيوية بشكل كامل وبين أولئك العلمانيين المنصفين الذين يسعون للتوفيق بين العقل والدين فيقولون: الفرق بين العلماني القح عن العلماني المسلم أو المسيحي أو اليهودي هو أن الأول ينكر الدين تماماً،

ويغلب العقل والعلم، واهتمامه بهذه الحياة الدنيا، والثاني يؤمن بالآخرة ويراعي العبادات، ولكنه في المصلحة والتشريع يتابع القوانين الوضعية: مثل الطلاق وأكل اللحم وغيرها.(الحفني، ص ٥٦٣).

إن العلاقة التي تربط المجتمع المدني بكل من الدين والعلمانية تتمثل في أن المجتمع المدني هو المجتمع الديمقراطي الذي يتبنى أسلوب التربية المدنية والذي تسوده العدالة والمساواة وتكافؤ الفرص للجميع، يأخذ من الدين التفسيرات التي تخدم مصالح الناس ويعتمد على العلمانية باعتبار مبدأ وتكافئ الفرص، في حين يمكن أن يحمل المجتمع المدني معه أشكلاً غير منشودة أيضاً. إن القضية ليست بحيث أن نمو المجتمع المدني في أي بلد وبأي شكل سوف يؤمن بالتنمية والتقدم بل لا بد من ملاحظة أننا نواجه أي مجتمع ؟ وأي نسيج اجتماعي وتقليدي، ومع أي معنويات إنسانية وشروطه مناطقية وسياسية نتواجه ؟ وبعد ذلك نستطيع الحكم في أنه هل هذا النمط الخاص من المجتمع المدني يمكنه أن يقدم جواباً للمشكلات أو أن يكون دليلاً لهذا المجتمع التنمية الشاملة أو لا ؟

إذا كانت الديمقراطية تعني حكم الشعب فإن الهدف من الحكم الشعبي هو السعي للوصول إلى بناء المجتمع المدني، ولا شك فإن الشعب إذا حكم نفسه قطعاً فإنه يبتغي الوصول إلى الوضع الأحسن ويسعى بشكل مستمر لتحسين وضعه إلى الشكل الذي يرضى طموحه. وبذلك سيكون المجتمع المدني هدفاً في وصول الشعب إليه عبر وسيلته الشرعية والديمقراطية.

بالنظر للمجتمع المدني نجد أن واحدة من امتيازات وخصائص هذا المجتمع هي تحديد وتحجيم السلطة السياسية، وهذه الخاصية تمنح المجتمع المدني صفة المعارضة للاستبداد وهذا السمة تتصل بالدين صلة وثيقة حيث يقول(ص): " السمع والطاعة حق ما لم يؤمر بالمعصية فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة "(البخاري، برقم ٢٧٣٥) يدل هذا الحديث دلالة واضحة على أن في المجتمع الإسلامي معارضة وإبداء رأي، والتصرف بأمور الحياة بما يقضي إلى تحقيق أهدافهم ومصالحهم دون إيذاء الآخرين، يقول(ص): " إذا كان شيء من أمر دنياكم فأنتم أعلم به فإذا كان دينكم فإلى "(مسند أحمد، برقم ١٢٠٨٦) ولنقرأ قوله تعالى في الآية التي ربط فيها عبادة الله بتحقيق مصالح الناس وخدمتهم أن كانوا من المقربين أو غيرهم:(وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلا الله وبالولدين إحسانا وذي القرى والمساكين وقولوا للناس حسنا، وأقيموا الصلاة وآتو الزكاة....(البقرة، ٨٣)

فالدين دعا لإقامة المجتمع على أساس العقلانية المبينة على مرجعية دينية، فإن كان هناك ما يناقض مصالح الناس التي أرادها الله فلا سمع ولا طاعة، قال(ص): " إن أحب الناس إلى الله يوم القيامة وأدناهم منه مجلساً إمام عادل وأبغض الناس إلى الله وأبعدهم إمام جائر "(الترمذي، برقم ١٢٥٠)

بالنتيجة، فإن الدين دعم للمجتمع المدني وأتباع لأسلوب التربية المدنية ولم يكن أمامها، أو أمام اختيار الناس لأي شكل من أشكال الحكم وتسيير أمور الحياة، إذ يقول(ص): " الحكمة ضالة المؤمن فحديث وجدها فهو أحق بها "(الترمذي، برقم ٢٦١١) ويقول تعالى: (ولو كنت فظاً غليظ القلب لا نفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر) (آل عمران، ١٥٩) ومهما يكن أمر فلا بد من القول بأن العلمانية لا يمكن إبعاد فكرها عن الحياة المجتمعية، لكن لا بد من عدم الخلط والقول بأنها حتمية وبدلاً عن الدين،فكلا من الدين والعقل أساسهما في رصف الطريق الصحيح وإقامة الجسر المتين الذي يمكن الأفراد والمجتمع أن يعبروا عليها في تحقيق غاياتهم واستمرار الحياة بشكل سليم على خلفية دينية وعقلية متوازية.

مفهوم البيئة (INVIORONMENT)

بعيداً عن الغوص في جدلية المصطلحات وما ينتج عنها من تفريعات متنوعة تتعدد بتنوع الإضافات واختلاف المفاهيم، ودون حاجة إلى إيراد الاجتهادات الكثيرة في تعريف مصطلح البيئة أقول إنها عرفت بتعريفات كثيرة تأخذ مناحي متنوعة غير أن ما يربطها جميعاً هو أنها تدور حول محور واحد هو الكائن الحي وما يحيط به ، ولذلك عرفها البعض بأنها المجال الذي تحدث فيه الإثارة والتفاعل لكل وحدة حية ، أوهي كل ما يحيط بالإنسان من موارد طبيعية ومجتمعات بشرية ونظم اجتماعية[1] ، وقد عرف مؤتمر البيئة الذي عقد تحت رعاية الأمم المتحدة في استكهولم بالسويد سنة ١٩٧٢ ، البيئة بأنها : " رصيد الموارد المادية و الاجتماعية المتاحة في وقت ما وفي مكان ما لإشباع حاجات الإنسان وتطلعاته "[2] ، وقد حاول بعض الباحثين أن يحدد مفهوما إسلامياً للبيئة غير أنه في تصوري لا يخرج عن التعاريف الأخرى التي ذكرت لمفهوم البيئة .

إن دراسة مفهوم البيئة وتصوراتها المختلفة قد يقود حتما إلى ذكر نقطتين أساسيتين :

الأولى : أن مفهوم البيئة قد يضيق ليحدد نشاطاً خاصاً يتعلق بمجال واحد دون غيره وذلك حين نقول مثلاً : البيئة الصحية، البيئة الزراعية، البيئة الثقافية، البيئة السياسية الخ ونعني بذلك النشاط البشري والصناعي الذي يتعلق بمجال محدد لا يتعداه لغيره .

الثانية : أن البيئة تقسم في معظم المصادر إلى قسمين رئيسيين:

[1] مصطفى العلواني /التلوث جريمة الجشعين /مجلة.
[2] محمد الفقي /البيئة/ مكتبة ابن سينا / مصر ١٩٩٣/ ص١٨.

البيئـة الطبيعيـة: ويقصد بهـا المكونـات البيئيـة التـي لا دخل للإنسـان فـي إيجادهـا كالبحـار والأنهـار والصحاري والجبال والمناخ .... الخ .

البيئة الصناعية : ويقصد بها المظاهر الحياتية التي شيدها الإنسان وأنتجها لصالحه وتشمل مظاهر البناء والتشييد واستغلال الموارد المائية والنباتية والنظم الاجتماعية والحضارية... الخ.

الديانات والبيئة

إذا كان ما قدمته سابقاً يؤكد على اهتمام الإسلام بالبيئة ونظرته إلى سلامتها والمحافظة عليها نظرتـه للحياة ذاتها، فإن السؤال الذي يتبادر إلى الذهن هو هل كل أصحاب الديانات الأخرى كانت لديهم هذه النظرة وهل كان لهم دور في المحافظة على البيئـة انطلاقاً من عقائدهم وقيمهم كما هو الحال في الإسلام ؟ العالم المعاصر كله يمثل إجابة لهذا السؤال فمعظم ملوثات البيئة في عالمنا مصدرها العالم الغربي وهو الذي يمثل افتراضاً العالم المسيحي فهل انفصل المسيحيون عن ثقافتهم الدينيـة فلم يعد لديهم وازع ديني يحكم سلوكياتهم ؟ أم أن المسيحية ذاتها لم تتضمن ما يحد من تطلعات الإنسان النفعية والتي وصل مداها إلى دمار البشرية وأصبحت الكرة الأرضية كلها مهددة بأخطار التلوث الناتج عن الآلة الغربية التي أطلق العلم الحديث مداها حتى طالت قضايا لم تكن نتصور أنها ستخرج من عالم الخيال إلى عالم الواقع .

يدور جدل كبير حول هذه القضية في الأوساط الثقافيـة العالميـة، فهناك من علماء البيئـة العلمانيون من يقول :" إن مؤرخين وفلاسفة وعلماء بيئة يتجادلون في قضية أن المسيحية هي التي تتزعم جناية العالم المعاصر على البيئـة بتسويغها خراب الأرض "[1] وهناك من يقول إن العلماء الغربيين تتبعوا" جذور أزمتنا البيئيـة وأرجعوها إلى الموقف اليهودي المسيحي من الطبيعة فإن هذا الموقف وما يصاحبه من ميراث تقليدي وثقافي هو المسئول عن الأخطار الموضوعية التي تهدد المستقبل الإنساني ألا وهي :

١) انطلاق التكنولوجيا الموجهة إنتاجياً والذي أدى بدوره إلى نضوب موارد الأرض الطبيعية.

٢) الضغط الكلي والفردي على الأرض والبيئة .

٣) الزيادة المستمرة في المخلفات .

---

[1] **Mennonite Central Committee Worldly Spirituality (Harper and Row.1984)**

٤) المخزون من الأسلحة النووية والكيميائية والبيولوجية الذي يكفي لتدمير الأرض بضع مرات .

إن كل اتجاه من تلك الاتجاهات يمثل خطراً رئيسياً يهدد رخاءنا الجماعي بل وبقاءنا، ويحاول علماء أمثال فرايزر دارلنج وثيودور روزال وجوفرى نيكرز ولين وايت الصغير أن يبرهنوا أن هذه المخاطر ما هي إلا نتاج النظام الأخلاقي الغربي، وجذور أزمتنا الأيكلوجية بديهية فهي تكمن في معتقداتنا وكياناتنا القيمية التي تشكل بدورها علاقاتنا بالطبيعة وعلاقة كل منا بالآخر وكذلك تشكل الأنماط الحياتية التي نعيشها "[1] .

وفي المقابل فإن هناك من رجال الدين اليهود والمسيحيين من يرى أن الأديان جميعاً قد احتوت ما يوجه الإنسان إلى المحافظة على البيئة وأن دور الأديان في حماية البيئة المعاصرة مهم جداً كما جاء في ورقة الحاخام دانيال برنير المقدمة إلى مؤتمر الدوحة الرابع لحوار الأديان والتي طالب فيها بالتصدي الفوري للمخاطر البيئية التي تحيط بالأرض وضرورة استخدام التكنولوجيا من أجل خير البشر مشيراً أن الله قد دعا المؤمنين إلى الاهتمام بالأرض، وأن الزعماء الدينيين مطالبون بالضغط على الحكومات لدرء الحروب التي تدمر البيئة وفي نفس السياق وفي ذات المؤتمر أشار الدكتور/ مرون عازار أمين سر كلية اللاهوت الحبرية في جامعة روح القدس بلبنان إلى أهمية بناء الإنسان لحماية البيئة مذكرا بما قاله البابا بولس السادس سنة ١٩٧٢ مسيحي، من ضرورة احترام الطبيعية والتشديد على المسئولية الجماعية في حماية البيئة "[2].

وإذا كانت الإشارات السابقة قد انطلقت من الواقع رابطة بينه وبين القيم الدينية للإنسان الغربي، فإن هناك تحليلاً أعمق يحاول فيه العلامة (محمد باقر الصدر) أن يقارن بين الإنسان الشرقي والأوروبي من حيث تغلغل القيم الدينية في كل منهما وأثر ذلك في تعاملهما مع المكونات الحياتية المختلفة فيقول :" يختلف الإنسان الأوروبي عن الإنسان الشرقي اختلافاً كبيراً فالإنسان الأوروبي بطبيعته ينظر إلى الأرض دائماً لا إلى المساء وحتى المسيحية – بوصفها الدين الذي آمن به هذا الإنسان مئات السنين – لم تستطع أن تتغلب على النزعة الأرضية في الإنسان الأوروبي بل بدلا عن أن ترفع نظره إلى السماء استطاع هو أن يستنزل إله المسيحية من السماء إلى الأرض ويجسده في كائن أرضي " "ولقد استطاعت النظرة إلى الأرض لدى الإنسان الأوروبي أن تفجر طاقاته في البناء وأدت أيضاً إلى ألوان التنافس المحموم على الأرض وخيراتها ونشأت أشكال من استغلال الإنسان لأخيه الإنسان لأن

---

1 ضياء الدين سردار /نحو نظرية إسلامية عن البيئة /ترجمة سمية البطراوي /مجلة المسلم المعاصر /س١٥/ع٥٩/١٩٩١/ص٧٧-٧٨.

2 مؤتمر الدوحة الرابع لحوارالاديان /٢٥-٢٧/ابريل/ 2006/قطر.

تعلق هذا الكائن بالأرض وثرواتها جعله يضحي بأخيه ويحوله من شريك إلى أداة ، وأما الشرقيون فأخلاقياتهم تختلف عن أخلاقيات الإنسان الأوروبي نتيجة لتاريخهم الديني فإن الإنسان الشرقي الذي ربته رسالات السماء وعاشت في بلاده ومر بتربية دينية على يد الإسلام ينظر بطبيعته إلى السماء قبل أن ينظر إلى الأرض ويأخذ بعالم الغيب قبل أن يأخذ بالمادة والمحسوس وهذه الغيبية العميقة في مزاج الإنسان الشرقي المسلم حدت من قوة إغراء المادة وقابليتها لإثارته "[1] .

إن ما قدمته سابقاً لا يعنى على الإطلاق خلو الأديان الأخرى غير الإسلام من قيم ونصوص تحترم البيئة وتدعو إلى المحافظة عليها، فالعهدين الجديد والقديم يحتويان الكثير مما يشير إلى ضرورة المحافظة على مكونات البيئة ودور الإنسان في حمايتها، والأدعية الزرادشتية مشحونة بالثناء على الجبال والأنهار والمحيطات وجميع الأرض ومخلوقاتها، ومن بين تعاليم الزرادشتيين المعاصرين أن كل بذرة وردة تختص بملاك، كما أن الطبيعة في الديانتين الهندوسية والزرادشتية تأخذ شكل الاحترام الكامل الذي يتحول في النهاية إلى تطرف ليصل إلى العبادة[2] .

إن الإشكالية البيئية المعاصرة ليست في النصوص الدينية عند مختلف الأديان وإنما الإشكالية مرتبطة بانفصال الإنسان الغربي – المتهم الأول بتدمير البيئة – عن ثقافته الدينية وعدم التزامه بعقائد وأخلاق المسيحية واليهودية، وهذا ما تناوله المؤتمر الكبير الذي نظمه الصندوق العالمي لحماية البيئة في مدينة (باكتابور) القديمة في نيبال والذي حضره ممثلون لإحدى عشرة ديانة كبيرة في العالم، وقد أكد الأمين العام لمنظمة تحالف الدين والحفاظ على البيئة أن جميع الديانات بها تعاليم بيئية أبرزها المؤتمر وقد تعهد ممثلوا الديانات المشاركة باتخاذ إجراءات مناسبة من أجل حماية الكرة الأرضية [3].

إننا ونحن نعرض هذه الصورة عن نظرة الديانات إلى البيئة نشعر بأن الإسلام من خلال عقائده وقيمه ومثله وثقافته المأخوذة من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة أكثر احتراما للبيئة وأكثر محافظة عليها وذلك لأن الإسلام دين إنساني يحترم الإنسان ويقدسه ويسهل له كل ما يؤدي إلى استغلال الموارد البيئية دون تفريط أو إهدار لهذه الموارد، وهذا يرتب علينا مهمة كبيرة في التبشير به وبدوره في حل مشكلات البشرية المعاصرة .

1 محمد باقر الصر / منابع القدرة في الدولة الإسلامية / دار التعارف .
2 د.مصطفى المحقق/مسؤلية الحاكم المسلم ازاء المحافظة على البيئة.
3 رجال الدين يتعهدون بالحفاظ على البيئة / بي بي سي أونلاين

توصيات عامة لحماية البيئة من منظور إسلامى

١. أن ينص الدستور في كل بلدان العالم حق الانسان في العيش في بيئة نظيفة غير ملوثة.

٢. التوعية الدينية بأن الله قد جعل الإنسان مستخلفاً في الأرض وعليه أن ينتفع بما في البيئة ويسخر مواردها لصالحه، بشرط المحافظة عليها وعلى مواردها من الفساد والتشويه، وأن يحافظ عليها ليس فقط من أجله، ولكن من أجل الأجيال القادمة، عملاً بقوله تعالى (ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها).

٣. على كل إنسان أن يعمل على حماية البيئة والمحافظة على مواردها، حيث أنه مسئول أمام الله عن نفسه وعن أسرته وعن مجتمعه الذي يعيش فيه، حيث يقول الرسول صلى الله عليه وسلم (كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته) وهناك العديد من الأحاديث النبوية الشريفة التي تدعو إلى حماية البيئة، ومنها بالإضافة إلى ما سبق ذكره ما يلي: النظافة شطر الإيمان، حق على كل مسلم أن يغتسل كل سبعة أيام يوماً يغسل فيه رأسه وجسده).

٤. يجب توعية المواطنين دينياً بالالتزام بالتعاليم الدينية في عدم التبذير في استهلاك المياه من أجل تقليل مياه الصرف الصحي التي أصبحت مشكلة قومية، كما يجب التوعية بعدم قطع الأشجار والنبتات الخضراء، لأنها تقلل كمية الأكسجين اللازمة للحياة، كما يجب التوعية بعدم تجريف الأرض الزراعية، لأن ذلك يقلل من خصوبة هذه الأرض ، كما يجب التوعية بعدم البناء في الأرض الزراعية، لأن المسلمين في أشد الحاجة إلى كل شبر من الأرض ينتج غذاء للمجتمع.

٥. يجب أن يتدخل ولاة الأمر لحل المشاكل البيئية العامة فمثلاً:

أ. على الدولة أن تقوم بمنع المواطنين من إلقاء القمامة أو مياه الصرف في الشوارع.

ب. على الدولة التحقق من أن المصانع تلتزم بالقواعد الصحية من حيث عدم تلوث البيئة.

جـ. يجب سن القوانين الرادعة لحفظ مياه النيل من التلوث، وكذلك مياه البحر والهواء والتربة.

٦ .توعية الإنسان من خلال برامج التربية البيئية بمراحل التعليم بضرورة :

أ) الحفاظ على مقدرات الأرض حاجة بشرية وضرورة دينية، لايجوز المساس بكنه نظامها تحت أي ذريعة علمية.

ب) سخر الله كل مكوّنات البيئة لصالح الإنسان بما يتلاءم ومقام تكريمه ، ولذا كان العبث بها إساءة للقيم الإنسانية سر الخلق الإلهي.

٧ . تزويد الخطباء والأئمة والدعاة بآخر الأبحاث العلمية المتعلقة بالمنتجات المضرة بالبيئة ؛ لنحصن المجتمع بشكل مباشر من كل أذى وافد إلينا باسم التكنولوجيا العلمية أوغيرها من الدعايات.

٩. تخصيص برامج محددة على وسائل الإعلام تعنى بحماية الإنسان من فعله المضر بالبيئة التي جعلها الله رحماً ليعيش فيها بعافية وكرامة ، من خلال تسليط الضوء على المنظور الإسلامي للكون من حولنا والقوانين التي تحكم الحياة فيه، مع تخصيص قنوات فضائية خاصة بنشر الوعى والتنور البيئى .

١٠) الاستفادة من الشبكة العالمية (الإنترنت) لنشر ثقافة حماية البيئة من خلال العديد من المواقع المتخصصة بكافة لغات العالم .

١١) تشجيع طلاب البحث العلمى بمراكز الدراسات البيئية في كل بلدان العالم بإجراء المزيد من الدراسات والبحوث العلمية في مجال المنظور الإسلامى للبيئة وفى مجال إعداد برامج للتربية البيئية من منظور إسلامى .

١٢) مخاطبة العالم الغربى بخطاب دينى مستنير يوضح إن الإسلام هو المشروع الحضارى البديل لمواجهة الأزمة البيئية الراهنة وحل ما يواجه العالم المعاصر من مشكلات وتحديات بيئية معاصرة .

١٣) التعاون مع منظمات المجتمع العالمى في تكوين قاعدة معلومات علمية دقيقة وصحيحة حول مشكلات البيئة وكيفية إيجاد حلول واضحة لمواجهتها او التقليل من حدة مخاطرها الحالية خاصة مشكلات التلوث البيئى ومشكلة الاحتباس الحرارى .

١٤) حث حكومات المجتمع الصناعى على الاسهام بدور واضح في التقليل من مخاطر التلوث البيئى والتفليل من الغازات المنبعثة التى تزيد من مخاطر الاحتباس الحرارى .

١٥) سن القوانين والتشريعات البيئية الدينية مع ضرورة تجديد الفقه الدينى واستحداث فقه البيئة المعاصر؛ مع الدعوة إلى تطبيق تلك التشريعات الدينية في العالم أجمع من خلال عقد الندوات والمؤتمرات العلمية العالمية التى تسهم في نشرها عالميا .

١٦) التفكير في إعداد برنامج دولى للتربية البيئية يستند على الأصول الإسلامية للبيئة ومدعوم بالقوانين والتشريعات البيئية العالمية والتشريعات البيئية الدينية ؛ وبث مثل ذلك البرنامج للعالم أجمع من خلال القنوات الفضائية ومن خلال مواقع عديدة بالانترنت .

الهوامش
ومراجع الدراسة

الهوامش والمراجع

أ) القرآن الكريم

ب) الكتب التراثية

١. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة.

٢. ابن سينا : القانون.

٣. ابن عبد ربه: العقد الفريد.

٤. ابوبكر الرازي: الحاوي.

٥. أولاد موسى بن شاكر: الحيل.

٦. البيروني : مروج الذهب.

٧. الكندي: مقالات في الأبخرة المصلحة للجو من الوباء.

ج) الكتب:

١. ابن القيم /الطب النبوي تحقيق/ د.عبد المعطي قلعجي/ دار الوعي حلب/ط١٤/محرم/١٤١.

٢. ابن جبير، التذكرة بالأخبار في اتفاقات الأسفار، دار صادر، بيروت، ١٩٦٤م، صفحة ١٠٢.

٣. ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

٤. أبو القاسم الحسين بن محمد المفضل المعروف بالراغب الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم، ضبطه وصححه وخرج آياته وشواهده: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ/ ١٩٩٧م.

٥. أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني، المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، الطبعة الثانية، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٩ م.

٦. أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، شعب الإيمان، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠ هـ .

٧. أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، سنن أبي داود، ضبط وفهرسة: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

٨. أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي، معجم البلدان، دار الفكر، بيروت، بدون تاريخ.

٩. أبو يوسف (يعقوب بن إبراهيم)، الخراج، تحقيق: د. محمد إبراهيم البنا، دار الاعتصام، القاهرة، ١٩٨١.

١٠. أبوالقاسم بن رضوان المالقي، الشهب اللامعة في السياسة النافعة، صفحة ٢٢٢.

١١. أبوحنيفة الدينوري (ت ٢٨٢هـ): صنف النباتات في كتابه "النبات" وشرح علاقاتها ببيئتها.

١٢. احمد الحطاب (١٩٨٨م) ، " التربية البيئية في مرحلة ما قبل المدرسة في : الانسان والبيئة "، التربية البيئية ، ندوة نظمها المكتب العربى لدول الخليج ، مسقط ، سلطنة عمان
١٣. أحمد الصاوي، الأسبلة ماء الحضارة، المرجع السابق، صفحة ٥٦.
١٤. أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني، مسند أحمد بن حنبل، مؤسة قرطبة، القاهرة، بدون تاريخ.
١٥. أحمد سلامة / حماية البيئة في الفقه الإسلامي / مجلة الاحمدية / مايو ١٩٩٨ / دبي / ص
١٦. الإمام الحافظ أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، مراجعة وضبط: الشيخ محمد علي القطب والشيخ هشام البخاري، المكتبة العصرية، صيدا/ بيروت، ١٤٢٤ هـ/ ٢٠٠٤م.
١٧. الإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، رقّم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الريان للتراث، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧م.
١٨. الإمام الحافظ محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، سنن الترمذي، الضبط والفهرسة: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤١٧ هـ.
١٩. أنطوني جيدنز، بعيدا عن اليسار واليمين، ترجمة: شوقي جلال، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت ، سلسلة عالم المعرفة، الكتاب رقم ٢٨٦، رجب ١٤٢٣هـ / أكتوبر ٢٠٠٢م.
٢٠. برهان الدين إبراهيم بن موسى بن أبي بكر، الإسعاف في أحكام الأوقاف، دار الرائد العربي، بيروت، من دون تاريخ، صفحة٩.
٢١. بي بي سي أونلاين ،رجال الدين يتعهدون بالحفاظ على البيئة
٢٢. بيلي إبراهيم أحمد العليمي، عناية الاقتصاد الإسلامي بالصناعة على المستويين النظري والعملي، بدون ناشر، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ/ ٢٠٠١م.
٢٣. تقي الدين المقريزي، الخطط المقريزية :المواعظ والاعتبار، دار صادر، بيروت، الجزء الثاني، صفحة ٤٠٢.
٢٤. الجاحظ (ت ٢٥٥هـ): أثبت في كتابه "الحيوان" التأقلم الحيواني بالبيئة، وأشار إلى نظرية المكافحة الحيوية باستعمال بعض الحيوانات في القضاء على بعض.
٢٥. جمال الدين عبد الله بن يوسف أبو محمد الزيلعي، نصب الراية في تخريج أحاديث الهداية، تحقيق: محمد يوسف البنوري، دار الحديث، القاهرة، ١٣٥٧ هـ .

٢٦. جميل أكبر، عمارة الأرض في الإسلام، صفحة ٢٠
٢٧. جميل عبد القادر أكبر، عمارة الأرض في الإسلام، دار القبلة للثقافة الإسلامية بجدة ومؤسسة علوم القرآن ببيروت، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢ م.
٢٨. الحافظ المنذري، صحيح الترغيب والترهيب ، اختيار وتحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.
٢٩. الحافظ محمد بن إسماعيل البخاري ، الأدب المفرد، ، تحقيق: سمير بن أمين الزهيري، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م.
٣٠. الحسن بن محمد البوريني، تراجم الأعيان من أبناء الزمان، تحقيق: صلاح الدين المنجد، دمشق، ١٩٥٩م، الجزء الأول، صفحة ١٨٨.
٣١. الحمد رشيد: البيئة ومشكلاتها. عالم المعرفة.الكويت.١٩٨٤.
٣٢. الحموي (أبو العباس، شهاب الدين أحمد بن محمد مكي الحسيني)، غمز عيون البصائر على الأشباه والنظائر لابن نجيم الحنفي، دار الطباعة العامرة، الأستانة، الجزء الثاني، صفحة ١٢٢.
٣٣. الحموي (أبو العباس، شهاب الدين أحمد بن محمد مكي الحسيني)،غمز عيون البصائر على الأشباه والنظائر لابن نجيم الحنفي، دار الطباعة العامرة، الأستانة، ١٢٩٠ هـ.
٣٤. خليل الميس "البيئة في الفقه الإسلامي وقاية وتنمية" بحث مقدم في الدورة التاسعة عشر ، مجمع الفقه الإسلامى ، الأمارات العربية المتحدة ، إمارة الشارقة .
٣٥. الراغب الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم، صفحة ٣٨٨.
٣٦. زكريا بن محمد القزويني (ت ٦٨٢هـ): لاحظ في كتابيه "عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات" و"آثار البلاد وأخبار العباد" تأثير البيئة على الحيوان ودرس العلاقات بين الحيوانات، وأثبت فكرة المشاركة والتكافل بينها، هذه الفكرة دعمها:
٣٧. السبكي (تاج الدين عبد الوهاب بن علي)، الأشباه والنظائر، دار الكتب العلمية، بيروت، الجزء الأول، صفحة ٤١. : السيوطي (جلال الدين بن عبد الرحمن)، الأشباه والنظائر في قواعد وفروع الشافعية، دار الباز للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، بدون تاريخ، صفحة ٨٦.
٣٨. سعاد عبد الله العوضي ، البيئة والتنمية المستدامة، ، الجمعية الكويتية لحماية البيئة، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٢٤ هـ/ ٢٠٠٣م.
٣٩. السكري علي علي: البيئة من منظور إسلامي. منشأة المعارف. الإسكندرية ١٩٩٥.
٤٠. السمهودي (نور الدين علي بن أحمد)، وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٩٨٤م.

٤١. سيد قطب : في ظلال القرآن / ط ٦ / مج ٥ / ص ٢٢٣.
٤٢. سيمونز إيان: البيئة عبر العصور. ترجمة السيد محمد عثمان. عالم المعرفة.الكويت ١٩٩٧
٤٣. السيوطي (جلال الدين بن عبد الرحمن)، الأشباه والنظائر في قواعد وفروع الشافعية، دار الباز للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، بدون تاريخ.
٤٤. الشيرزي/نهاية الرتبة في طلب الحسبة /دار الثقافة /بيروت / تحقيق د. السيد العريني /ط٢/١٩٨١.
٤٥. صالح حميد العلي،عناصر الإنتاج في الاقتصاد الإسلامي والنظم الاقتصادية المعاصرة: دراسة مقارنة، اليمامة للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق/ بيروت، بدون تاريخ.
٤٦. صبري الدمرداش ، تلوث الهواء: المشكلة والحل، الأمانة العامة للأوقاف، الصندوق الوقفي للمحافظة على البيئة، الكويت، ٢٠٠٠م.
٤٧. صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الفضائل، باب: توفيره صلى الله عليه وسلم وترك إكثار سؤاله عما لا ضرورة إليه أو لا يتعلق به تكليف وما لا يقع ونحو ذلك، الحديث رقم ١٣٠ – (٢٣٥٧)، الجزء الثامن، صفحة ٩٧.
٤٨. ضياء الدين سيدار / نحو نظرية إسلامية عن البيئة / تزكية البطراوي / مج المسلم المعاصر / س ١٥ / ع٥٩ ١٩٩٤ / ص ٨٧ وما بعدها
٤٩. عبد الحكيم بدران، التنوع الأحيائي، سلسلة قضايا بيئية، الكتاب رقم ٤٤، الجمعية الكويتية لحماية البيئة، الكويت، ربيع الآخر ١٤١٦ هـ / سبتمبر ١٩٩٥ م.
٥٠. عبد اللطيف خالد المحمود: البيئة والتلوث من منظور الإسلام. دار الصحوة.القاهرة ، ١٩٩٣م
٥١. عبد الله بن أحمد بن البيطار (ت ٦٤٦ هـ): درس في كتابه " الجامع لمفردات الأدوية والأغذية" النباتات في مختلف البلاد ووصفها بما يهيئ لتصنيفها بدقة.
٥٢. العروسي الميزوري، التربية البيئية، نفس المرجع السابق، ص٧٢، لمزيد من التفصيل.
أبو بكر الأخزوري، خلق الإسلام يهدي إلى سلامة البيئة، جزء١، الصباح، نفس المرجع السابق،
٥٣. عمر بن أحمد أبو حفص الواعظ ، تاريخ أسماء الثقات، ، تحقيق: صبحي السامرائي، الدار السلفية، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤ هـ/ ١٩٩٤م.
٥٤. غلاب محمد السيد: البيئة رؤية إسلامية. مكتبة ابن سينا. القاهرة ١٩٩٣.
٥٥. الفقي ، محمد عبدالقادر: البيئة رؤية إسلامية. دار النفائس. بيروت ط١ ١٩٨٣.

٥٦. القارصي عبدالواحد: الإسلام والبيئة. دار الإعتصام. القاهرة ١٩٩١.
٥٧. لسان العرب، ابن منظور، الجزء الأول، صفحة ٣٦: ٣٧.
٥٨. مؤتمر الدوحة الرابع لحوارالاديان /٢٥-٢٧/ابريل/ 2006/قطر.
٥٩. مالك بن أنس (أبو عبد الله الأصبحي)، موطأ مالك، دار إحياء التراث العربي، القاهرة، د.ت .
٦٠. المُبَارَكْفوري (أبو العلا)، تحفة الأحوذي، دار الفكر، بيروت، بدون تاريخ، ج٥، صفحة ٢١٣.
٦١. مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط، دار الأمواج للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٧م.
٦٢. مجمع اللغة العربية، معجم ألفاظ القرآن الكريم، الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث، الجزء الأول، صفحة ٥٠٦.
٦٣. مجمع اللغة العربية، المعجم الوجيز، وزارة التربية والتعليم، القاهرة، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.
٦٤. محمد الطاهر بن عاشور / التحرير والتنوير / ج١/ص ٣٩٨ /الدار التونسية للنشر / ١٩٨٤.
٦٥. محمد الفقي /البيئة/ مكتبة ابن سينا / مصر ١٩٩٣/ ص١٨.
٦٦. محمد باقر الصر / منابع القدرة في الدولة الإسلامية / دار التعارف
٦٧. محمد بن جرير / تاريخ الطبري / تحقيق محمد أبو الفضل / ط٢ ج٢/ دار المعارف / ص ٢٢٦-٢٢٧.
٦٨. محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي ،صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان : / تحق: شعيب الأرنؤوط / مؤسسة الرسالة – بيروت / الطبعة الثانية / ١٤١٤ – ١٩٩٣ / ج ٤ / ص ٥١٦ / ح ١٦٣٧
٦٩. محمد بن علي الشوكاني، نيل الأوطار، دار الجيل، بيروت، بدون تاريخ.
٧٠. محمد بن عمر الرازي ، تفسير الفخر الرازي : / دار إحياء التراث العربى / ج ١ / ص ٤٠٢٣ .
٧١. محمد بن موسى الدميري (ت ٨٠٨ هـ): في كتابه "حياة الحيوان".
٧٢. محمد بن يزيد القزويني ،سنن ابن ماجه، ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت، بدون تاريخ.
٧٣. محمد عبد القادر الفقهي مكتبة ابن سينا القاهرة /البيئة مشاكلها وقضاياها وحمايتها من التلوث (رؤية إسلامية) / ص ٨٦ .
٧٤. محمد عبدالستار عثمان، المدينة الإسلامية، صفحة ٢٥١.
٧٥. محمد منير حجاب /قضايا البيئة من منظور اسلامي / دار الفجر/ القاهرة/ص٥٧.

٧٦. محمد ناصر الدين الألباني، صحيح الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير)، أشرف على طبعه: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت/ دمشق، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨.
٧٧. محمود شلتوت/الإسلام عقيدة وشريعة/ص٢٥٧.
٧٨. محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، صحيح مسلم بشرح النووي، مكتبة الإيمان، المنصورة بمصر، بدون تاريخ.
٧٩. مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري ، صحيح مسلم : / دار إحياء التراث العربي – بيروت / تحق: محمد فؤاد عبد الباقي/ ج ٢ / ص ٦٩٨ / ح ١٠٠٧
٨٠. مسلمة بن أحمد المجريطي (ت ٣٩٨ هـ): أول من استعمل كلمة البيئة بالمعنى الاصطلاحي وأثبت تأثيرها في الأحياء في كتابه: "في الطبيعيات وتأثير النشأة والبيئة على الكائنات الحية".
٨١. مصطفى السباعي، من روائع حضارتنا، الطبعة الثالثة، ١٩٨٦م، صفحة ٠١٢٧
٨٢. مصطفى العلواني /التلوث جريمة الجشعين /مجلة.
٨٣. مصطفى المحقق/مسؤلية الحاكم المسلم ازاء المحافظة على البيئة.
٨٤. الهيثمي (علي بن أبي بكر)، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، دار الريان للتراث/ دار الكتاب العربي، القاهرة/ بيروت، ١٤٠٧ هـ.
٨٥. وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، الموسوعة الفقهية، الكويت، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م.
٨٦. يوسف القرضاوي / رعاية البيئة في شريعة الإسلام / دار الشروق / ط ٢ / ٢٠٠٦ / ص ٤٠ .
٨٧. يوسف بن الزكي عبد الرحمن أبو الحجاج المزي ، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق: د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠

د) دراسات وبحوث بيئية المنشورة حديثا :

١. *الجوهرة عبدالله داود،(٢٠٠٧م):فعالية برنامج إرشادى لتنمية الوعى البيئى لدى عينة من طالبات كلية التربية للبنات بجدة ، مجلة دراسات نفسية ، المجلد(١٧)ن العدد(٢)، أبريل ، ص ص (٣١١-٣٧٥).
٢. *السيد محمد السايح ، على ابراهيم الدسوقى (٢٠٠١م) " اتجاهات أعضاء هيئة التدريس نحو تدعيم التربية البيئية لطلاب كليات التربية بالمنظور الإسلامى وقانون البيئة وأثرها على تحصيل الطلاب وتنمية اتجاهاتهم نحو حماية البيئة من التلوث " ، مجلة التربية ، كلية التربية جامعة الأزهر، العدد(١٠٠) مايو .

٣. *السيد محمد محمد السايح (٢٠٠٩م)، تدريس وحدة مقترحة في التنوع البيولوجى والتنمية المستدامة وفاعليتها في تحصيل طلاب الصف الأول الثانوى وتنمية اتجاهاتهم نحو التنمية المستدامة " ، مجلة دراسات في المناهج وطرق التدريس ، الجمعية المصرية للمناهج وطرق التدريس ، العدد(١٤٦) ، مايو.

٤. *السيد محمد محمد السايح (٢٠٠٩م)،" دراسة تحليلية نقدية لبعض البحوث في مجال تعليم البيولوجى والتربية البيئية على ضوء معايير الحداثة والجودة ، المؤتمر العلمى الثالث عشر للتربية العلمية : المعلم والمنهج والكتاب دعوة للمراجعة ، الجمعية المصرية للتربية العلمية ، ٢-٤ أغسطس .

٥. *اليو نيب ، الاتفاقية المتعلقة بالتنوع البيولوجى ، الاجتماع الحادى عشر ، مونتريال ، ٢٨ نوفمبر – ١ دسيمبر (٢٠٠٥م) منشور في http://www.cbd.int/doc/meatings/sbstta/

٦. *أماني محمد الحصان (٢٠٠٣م) " فعالية استراتيجية قائمة على التناقض والتعاقد السلوكي في تشخيص وتعديل أنماط السلوك البيئي الخاطىء ، وتنمية الوعي به لدى تلميذات المرحلة الابتدائية بمدينة الرياض " ، ماجستير غير منشورة ، كلية التربية للبنات بالرياض .

٧. *أمنية السيد الجندي ، (٢٠٠٠م) " فعالية وحدة دراسية مقترحة في العلوم لتنمية الوعي بالتغيرات المناجية لتلاميذ الصف الثاني الاعدادى "، مجلة التربية العلمية ، المجلد(٣) ، ع(١) ص ص (١-٤٢) .

٨. *حسام مازن (٢٠٠٠م) : " دور التربية العلمية في مواجهة بعض المخاطر الصحية التي تواجه البيئة في مجال الغذاء والمستحدثات التكنولوجية " ، المؤتمر العلمى الرابع للجمعية المصرية للتربية العلمية : التربية العلمية للجميع ، القرية الرياضية بالإسماعيلية ، ٣١يوليو – ٣ أغسطس ، المجلد الثاني ، ص ص (٦٣١-٦٦٠) .

٩. *حسن احمد شحاته (٢٠٠٦م): تلوث البيئة – السلوكيات الخاطئة وكيفية مواجهتها ، القاهرة : الدار العربية للكتاب .

١٠. *حسن حامد فراج (٢٠٠٠م) :" تنمية بعض عناصر التنور البيئى لدى طلاب كلية التربية جامعة الملك خالد باستخدام الموديولات التعليمية " مجلة التربية العلمية ، المجلد(٣) ، العدد(١) ، ص ص (٨٧- ١٢٢) .

١١. *راضى عبد المجيد طه (٢٠٠٠م): تصور مقترح لمدى حاجة طلاب المرحلة المتوسطة للتربية الغذائية بالمملكة العربية السعودية ، مجلة كلية التربية بأسوان ، ع(١٤) ديسمبر ص ص (٢-٤٣).

١٢. *زينب عبد الفتاح صبرة (٢٠٠٥م) : "دور الجامعة لخدمة المجتمع وتنمية البيئة وفق معايير الجودة الشاملة "، المؤتمر العلمى السنوى (١٢) ، تطوير أداء الجامعات العربية في ضوء معايير الجودة الشاملة ونظم الاعتماد ، الجزء الأول ، جامعة عين شمس ، مركز تطوير التعليم الجامعى ، ص ١٢٣.

١٣. *صوفيا محمد أحمد(٢٠٠٦م) : " برنامج إثرائى مقترح في الأخلاق البيئية لتلاميذ المرحلة الإعدادية في منهج العلوم ، ماجستير غير منشورة ، كلية التربية ، جامعة الإسكندرية .

١٤. *عبد الباسط الجمل (٢٠٠٠م) : الهندسة الوراثية وأبحاث البيئة ، القاهرة : دار الرشاد .

١٥. *عطا درويش ، تيسير نشوان ، (٢٠٠١م) : " أثر مقرر التربية البيئية على مستوى التنور البيئى لطلاب كلية التربية جامعة الأزهر بغزة واتجاهاتهم نحو البيئة ومشكلاتها " المؤتمر العلمى الخامس للجمعية المصرية للتربية العلمية : التربية العلمية للمواطنة ، الاسكندرية ، أبو قير ، الأكاديمية العربية للعلوم والتكنولوجيا والنقل البحرى ، ٢٩ يوليو – ١ أغسطس ، المجلد الثانى ، ص ص (٦٩٩-٧٤٦) .

١٦. *عفت مصطفى طنطاوى (٢٠٠١م): "دور مقررات العلوم في تحقيق الثقافة الصحية للتلاميذ بمراحل التعليم العام " ، المؤتمر العلمى الخامس للجمعية المصرية للتربية العلمية : التربية العلمية للمواطنة ، الاسكندرية ، أبو قير ، الأكاديمية العربية للعلوم والتكنولوجيا والنقل البحرى ، ٢٩ يوليو – ١ أغسطس .

١٧. *عماد الدين الوسيمى (٢٠٠٠م) : فاعلية محتوى مناهج العلوم بالمرحلة الثانوية بالسعودية في تنمية مفاهيم الطلاب المتصلة بقضايا العلم والتكنولوجيا والمجتمع وكذا تنمية اتجاهاتهم نحو العلم والتكنولوجيا " مجلة التربية العلمية ، المجلد(٣) ، العدد(١) ، ص ص (١٦١- ٢١٤) .

١٨. *ليلى ابو الهيجاء (٢٠٠١م) ، التنمية المستدامة ونظام البيئة ، منشور فى http://www.sdnb.jo./tanmenh.mustadamch.html

١٩. *ماهر اسماعيل صبرى ، ناهد عبد الراضى ، (٢٠٠٠م) : فعالية استخدام نموذج التدريس الواقعى في تنمية فهم القضايا الناتجة عن تفاعل العلم والتكنولوجيا والمجتمع ، والقدرة على اتخاذ القرار حيالها لدى طالبات شعبه الفيزياء والكيمياء ذوات أساليب التفكير المختلفة بكلية التربية للبنات بالرستاق (سلطنة عمان) ، مجلة التربية العلمية ، المجلد (٣) ، العدد(٤) ، ص ص (١١٩- ١٧٨) .

٢٠. *مايكل زيمرمان (٢٠٠٦) : الفلسفة البيئية ، ترجمة معين شفيق رومية، الكويت ، عالم المعرفة .
٢١. *مجدى عزيز ابراهيم (٢٠٠١م) : التربية البيئية في مناهج التعليم العام ، القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية .
٢٢. *محب محمود كامل الرفاعى ،(٢٠٠٠م) : " فعالية الألعاب التعليمية في تنمية الوعى والسلوك البيئى لدى أطفال ما قبل المدرسة " مجلة التربية العلمية ، المجلد(٣) ، العدد(٣) ، ص ص (٦٩- ١٠٢) .
٢٣. *محمد ابراهيم محمد ابراهيم (٢٠٠٠م) : المحميات الطبيعية والتنوع البيولوجى فى مصر : رؤية حديثة ، مجلة أسيوط للدراسات البيئية ، العدد(١٩) أسيوط ، جامعة أسيوط ، مركز الدراسات والبحوث البيئية ، يوليو ، ص ٧٩.
٢٤. *محمد العودات (٢٠٠٠م) : النظام البيئى والتلوث ، المملكة العربية السعودية ، مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية .
٢٥. *محمد صابر (٢٠٠٠م) : الإنسان وتلوث البيئة ، المملكة العربية السعودية ، مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية .
٢٦. *محمد عبد الفتاح القصاص (٢٠٠٠م) : الانسان والبيئة والتنمية ، القاهرة : دار المعارف ، سلسلة أقرأ ، العدد (٦٥٦).
٢٧. *مكتب التربية العربى لدول الخليج ، (٢٠٠٠م) : التقرير الختامى لندوة تفعيل دور التوعية الإعلامية في التربية الصحية والغذائية والبيئية للنشْ" ، ابها ، المملكة العربية السعودية ، ٥-٨ نوفمبر.
٢٨. *نادية سمعان ، فطومة محمد، (٢٠٠١م) : " استخدام مفهوم الطاقة كمدخل لتدريس أجهزة جسم الإنسان في ضوء النموذج التكاملى لتلاميذ الصف الخامس الابتدائى " مجلة التربية العلمية ، المجلد (٤) ، العدد(١) ، يناير ، ص ص (٣٧-٧٨) .
٢٩. *نعيمة حسن، سحر عبد الكريم (٢٠٠١م) : " أثر التدريس بنموذج التدريس العادل في تنمية التحصيل والتفكير الناقد والإتجاه نحو بعض القضايا البيئية لطلاب الصف الأول الثانوى "، المؤتمر العلمى الخامس للجمعية المصرية للتربية العلمية : التربية العلمية للمواطنة ، الاسكندرية ، أبو قير ، الأكاديمية العربية للعلوم والتكنولوجيا والنقل البحرى ، ٢٩ يوليو – ١ أغسطس ، المجلد الثانى ن ص ص (٤٤٩-٤٧٣).
٣٠. *هناء عبد العزيز عيسى ،(٢٠٠٨م) برنامج مقترح قائم على الألعاب التعليمية لتنمية الوعي بالمشكلات البيئية لدى الأطفال المعاقين عقليا " القابلين للتعلم، مجلة التربية المعاصرة

٣١. *وفاء سلامة سعد عبدالرحمن (٢٠٠٢م):التربية البيئية لطفل الروضة ، القاهرة : دار الفكر العربى .
٣٢. *وفاء عبدالعزيز بدوى (٢٠٠١م): كيف تحافظ على بيتك ومنزلك وتجميها من التلوث ، القاهرة : مكتبة القرآن .
٣٣. *يس عبدالرحيم قنديل ، مندور عبد السلام ، (٢٠٠١م): " فاعلية استخدام بعض مداخل التربية القيمية لتقديم ا لموضوعات المرتبطة بقضايا العلم والتكنولوجيا والمجتمع في تنمية التحصيل الدراسى وقيم المواطنة لدى تلاميذ الصف الأول الاعدادى "، المؤتمر العلمى الخامس للجمعية المصرية للتربية العلمية : التربية العلمية للمواطنة ، الاسكندرية ، أبو قير ، الأكاديمية العربية للعلوم والتكنولوجيا والنقل البحرى ، ٢٩ يوليو – ١ أغسطس ، المجلد الأول ، ص ص (٢٠٥-٢٥٨) .

هـ الدوريات

١) أحمد سلامة / حماية البيئة في الفقه الإسلامي / مجلة الاحمدية / مايو ١٩٩٨ / دبي / ص ٢٩٥

٢) تزكية البطراوي ، ضياء الدين سيدار / نحو نظرية إسلامية عن البيئة / / مج المسلم المعاصر / س ١٥ / ع٥٩ ١٩٩٤ / ص ٨٧ وما بعدها .

٣)صبري الدمرداش، تلوث الهواء: المشكلة والحل، الأمانة العامة للأوقاف، الصندوق الوقفي للمحافظة على البيئة، الكويت، ٢٠٠٠م، صفحة ٩٣.

٤) ضياء الدين سردار /نحو نظرية إسلامية عن البيئة /ترجمة سمية البطراوي /مجلة المسلم المعاصر / س١٥/ع٥٩/١٩٩١/ص٧٧-٧٨.

٥) عدنان أحمد البار و جنق ليو، المبادئ الإسلامية المتعلقة بالتحكم في الأمراض السارية وأثرها في الوقاية من هذه الأمراض، مجلة البحوث الفقهية المعاصرة، العدد الحادي عشر، السنة الثالثة، ربيع الآخر – جمادى الأولى – جمادى الآخرة ١٤١٢هـ / أكتوبر – نوفمبر – ديسمبر ١٩٩١م.

٦) عدنان أحمد الصمادي، منهج الإسلام في الحفاظ على البيئة من التلوث، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، السنة السابعة عشرة، العدد الحادي والخمسون، شوال ١٤٢٣ هـ/ ديسمبر ٢٠٠٢م.

٧) عدنان أحمد الصمادي، منهج الإسلام في الحفاظ على البيئة من التلوث، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، السنة السابعة عشرة، العدد الحادي والخمسون، صفحة ٣٣١.

٨) ليوبولد تشيابو ،(١٩٧٨م) . التربية البيئية في العالم الثالث ، مجلة مستقبل التربية ، ع (٤) ، ص ، ٢٨

٩) محمد الطاهر بن عاشور / التحرير والتنوير / ج١/ص ٣٩٨ /الدار التونسية للنشر / ١٩٨٤.

١٠) محمد صلاح الدين المستاوي، دوافع العناية بالشجرة مناخيًا واقتصاديًا ومعنويًا ودينيًا، الحرية، يوميـــــــــــــــــــــــــــة تونســـــــــــــــــــــــــــية، ١٤/١١/١٩٩٧م.
١١) محمود صالح العادلي، الإسلام وحماية البيئة، مجلة البحوث الفقهية المعاصرة، الرياض، العدد٢٣، السنة السادسة، صفحة ٣٤.
١٢) محمود صالح العادلي، الإسلام وحماية البيئة، مجلة البحوث الفقهية المعاصرة، الرياض، العدد٢٣، السنة السادسة، ربيع الآخر- جمادى الآخرة ١٤١٥هـ/ أكتوبر - ديسمبر ١٩٩٤م.
و _ موسوعات الكترونية :
١) الموسوعة الذهبية للحديث النبوى الشريف وعلومه : الاصدار الاول / المرحلة الاولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م (الاردن : عمان ، مركز التراث لأبحاث الحاسب الآلى).
٢) المكتبة الشاملة : http:/www. Waqfeya.net. Shamela
ز) مراجع أجنبية :
1-Sachs,I,(1977)Environment and development, :A New Rationale for DemesticPolicy in Formulation Co-operation Strategies, Joint Projects on Environmental Development Agency, In Secertarial ,HESC, Organizing Committee, Science Council
2-Clodsley,J., -Thompson,(1974) Expanding Sahara" Environmental Conservation, No., 1.PP., 5-13.
3-Mennonite Central Committee Worldly Spirituality (Harper and Row.1984)
4.General, Paris. 1970. p.16 Mrtinet, Elements de Linguitigue
5-Polunin, N. (1977), A short selection of conceivable Ecodisasters, of Japan , Science for Better Environment , Tokyo, PP., 327-334.
6- Van Nostrand's Scientific Encyclopedia Edited by Douglas Considine,
7- Van Nostrand Reinhold Company, New York, U.S.A, Page 961

ملخص الدراسة

ملخص موجز للدراسة

<u>الهدف من الدراسة :</u>

الدراسة الحالية تستهدف استجلاء مفهوم حماية البيئة كفريضة شرعية من منظور التوجيهات القرآنية والسنة النبوية الشريفة ولعل الغرض الغائي من ذلك بيان إن النظرة للبيئة من منظور إسلامي هي المحرج المناسب للخروج من الأزمة البيئية الراهنة التي تعصف بكل مقدرات التنمية في العالم المعاصر عامة والعالم الإسلامي خاصة إن حماية البيئة، واجب كل إنسان، لأن المجتمع الراقي هو الذي يحافظ علي بيئته، ويحميها من أي تلوث أو أذي، لأنه جزء منها، ولأنها مقر سكناه وفيها مأواه ولأنها عنوان هويته، ودليل سلوكه وحضارته

<u>تحديد موضوع الدراسة وتساؤلاتها</u> : ولتحقيق غرض الدراسة فإن تلك الدراسة تحاول الإجابة عن السؤال الرئيسي التالي :

ما موقف الإسلام من قضية " حماية البيئة " وإلى أي مدى تحقق الرؤية الإسلامية لمفهوم حماية البيئة معايير الجودة والكفاءة البيئية التي عجز العلم المعاصر في تحقيقها ؟

ولكى يتوصل – الباحث – لإجابة مقنعة عن ذلك السؤال الرئيسى حدد عدد من الأسئلة تمثل الإجابة عنها إجابة شاملة عن ذلك السؤال الرئيسى وهى :

١) ما الدلالات العلمية والإسلامية للمفاهيم البيئية المرتبطة بالبيئة ؟

٢) ما الواقع الراهن للنظام البيئى فى ضوء علاقته بالنظم الأخرى المؤثرة عليه ؟

٣) ما المظاهر الدالة على تدهور النظام البيئى فى عصرنا والداله على إفلاس العلم المعاصر فى مواجهتها ؟

٤) ما هى الرؤية الإسلامية الشاملة للحفاظ على البيئة وجمايتها .

٥) هل التشريعات الدينية الإسلامية كفيلة لحماية البيئة بمقارنتها بالتشريعات الوضعية ؟

٦) إلى أى مدى يمكن إعتبار الإسلام المشروع الحضارى البديل لحماية البيئة للعالم أجمع ؟

٧) ما حاجة العالم الإسلامى خاصة والعالم أجمع إلى فقه بيئى يسهم فى حماية البيئة ؟

٨) ما اهم المتطلبات والاعتبارات الواجب مراعاتها لتطبيق التشريعات البيئية التى تتفق ومنهج الله فى العالم الإسلامى والعالم أجمع ومن خلال برامج للتربية البيئية من منظور إسلامى ؟

منهج البحث وأهدافه :

لغرض الإجابة عن تساؤلات الدراسة – السابق تحديدها – اتبع الباحث مناهج بحثية متعددة منها :

١) منهج البحث الدلالى : للتعرف على الدلالات العلمية والإسلامية للمفاهيم المرتبطة بالبيئة .

٢) منهج البحث التحليلى : لتحليل الواقع الراهن لتدهور البيئة والنظام البيئى فى ضوء علاقته بالنظم المؤثرة عليه .

٣) منهج التحليل البعدى Meta analysis لبيان إفلاس العلم المعاصر فى إيجاد حل شامل وناجع لما نعانيه اليوم من مشكلات بيئية .

خطوات إجراء الدراسه : وفى ضوء ذلك حدد – الباحث – خطوات إجراء دراسته الحالية فيما يلى :

أولا :تحديد موضوع الدراسة ومفاهيمها : دراسة للبحث في الدلالات الحسية والمعنوية التي يمكن أن تدل عليها المفاهيم البيئة خاصة تلك المفاهيم البيئة التي تم استحداثها .

ثانيا : دراسة نظرية : حول النظام البيئي والنظم المؤثرة عليه في عالمنا المعاصر ؛ والمظاهر الدالة على تدهور النظام البيئي حتى أضحى الإنسان المعاصر يعانى من أزمة بيئية طاحنة تتمثل في معاناته من مشكلات بيئية عديدة .

ثالثا : دراسة تحليلية للبيئة من منظور إسلامي مع دراسة نقدية للتشريعات البيئية الوضعية والدينية وبيان مدى قصور التشريعات الوضعية في حماية البيئة بمقارنتها بالتشريعات الدينية .

رابعا : دراسة تحليلية حول الإسلام كمشروع حضاري بديل لحماية البيئة للعالم أجمع وأهمية استحداث فقه بيئي وتقديري يتفق مع تعاليم الإسلام ومبادئه لحماية البيئة وأهمية توفير مقومات تطبيق تلك الأحكام الفقهية الدينية لحماية البيئة ليس في العالم الإسلامي فحسب بل وفى العالم أجمع باعتبار الإسلام المشروع الحضاري البديل لحماية البيئة في العالم .وأهمية أن تكون التربية البيئية من منظور إسلامي لإعداد الأفراد إعداد مناسبا لدورهم فى حماية البيئة .

وبذلك أشتمل تقرير تلك الدراسة على أبواب هي :

الباب الأول : التعريف بأهداف ومفاهيم الدراسة

الباب الثاني :النظام البيئي في عالمنا المعاصر في ضوء علاقته بالنظم المؤثرة عليه

الباب الثالث : البيئة من منظور إسلامي و التشريعات البيئية (الوضعية والإسلامية)

الباب الرابع : الإسلام المشروع الحضاري البديل للعالم المعاصر لحماية البيئة .

الباب الخامس : التربية البيئية من منظور إسلامي ضرورة عصرية لحماية البيئة

<u>نتائج الدراسة وتوصياتها :</u> توصل – الباحث – إلى عديد من النتائج يمكن إيجازها فيما يلى :

١)) تعدد التعريفات حول "مفهوم البيئة" يوضح بجلاء غموض مفهوم " البيئة " مع غياب الرؤية الإسلامية لذلك المفهوم كما يتضح " شمولية مفهوم البيئة في الإسلام" بمقارنته بالمفاهيم المعاصرة للبيئة ؛ وذلك يوضح خطورة الاعتماد على تلك المفاهيم المعاصرة للبيئة خاصة وإن أخطار التدهور البيئي في عالمنا المعاصر تتزايد عاما بعد عام فى كافة مجتمعات العالم المتقدم والنامى .

٢) استحداث مفاهيم معاصرة مرتبطة بمفهوم البيئة تؤكد أهمية البيئة للإنسان ، كما توضح أهمية الرؤية الإسلامية للبيئة خاصة مفهوم " الإسلام البيئى " الذى تتبناه – اليوم – مؤسسات بريطانية وتدعو إليه مما يؤكد ضرورة تبنى العالم أجمع لمفهوم البيئة فى الإسلام كمخرج مناسب للخروج من الأزمة البيئية المعاصرة خاصة مع ارتباط قضية البيئة بقضية التنمية والتقدم فى كافة المجتمعات .

٣) إن النظام البيئى يؤثر ويتأثر بالعديد من النظم مثل : النظام العالمى – التظام المحلى – نظام المعلومات – النظام القيمى – النظام السياسى – النظام الاقتصادى .. إلى غير ذلك من النظم وقد يفسَّر تدهور النظام البيئى كنتيجة مباشرة أو غير مباشرة لتدهور النظم المؤثرة على النظام البيئى خاصة النظام القيمى .

٥) إن القضايا والتحديات البيئية المعاصرة تجعل من قضية الحفاظ على البيئة وحمايتها قضية قومية يجب أن تتضافر كافة الجهود العالمية في كل أنحاء العالم لمواجهتها والتوصل إلى حلول جماعية عالمية للحد من التدهور البيئى على المستوى العالمى والمستوى الإقليمى والمحلى .
٦) إن الدراسات البيئة قد لا تتعرض لبعض مظاهر التدهور البيئى ذات الخطورة على الإنسان والكائنات الحية الأخرى مثل التغيرات المناخية وظاهرة الاحتباس الحرارى وآثار إزالة الغابات والغطاء الخضرى بهدف استغلال تلك المناطق في بناء المساكن أو المصانع .
٧) إن اهتمام القرآن الكريم والسنة النبوية بالبيئة وعلاقة الإنسان بها تؤكد إن حماية البيئة في الإسلام تكاد تكون فريضة شرعية وإن الأزمة البيئية الراهنة هى أزمة روحانية أخلاقية وإن المدخل

المناسب لمواجهة تلك الأزمة هى من خلال فهم البيئة من منظور إسلامى ومن خلال سن التشريعات البيئية الدينية التى يمكن إستنباطها من الفقه الإسلامى العام ومن فقه البيئة الخاص ؛ وضرورة تدعيم برامج التربية البيئية الحالية بتلك التشريعات وضرورة أن تكون برامج التربية البيئية برامج دراسية من منظور إسلامى .

توصيات الدراسة : وختاماً لهذه الدراسة وفى ضوء نتائجها فإن – الباحث – اقترح العديد من التوصيات منها : –

١ – تقديم الرؤية الإسلامية لمشكلات البيئية إلى العالم الآخر وذلك عن طريق ترجمة الأعمال الرائدة في هذا المجال إلى اللغات العالمية ليتعرف العالم على هذه الرؤية التي هي تعالج أساس المشكلات البيئية وتقدم حلولاً ناجحة لها .

٢. تزويد الخطباء والأئمة والدعاة بآخر الأبحاث العلمية المتعلقة بالمنتجات المضرة بالبيئة ؛ لنحصن المجتمع بشكل مباشر من كل أذى وافد إلينا باسم التكنولوجيا العلمية أوغيرها من الدعايات.

٣. تخصيص برامج محددة على وسائل الإعلام تعنى بحماية الإنسان من فعله المضر بالبيئة التي جعلها الله رحماً ليعيش فيها بعافية وكرامة ، من خلال تسليط الضوء على المنظور الإسلامي للكون من حولنا .

٤ – سن القوانين والتشريعات البيئية الدينية مع ضرورة تجديد الفقه الدينى واستحداث فقه البيئة المعاصر.

٥ _ نشر ثقافة المحافظة على البيئة لدى الناشئة وذلك عن طريق تضمين المناهج الدراسية في المدارس والجامعات بالمشكلات البيئية وطرق الوقاية منها مع التأكيد على دور المنظمات والهيئات المدنية في رفع درجة الوعي البيئي ودفع الناس للمساهمة في المحافظة على البيئة .

٦ _ تدريس مواد علمية في كليات الشريعة تساعد المتخرج منها في فهم الوقائع البيئية والحكم على قضاياها بصورة علمية .

٧ _ المساهمة في تفعيل دور الاتفاقيات الدولية وحشد الجهود على كافة المستويات لتنفيذ بنودها أملا في مواجهة المشكلات البيئية المعاصرة .

More Books!

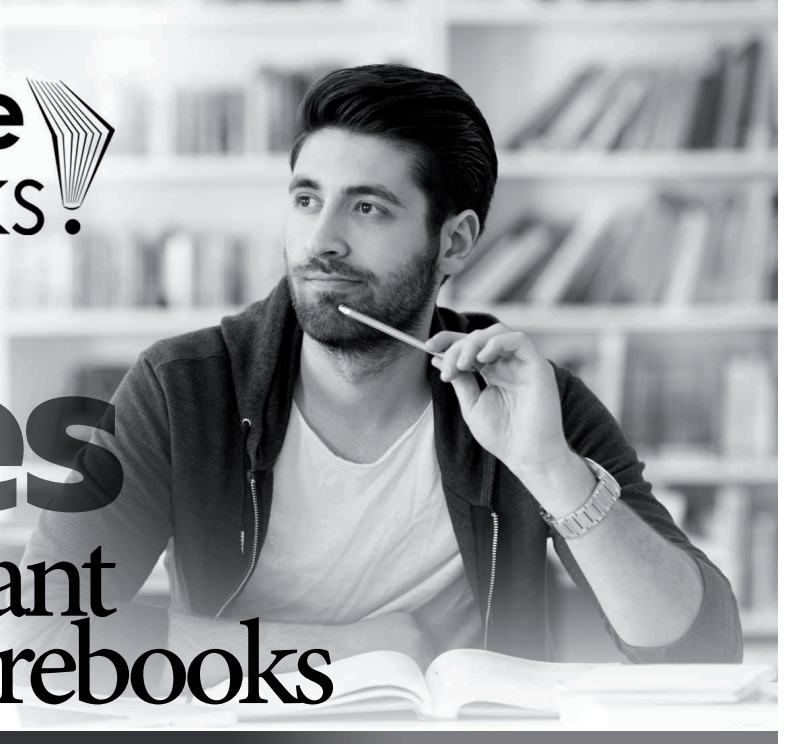

Yes
I want
morebooks

اشتري كتبك سريعا و مباشرة من الأنترنيت, على أسرع متاجر الكتب الالكترونية في العالم
بفضل تقنية الطباعة عند الطلب, فكتبنا صديقة للبيئة

اشتري كتبك على الأنترنيت

www.get-morebooks.com

Kaufen Sie Ihre Bücher schnell und unkompliziert online – auf einer der am schnellsten wachsenden Buchhandelsplattformen weltweit!
Dank Print-On-Demand umwelt- und ressourcenschonend produziert.

Bücher schneller online kaufen
www.morebooks.de

OmniScriptum Marketing DEU GmbH
Bahnhofstr. 28
D - 66111 Saarbrücken
Telefax: +49 681 93 81 567-9

info@omniscriptum.com
www.omniscriptum.com

OMNIScriptum